الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية

جامعة محمد الصديق بن يحيى – جيجل –

كلَية اللغة والآداب

قسم: الأدب العربي

عنوان المذكرة:

ازدواجية السخرية والتربية في (اللعنة عليكم جميعا) للسعيد بوطاجين

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص : نقد عربي معاصر

إعداد الطالبتين:

أميرة عباس

خيرة شنيب

إشراف الأستاذ:

جمال فنيط

لجنة المناقشة:

الأستاذ:وداد حلاوي.....رئيسا

الأستاذ: جمال فنيط.....مشرفا ومقررا

الأستاذ: جميلة بورحلة.....ممتحنا

السنة الجامعية: 2018/2017م

الشكر والعرفان

نحمد الله عز وجل ونشكره بأن أنعم علينا بالعلم ووفقنا لإنجاز وإعداد هذا العمل وأعاننا عليه.

نتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف "جمال فنيط" على تفانيه وإخلاصه وإشرافه على هذا العمل المتواضع والذي لم يبخل علينا بتوجيهاته ونصائحه القيمة طوال هذا المشوار.

كما لا يفوتنا أن نتقدم بالشكر إلى السادة أعضاء اللجنة على مناقشتهم هذا البحث وإلى جميع أساتذة قسم اللغة والأدب العربي .

وفي الأخير نتقدم بجزيل الشكر إلى كل من قدم لنا يد العون والمساعدة، سواء من قريب أو من بعيد.

أميرة و خيرة

مقدمة

ارتقت القصة الجزائرية المعاصرة بخطوات عملاقة نحو النضج الفني والحداثي، حيث استطاعت تجاوز الصعوبات التي واجهتها خصوصا في المرحلة الأولى مع الرواد (الطاهر وطار) لتقفز بعد ذلك قفزة نوعية لتحتل الصدارة ضمن الأجناس الأدبية وتكتسب بذلك شكلا فنيا جديدا يفضل جل الكتاب الذين راحوا يبحثون عن وسائل فنية وأساليب جديدة في الكتابة الإبداعية بحثا عن جنس أدبي منفرد يحاولون من خلاله معالجة قضايا المجتمع بلغة استعارية تجمع بين السخرية والتربية.

نشأت السخرية مع الإنسان منذ أصبح قادرا على التمييز بين الأشياء وتقدير العلاقات الإنسانية وحدق الملاحظة ما يجري في الكون وما يجري فيه من مفارقات، إذ تعد السخرية ظاهرة أدبية لا يخلو منها أدب أي أمة من الأمم، فهي واقعا تعبيريا بين أفراد المجتمع لها صدى للحالة النفسية والاجتماعية.

ونجح في تصوير هذه الظاهرة أكثر مما يصورها الأدب العادي الجاد لما تحويه من فكاهة وإضحاك ومتعة وتسلية، ظلت إلى الآن وسيلة الأدباء والشعراء للنيل من خصومهم، كما أنها وسيلة لتسرية القلب والترويح عن النفس، يستعين بها الدارس في معرفة المقومات التي تحكم تلك الأمة وما تحترمه وما تقدسه وما تدعو إليه بأسلوب هادف وتربوي، هذا الأخير الذي يعد عملية تفاعل مستمرة بين الإنسان والبيئة الاجتماعية التي يعيش فيها، تهدف إلى خلق التوازن بين كل من مصلحة الفرد والجماعة من أجل استقرار الواقع الاجتماعي.

ومن الأدباء الجزائريين المعاصرين الذين صالت وجالت أقلامهم في هاتين الصورتين واشتهروا بأعمالهم وإبداعاتهم الساخرة التربوية نجد السعيد بوطاجين، حيث كانت السخرية والتربية النزعة الغالبة في مجموعته القصصية اللعنة عليكم جميعا"، وكان دافعنا لاختيارنا لهذه الدراسة الموسومة " إزدواجية السخرية والتربية في اللعنة عليكم جميعا" موضوع البحث الجديد الذي لم يسبق تناوله بالإضافة إلى رغبة البحث في الأدب الجزائري عموما وفي أعمال السعيد بوطاجين خصوصا.

- فما هي الوظائف التي قامت عليها السخرية لدى سعيد بوطاجين؟

- ما هي أنواع السخرية وأساليبها؟
- ما هي الوظائف التي قامت عليها التربية عند السعيد بوطاجين؟
- وما هي القيم التي انبنت عليها؟
- ما هو الشيء الذي يمكن أن نستخلصه من الازدواجية القائمة بين السخرية والتربية؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات وغيرها إرتأينا تقسيم الدراسة إلى فصلين نظريين وفصل تطبيقي بالإضافة إلى مدخل تمهيدي.

وقفنا في المدخل على الكتابة القصصية من العصر الجاهلي إلى العصر الحديث،ثم الكتابة القصصية الجزائرية المعاصرة.

أمّا في الفصل الأول تطرقنا إلى السخرية ومدلوليها اللغوي والإصطلاحي، ونشأتها في الآداب الأوروبية والأدب العربي عموما والأدب الجزائري خصوصا بالإضافة إلى وظائفها وأنواعها وأساليبها وتجلياتها عد النقاد الجزائريين.

وفي الفصل الثاني فقد تناولنا التربية ومدلوليها اللغوي والإصطلاحي ونشأتها على مرّ العصور عند الغرب والعرب، وبالإضافة إلى وظائفها والقيم التي انبنت عليها.

أما الفصل التطبيقي فقد قسمناه إلى ثلاثة مباحث تناولنا في الأول تجليات السخرية في اللعنة عليكم جميعا، (وظائف السخرية النفسية والاجتماعية وأنواعها والعقلية والفكاهية والانتقادية، بالإضافة إلى أساليبها: المحاكاة التصوير الكاريكاتوري، التصوير النفسي والتصوير القصصي والتنابز بالألقاب والهمز واللمّز) وتناولنا في المبحث الثاني تجليات التربية في اللعنة عليكم جميعا (وظائفها الفردية والاجتماعية وقيمها: الدينية، العلمية، السياسية، البدنية الجمالية، الأخلاقية)، أما المبحث الثالث فكان حول الجدلية القائمة بين السخرية والتربية

مفادهـا أن السـخرية تهـدف إلى الإصـلاح والتنـوير والتهـذيب والتوعيـة أمـا التربيـة فغايتهـا التغيـير نحـو الأفضـل والتمسك بمكارم الأخلاق وجوهر الأشياء.

وقد أجملنا في الخاتمة النتائج التي توصلنا إليها من خلال عرضنا للنموذج، وما اعتمدناه من نصوص.

وخلال هذه المسيرة كان اعتمادنا الأساسي على المجموعة القصصية "اللعنة عليكم جميعا" لسعيد بوطاجين وفي المقابل استعنا بمراجع أخرى منها: السخرية في الأدب الجزائري لمحمد ناصر بوحجام، والأدب الساخر لنبيل راغب، والأدب الساخر أنواعه وتطوراته على مدى العصور الماضية لشمسي واقف وأصول التربية العامة لسعيد إسماعيل علي، وغيرها من المراجع التي أعانتنا في هذا البحث كالمجلات والدوريات.

وبما أن طبيعة الموضوع لا تحتكم إلى نوع من المنهج المتبع فإنه يتطلب منا مزيجا من المناهج إذا اعتمدنا في المدخل على المنهج التاريخي برصد كتابة القصصية من العصر الجاهلي إلى الحديث والمعاصر، أمّا الفصل الأول والثاني فقد اعتمدنا فيه على المنهج التاريخي والوصفي في رصد حركة السخرية والتربية، وفي حديثنا عن الفصل الثالث (الجانب التطبيقي) فقد اعتمدنا المنهج الإجتماعي في التعليل الثقافي وككل الباحثين المبتدئين فقد واجهتنا مجموعة من الصعوبات أثناء بحثنا في الموضوع أهمها:

- قلة المصادر والمراجع خاصة في الأدب الجزائري بصفة عامة وفي موضوع السخرية بصفة خاصة.
- قلة الأبحاث والدراسات التي تناولت أعمال سعيد بوطاجين.
- كثرة أساليب السخرية وأنوعها ووظائفها مما صعب علينا مهمة جمعها وتصنيفها.
- صعوبة ضبط المنهج المتبع حيث يتفاوت بين المنهج الإجتماعي، التحليل الثقافي.

وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نتقدم بالشكر للأستاذ المشرف جمال فنيط بعد الله سبحانه وتعالى على ما أفادنا به من اهتمام وتأطير طوال فترة انجازنا للبحث، كما لا يفوتنا أن نشكر كل من ساهم في هذا العمل من الأساتذة الأفاضل: الأستاذة بورحلة جميلة والأستاذ عيسى لحيلح والأستاذة بن ناصر حسينة.

ونسأل الله عز وجل التوفيق والسداد في هذا العمل.

مدخل

تأخرت نشأة القصة القصيرة في الجزائر مقارنة بالبلدان العربية الأخرى وذلك لعدة أسباب ناتجة عن السياسة الاستعمارية المطبقة آنذاك من طرف الاستعمار الفرنسي في الجزائر، من خلال اعتماده على مجموعة من الأساليب التي أعاقت الحركة الثقافية والفكرية للشعب الجزائري، حيث قام بإدماج المجتمع الجزائري مع الفرنسي بطمس الهوية العربية، وإحلال اللغة الفرنسية محلها عموما.

إضافة إلى عامل الاستعمار نجد عاملا آخر هو اهتمام الأدباء بالشعر على حساب النثر، فالأدب لدى الشعراء الجزائريين من أمثال ذلك أبو القاسم سعد الله، محمد العيد آل خليفة، رمضان حمود، كان مرادفا للشعر، كما نجد عاملا آخر مثل ظهور وتطور القصة القصيرة في الجزائر وهو تهميش دور المرأة في المجتمع وحرمانها من الغوص في الحياة الاجتماعية والسياسية لدى «كان من الصعب أن تعالج القصة علاقة الرجل بالمرأة»[1]

كما يوجد عاملا آخر هو ضعف النشر، وانعدام وسائل التشجيع الكافية للأديب دون أن ننسى غياب المتلقى لهذه الأعمال، نظرا لانتشار الأمية في المجتمع الجزائري كما نجد أيضا ضعف النقد والترجمة، وذلك يعود إلى القمع الاستعماري وطغيان الاتجاه التقليدي بسبب انتهاج الإقصاء للغة العربية، فنجد في المقابل أن حركة النشر اهتمت بنشر الكتيبات الدينية ومجلات وجرائد الحركة الإصلاحية[2]

وقد كانت المحاولات الأولى لهذا الجنس الأدبي في شكل مناضرات مع " عبد الرحمان الديسي" بعنوان المناظرة بين العلم والجهل" سنة 1908، فقد مزج الديسي بين الحكاية والمقامة والمناظرة قفي قلب واحد، إذ تعتبر محاولة متعثرة لكتابة فن القصة لعدم الوعي بالأساليب الفنية لهذا النوع الأدبي.

نشأت القصة القصيرة الجزائرية«في الثلاثينات بشكل مقامة وأخذت شكلها القريب من الناحية النفسية في الأربعينات»[3] ولم تصل القصة الجزائرية للنضج إلا بمرورها بعدة مراحل، فبداية التأريخ لفن القصة مع قصة "فرانسوا

[1] مخلوف عامر: مظاهر التجديد في القصة القصيرة، "دراسة"، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دط، دمشق، سوريا، 1998، ص35.

[2] ينظر: مرجع نفسه، ص37.

[3] أحمد دوغان: في الأدب الجزائري الحديث، اتحاد الكتاب العرب للنشر والتوزيع، ط1، دمشق، سوريا، 1996، ص165.

والرشيد" لمحمد السعيد الزاهري، وهي أول محاولة قصصية جزائرية نشرتها جريدة الجزائر في عددها الثاني في 10 من جويلية 1925، لكن الزاهري لم يوف الشروط الفنية التي حددها النقاد والمنظرون للقصة والنصوص القصصية، حيث تحفظ الزاهري باستعمال لفظة قصة في تقديمه للطبعة الثانيةمن قصصه واكتفى بوصفها بالفصول[1]، صنفها عبد الله الركبي في دراسته للقصة القصيرة بحسب السمات والخصائص التعبيرية لكل منها إلى نوعين هما: "المقال القصصي" و"الصورة القصصية".

أما المقال القصصي فهو صورة من المقال الإصلاحي الديني، أما الصورة القصصية فهي عبارة عن قصة لم تتوفر على السمات والخصائص الفنية للقصة، ويرجع الفضل في ظهور القصة القصيرة لمجموعة من العوامل منها:«دور الكتابات النثرية في بقية أقطار العالم العربي و لاسيما تونس ومصر»[2] التي مثلت وجهة الطلاب الجزائريين والدارسين بالعربية لمواصلة دراستهم بجامعي الأزهر والزيتونة، بالإضافة إلى جمعية علماء المسلمين التي أسهمت في إنعاش الحركة الأدبية، إذ استخدمت الأدب كوسيلة للدعوة الإصلاحية والدعوة إلى نشر الثقافة العربية الإسلامية.

وبدأ ينتشر فكرها الإصلاحي من خلال الصحافة الوطنية مثل: صحيفة المنتقد وصحيفة الشهاب وصحيفة البصائر.

ومنه نخلص إلى أن هدف القصة القصيرة كان إصلاحي للتوعية وليس للتسلية والمتعة الفنية ونجد من خلال ذلك التركيز على المضمون وإهمال الشكل، ومنه نرى أن القصة ركزت على الجانب الاجتماعي وذلك من خلال مجموعة من الكتابات الأدباء الذين عرفوا في تلك الفترة ومنهم: "محمد السعيد الزاهري"، و"محمد العابد الجيلاني" و"أحمد بن عاشور" و"عبد المجيد الشافعي"، و"أحمد رضا حوحو"، حيث أسهم هؤلاء في بناء هذا الصرح الضخم لكنهم لم يكادوا يجاوزون أسسه إلا قليلا.

[1] ينظر عبد المالك مرتاض، القصة الجزائرية المعاصرة، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط3، الجزائر، 1990.، ص7

[2] عايدة أديب بامية: تطور الأدب القصصي الجزائري (1925-1967)، تر: محمد صقر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص303.

وقد قامت هذه الفترة على مرحلتين: الأولى وتنتهي بظهور" غادة أم القرى" لـ" أحمد رضا حوحو" سنة 1955[1]، ولما جاءت الثورة الجزائرية العظيمة لم يعد الأديب يصور الفقر والجوع والوضع الاجتماعي، فانتقلت القصة من الطابع الاجتماعي إلى الطابع الثوري، إذ أصبحت الثورة تفرض نفسها على كتابات الأدباء، والشخصية في القصة تعكس إرادة الإنسان، الثائر المتطلع نحو الحرية.

هذه المرحلة كان العالم فيها يقود مسيرة الثورة خطوة خطوة ويتابع حركتها، فوقع كتاب شرك الأدب الوثائقي مسجلين أحداث وقائع الحرب، إذ غطت القصة حرب التحرير من معظم جوانبها، ومنه نجد أن القصة تفاوتت وافتقرت للرواية الخيالية، والمعالجة الفنية، فيما بينها وذلك لعجزهم عن انتقاء اللحظات الدرامية المؤثرة فقد كانت القصة مشحونة بقوة تأثيرية كبيرة، ناتجة عن مخلفات الاستعمار، من إبادة وتهجير وقتل وتعذيب وحرمان، ومن الأدباء الذين برزوا في هذه المرحلة: "أحمد رضا حوحو" في مجموعات قصصية منها"صاحبة الرحى"، ورواية حمار الحكيم 1953.

إذ ركز حوحو على الجانب الاجتماعي دون النضالي، ولم تكن للثورة صدى أو تأثير في كتاباته« فهو يستوحي مضامين قصصه من مؤلفات كبار الكتاب الإنسانيين، مستغنيا بذلك عن الواقع الزاخر بشتى أنواع البؤس والشقاء إلى جانب تطور العنف السياسي والثوري، وقد بلغ النضال المسلح سنته الثانية، مما يجعلنا نتساءل عن سبب اختفاء صور هذا العنف في قصص حوحو»[2] أي أن أحمد رضا حوحو اهتم بالجانب الاجتماعي والأوضاع التي كانت سائدة آنذاك، وتناسى الواقع المرير الذي يعيش فيه الشعب الجزائري في ظل الاستعمار الفرنسي.

وللقصة الجزائرية القصيرة خصائص ومميزات، نستعرض ثلاث عينات للإحاطة بما يتفق ويختلف فيه هذا الفن وهي:

[1] ينظر:عبد المالك مرتاض، القصة الجزائرية المعاصرة، مرجع سابق، ص7.

[2] أحمد طالب: الالتزام في القصة القصيرة الجزائرية المعاصرة، دار الغرب للطباعة والنشر، وهران، الجزائر، 2007، ص49.

- التطور الفني لشكل القصة القصيرة في الأدب الشامي الحديث نعيم اليافي.

- فن القصة في المغرب لأحمد المديني.

- القصة الجزائرية القصيرة لعبد الله الركيبي[1].

فنجد أن نعيم اليافي اعتمد على الحبكة ووحدة الانطباع ولا بداية ولا نهاية، بالإضافة إلى التركيز والاقتصاد وعدم الخضوع للتسلسل والمنولوغ والتداعي.

أما أحمد المديني فقد اعتمد على نسيج القصة والأثر الكلي والنهاية المفتوحة والتركيز والإيجاز، بالإضافة إلى اختلال تسلسل الوحدات وتيار الوعي.

أما عبد الله الركيبي فقد اعتمد على نسيج القصة، إذ اتفق في ذلك مع "أحمد المديني" بالإضافة إلى اعتماده على التركيز والإيجاز والموقف، كما اتفق أيضا مع أحمد المديني في النهاية المفتوحة واللغة والحوار[2]

ومنه نستخلص أن مميزات القصة القصيرة تختلف من بلد إلى بلد آخر فتارة تتفق وطورا تختلف باختلاف المواقف والمناسبة.

وبالاعتماد على أعمال"عبد الله الركيبي" و"عبد الله بن حلي" و"عبد المالك مرتاض" يمكن استخلاص مراحل تطور القصة الجزائرية القصيرة وهي كالتالي:

1- مرحلة المقال القصصي: اعتمد معظم الكتاب في هذه المرحلة على اثقال النص بالوصف والنقل الحرفي للواقع دون زيادة أو نقصان، فقد كانت القصة عبارة عن مقال يمزج بين القصة وغير القصة، وكانت في هذه المرحلة تتحدث عن الواقع أو تنقل الواقع بحذافيره في شكل مقال قصصي، بالإضافة إلى أن الشخصيات في هذه المرحلة كانت ثابتة لا تنمو مع الحدث، والقصة كانت خليط وجزء لا يتجزأ من المقامة والرواية والحكاية، وذلك بالاعتماد على السيرة الخطابية المحملة بالوعظ والإرشاد والتوجيه.

[1] ينظر مخلوف عامر: مظاهر التجديد في القصة القصيرة في الجزائر "دراسة"، مرجع سابق، ص30.
[2] المرجع نفسه، ص30.

2- مرحلة الصورة القصصية: اعتمد كتاب هذه المرحلة في كتاباتهم القصصية على واقعية الحدث، إذ نجد أن الحوار يعبر عن ذات الكاتب لا عن الحدث، فقد كانت الشخصيات في هذه المرحلة لا تعبر أيضا عن الحدث بل كانت متزامنة مع تسلسل الأحداث وفقط إذ نجد أن السرد في هذه المرحلة يغلب عليه طابع الوعظ ويختفي فيه الإيحاء بالاعتماد على الأسلوب المترسل والجمل الطويلة[1].

3- مرحلة القصة الاجتماعية: يمثلها "أحمد رضا حوحو" من 1947إلى 1956، ومادام الأستاذ"عبد الله بن حلى" قد بحث في القصة الاجتماعية والقصة المناضلة أو المكتوبة خارج الوطن.

4- مرحلة القصة المكتوبة خارج الوطن: كتب فيها مجموعة من الأدباء الجزائريين المجتمعون خارج الوطن وذلك من خلال وجود بلدان غربية واكبت تطور الأدب العربي عامة والفن القصصي خاصة، وبرز ذلك من خلال استفادتهم من تراجم بعض الكتب من الآداب الأجنبية إلى اللغة العربية، من خلال هذا كله وجدوا فرصا سهلة لنشر أعمالهم، باعتبارهم ممثلي الثورة الجزائرية خارج الوطن.

5- مرحلة القصة الاجتماعية السياسية منذ الاستقلال: في هذه المرحلة نجد مجموعة من العوامل الموروثة استمرت تمارس تأثيرها على الجيل الجديد[2].

أما المرحلة الأخيرة لفن القصة القصيرة بعد الاستقلال، نجد أن هناك مجموعة من الأعمال نشرت في تلك الفترة منها: مجموعتان "لمحمد صالح صديق" هما: عميروش وقصص أخرى سنة1964، من قلب اللهب 1964 بالإضافة إلى صدور مجموعة "دقت الساعة" سنة 1967 "للباهي فضلاء"، و"بحيرة الزيتون" "لأبي العيد دودو" ونفوس ثائرة " لعبد الله الركيبي"، وطعنات ودخان من قلبي " للطاهر وطار"، وقصص من فضائح الاستعمار في الجزائر 1962 "لمحمد منيع"، وظلال جزائرية " لعبد الحميد بن هدوقة"، والأشعة السبعة " لعثمان السعيدي".

[1] مخلوف عامر: مظاهر التجديد في القصة القصيرة في الجزائر"دراسة"، مرجع سابق، ص48.

[2] مرجع نفسه، ص48.

مما سبق نستنتج أن كتاب هذه المرحلة أخفقوا في إثارة انتباه القارئ وذلك لغياب عنصر التشويق، ويعود ذلك إلى الإكثار من التفاصيل والإيضاحات والتفسيرات، أما الشخصيات فقد كانت مهملة في القصة القصيرة عبر مراحلها، إذ كانوا يهتمون بالحدث ذاته ويتناسوا الشخصية، بالإضافة إلى ضعف عنصر الحوار وإن كان نجده سطحي بتعابير شائعة، إذ نجد أن معظم القصص تتحدث عن الحرب في قالب سياسي مستهلك، بالإضافة إلى ضعف اللغة واعتماد التعابير العامية الدارجة.

لكن في المقابل نجد بعض الكتاب أجادوا كتابة القصة أو الكتابة القصصية وذلك لوعيهم إلى شكلها الفني، والأساليب الفخمة القوية منهم: المسعودي في قصة "الساعة الخامسة"، وأحمد رضا حوحو في حمار الحكيم، " عبد الله الركيبي" في قصة "صرخة في الليل" و"الإنسان والجبل" وغيرهم.

وعندما نعرج إلى مرحلة تطور القصة الجزائرية الحديثة: وهي مرحلة البناء الاشتراكي إذ عرفت الجزائر بعد الاستقلال انتقال ملحوظ من السياسي إلى الاشتراكي في السبعينات حيث نجد أن الأعمال الأدبية في هذه المرحلة طغى عليها الجانب الاجتماعي، وذلك لتأثرهم بالثورات الزراعية والصناعية والثقافية وانفتاح الجزائر على الثقافات الغربية فتأثروا بها وكتبوا على منوالها، ومن الأدباء الذين جرت أقلامهم في هذه المرحلة: "العيد بن عروس" في " أنا والشمس"، و" جراد البحر"، "لمرزاق بقطاش" سنة 1978، و"طيور في الظهيرة" أيضا "لمرزاق بقطاش"، كما صدرت "للشريف الأدرع" مجموعة "ماقبل البعد" ولمحمد الأخضر السائحي "أمدغ" كما نجد مجموعة من الكتاب لهذا الفن منهم: "عمر بن قينة"، "محمد صالح حرز الله"، "أحمد منور خلاص الجيلالي"، "مرزاق بقطاش"[1].

أما مرحلة تطور القصة الجزائرية المعاصرة فهي مرحلة تعج بالقوالب القصصية فنجد أن الأدباء الجزائريين المعاصرين أبدعوا في كتاباتهم القصصية، إذ أدخلوا عليها طابع السخرية الذي يعبر عن المعاناة والبؤس بطابع هزلي

[1] ينظر: أحمد دوغان، في الأدب الجزائري الحديث، مرجع سابق، ص169.

ساخر وضاحك في قالب فكاهي، ومن الأدباء العرب المعاصرين الذين جرت أقلامهم في الكتابة القصصية بهذا الطابع نجد: "أحمد رضا حوحو"، "سعيد بوطاجين" هذا الأخير حملت كتاباته الكثير من الإيحاءات التي يعبر من خلالها عن الوضع المزري الذي يمر يه المواطن أو المثقف المهمش، في قالب ساخر وهادف تربوي من ذلك نجد: "ما حدث لي غدا"، "اللعنة عليكم جميعا"، "أحديتي وجواربي وأنتم".

الفصل الأول:

السخـــــرية ماهيتـها

ووظائفـــــها

تمهيد:

من العسير أن نحدد تاريخا دقيقا لظهور مصطلح السخرية في المجتمع الإنساني إلا أنه يمكننا القول أن لهذا المصطلح يوجد منذ القديم، مذ قيام البشرية، إذ أصبح الإنسان واعيا مدركا لماهيته ووجوده وتميزه عن الآخر، فبرز مصطلح الأنا والآخر والهوى والإحساس بالفوقية، مما ساعد هذا التميز والتعالي على تطور فن السخرية خاصة مع « تشكل الجماعات البشرية، وظهور مصطلحات القهر السياسي والتسلط »[1]أي أن السخرية ظهرت منذ القديم مع ظهور الإنسان في خضم الحروب والانقلابات وتعني القهر والتسلط.

وقد قام العلماء بالبحث والتقصي عن الخلفيات المعرفية لهذا المصطلح، واكتشفوا وجود آثار «رسومات كاريكاتورية [(*)] خلفها الإنسان القديم على جدران الأهرامات المصرية وكذلك في أرجاء المعابد القديمة »[2] مثل بردية مصرية قديمة بيد رسام ساخر مجهول يتحدث فيها عن طائر حاول الصعود إلى الشجرة بواسطة سلم وليس عن طريق جناحيه حيث استعمل الطائر السلم الخشبي بدلا من جناحيه من هذه الصورة، فكان ذلك مخالفا لما هو موجود في الواقع وهذا ما جعله موضع سخرية[3].

وإذا أمعنا النظر في مصطلح السخرية نجده يرتبط ارتباطا وثيقا بالفلسفة اليونانية، حيث اتخذ سقراط «في دفاعه عن مفهومي الحقيقة والعدالة »[4] أساسا لمسلماته الفلسفية التي جمعته بالسفسطائيين الذين ادعوا المعرفة بحقيقة الأشياء، فكان مجمل عمله قائما على «توليد الأفكار»[5]، فقد كان يعمد إلى طرح أسئلة ساذجة وساخرة تظهره في هيأة رجل جاهل ليحاول الآخر الرد عليه من أجل توليد أسئلة أكثر تعقيد أو صعوبة، حيث يقول في هذا الصدد:« كانت أمي قابلة تولد النساء وأنا أولد الأفكار »[6]، فقد كان يعمد إلى طرح وتوجيه أسئلة دقيقة للفرد، وذلك ليبين عجز الآخر عن الرد حتى يضطر إلى الاعتراف بالحقيقة التي يبحث عنها أو يدعه تائه في

---

[1] رياض نعسان آغا: فن السخرية في أدب حسيب كيالي، مجلة فكر، الإثنين 11 يونيو 2007، WWW.DR.READ.NET

[(*)] كاريكاتور أو كاريكاتير: هي رسومات مضحكة وساخرة وهادفة إلى غاية ما قد تكون نبيلة ترمي إلى الإصلاح والتقويم البناء، وولوج دخائل النفوس البشرية وتقريبها من المتلقي بالكشف عنها لأن الكثير من الشخصيات تختفي وراء أشكال معينة، ولا تبدوا على حقيقتها، هذا ما تعبر عنه تلك الرسومات والإيماءات الموجودة على جدران الأهرامات والمعابد المصرية القديمة.

[2] رياض نعسان آغا: فن السخرية في أدب حسيب كيالي، مرجع سابق.

[3] ينظر: محمد العمري: البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول، إفريقيا الشرق، ط2، الدار البيضاء، المغرب، 2012، ص 93.

[4] إيهاب كمال: سقراط أكثر الرجال حكمة في العالم القديم، الحرية للنشر والتوزيع، دط، دت، ص 119.

[5] مرجع نفسه، ص 126

[6] مرجع نفسه، ص 127.

دوامة لا يعرف الخلاص منها، وذلك من أجل أن يبرهن دهائه وحكمته وبهذا تكون السخرية مرادفة للحكمة والدهاء.

1/ مفهوم السخرية:

1/1 لغة:

ورد في معجم لسان العرب لابن منظور في مادة (سخر) فصل السين المهملة قوله: سَخِرَ منه، وبه، سخرًا وسَخْرًا وسَخَرًا بالضم، وسُخْرَةً وسِخِرِيًّا وسُخْرِيًّا وسُخْرِيَّةً: أي هزئ به.

ويروى بيت أعشى باهلة على وجهين:

إنّي أَتَتْنِي لِسَان، لاَ أُسِرُّ بِهَا

مِن علْوٍ، لاَ عَجَبَ مِنْهَا وَلا سُخرُ

قال الأزهري: وقد يكون نعتا لقولهم: هم لك سخْريٌّ وسِخْريّة من ذكر قال سخريّا وأنت قال: سِخْريّة.

الفراء: يقال: سخرت منه، ولا يقال سخرت به، قال تعالى: ﴿ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾ (الحجرات/11) وقوله تعالى: ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ ﴾(التوبة/79).

وقال الأخفش:« سخرت منه وسخرتُ به، وضحكت منه، وهزئت منه وهزئت به» كل يقال والإسم السخرية والسُّخريُّ و السِّخْرِيُّ قرئ بهما[1]، قال تعالى: ﴿ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيّاً ﴾(الزخرف/32).

وفي الحديث: أتسخر مني وأنا الملك أي استهزئ، والسخرة: الضحكة ورجل سخرة: سخر من الناس ، وفي التهذيب يسخر من الناس، وسخرة: يسخر منه كذلك، سخريٌّ، وسخريةٌ[2].

ومن خلال الدلالة المعجمية للكلمة يمكن القول أن السخرية تعني التدليل والهوان والقهر وإخضاع واستهجان الآخر، فهي ضد الشعور بالأفضلية والاستحسان على الآخر.

وورد في قاموس المحيط: فقد جاءت في فصل السين، باب الراء مادة سجهر سخر منه وبه، كفرح، سخْرًا وسُخرةً، ومسخرًا وسُخْرًا: هزئ، كاستسخر[فقد جاءت في فصل السين، باب الراء، مادة سخهر.]

والإسم: السُّخريةُ والسّخْرِيُّ.

وسخره كمنعه، سِخريا: كلفه ما لا يريده، وقَهَره، وهو سُخرة لي وسخريّ وسِخريَّ.

---

[1] ينظر: جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري لإفريقي المصري: لسان العرب، تحقيق عامر أحمد حيدر، مراجعة عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، المج 3، ط1، بيروت، لبنان، 2005، ص 329.

[2] مرجع نفسه، ص 330.

ورجل سُخرة، كهمزة، سخر من الناس، ومن يسخر كل من قهره، وسَخرتِ السفينة: طابت لها الريح والسير.

وقوله تعالى: ﴿إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾(هود/38).

أي إن تستجهلونا فإنّا نستجهلكم كما تستجهلوننا.

وسخره تسّخيرا: دله وكلفه عملا بلا أجره كسخره[1].

والملاحظ عند مقارنة التعريفات السابقة للمادة (سَخَرَ) في اثنين من أكبر المعاجم العربية نجد أنّ هناك تقاربا كبيرا في تفسرها ففي كليهما تبعث كلمة أو لفظة السخرية: بالمهانة والمدلة والاستهزاء والتحقير والاستخفاف بالآخر والقهر.

وقد نهى الإسلام عن السخرية، ووردت كلمة السخرية في عدّة مواضع في القرآن الكريم تحمل الدلالة نفسها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴾ (الصافات/14)

فكانت بذلك مرادفة للفظة الاستهزاء والضحك، حيث ركز الساخر على تبيان عيوب الآخر الجسدية كانت أم النفسية، مادية كانت أم معنوية، وذلك لتحسيسه بالدونية، قال الله تعالى: ﴿ولَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾(الأنعام/10)

مما سبق يتضح أن السخرية بالقرآن الكريم تحتوي أساليب شتى كالفكاهة والهزل والطرفة والنكتة والاستهزاء والضحك، في المقابل يرتبط مفهوم السخرية في القرآن بالجانب الأخلاقي والديني ولهذا تجعلنا نقع في الحرج ومنه يصعب الخوض في غمار هذا المصطلح لأن الإسلام نهى عنه.

2/1 – اصطلاحا:

من الصعب وضع تعريف جامع مانع لمصطلح السخرية لتعلقه أحيانا وتضاربه أحايين شتى، حيث يعد هذا المصطلح قديما قدم الإنسان، قد يكون «ترويحا عن النفس»[2]، والمغزى منه إثارة البهجة والفرح، أو تسرية عن القلب أو استنكار لما يقع عن طريق الاستخفاف والاستهجان والاستهزاء والفكاهة والضحك.

يقول سراج الدين محمد في كتابه الفكاهة في الشعر العربي: أن الضحك أمر سيان بالنسبة للإنسان، تنزع إله النفس الإنسانية لتبتعد على الأ لم والحزن والمآسي وتزرع ولو القليل من الطمأنينة والمرح والأمن والراحة. [3]

[1] ينظر: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تقديم أبو الوفاء نصر الهوريني، دار الكتب العلمية، ط3، لبنان، 2009، ص430.

[2] السيد عبد الحليم محمد حسين، السخرية في أدب الجاحظ، دار الجماهيرية للنشر والتوزيع، ط1، طرابلس، 1986، ص 64.

[3] ينظر : سراج الدين محمد، الفكاهة في الشعر العربي النوادر والطرائف، دار الراتب الجامعية، دط، بيروت، لبنان، دت، ص1.

وفي هذا الصدد يقول هنري برغسون في كتابه الضحك: « أن الإنسان حيوان يعرف كيف يضحك »[1]، أي أن الإنسان عندما يقع في دوامة المأساة والحزن والألم يضحك بلاإحساس ولا شعوريا، فالهزل لا يحدث هزة إلا إذا وقع في نفس هادئة ومتزنة ومتماسكة أكثر من النفس المتعصبة ، واللامبالاة ناتجة عن بنية الهزل الطبيعية[2].

يرى ماكدوجال:« أن الضحك هو الترياق المانع من التعاطف أو المشاركة الوجدانية »[3].

أي أنّ الضحك لا يعبر عن التعاطف مع الآخر وإنما هو التنفيس عن النفس بالضحك والاستهزاء بالأخر واحتقاره.

يقول شابلن: « أنّ الناس يتعاطفون معي بحق حينما يضحكون، لأن بمجرد ما نزيد الطابع التراجيدي على الحد فإنه سرعان ما يصبح الموقف باعثا عن الضحك »[4]، أي أنّ الضحك يأتي في الوقت المناسب يهبونا المناعة ضد تلك الجرعة الزائدة من المأساة التي تتخبط الروح البشرية.

والغرض من السخرية أيضا التندير بالحكم كما جاء في قصة نوح عليه السلام، حين أمر بصنع السفينة ليجمع فيها من كل زوجين اثنين وأهله وقرابته المؤمنين، ومن اتبعه وآمن به، فهزأ به قومه وضحكوا عليه، وقالوا له: يا نوح بالأمس كنت نبيا وأصبحت اليوم نجارا [5]، فكان جواب نوح حاملا للوعيد والتهديد عاقبة لتكذيبهم واستهزائهم، وقال تعالى : ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ (هود / 38).

ومن خلال الآية الكريمة نجد أن القرآن الكريم نهى عن السخرية والتي يقصد بها في هذه الآية الكريمة الاحتقار والاستصغار لغير سبب ظاهر.

والسخرية هي الاستهانة والتحقير والتنبيه على العيوب والنقائض على وجه الضحك منه وقد تكون بالمحاكاة بالقول والفعل، وقد تكون بالإشارة والإيماءات، وإذا كان المستهزئ به لم يسّره ذلك، يعتبر غيبة، وفيه معنى الغيبية عن طريق الكلام على الخصم وضحضه بصيغة الغائب. [6]

---

[1] هنري برغسون، الضحك، ترجمة علي مقلد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط23، دت، ص 10.

[2] ينظر: مرجع نفسه.

[3] ينظر: رحاب عكاوي، أشعب الطامع أخباره ونوادره،دار الآفاق الجديدة، ط2، بيروت، لبنان، 2000، ص 7.

[4] مرجع نفسه، ص 09.

[5] السيد عبد الحليم محمد حسين، السخرية في أدب الجاحظ، مرجع سابق، ص 64.

[6] ينظر: رابح العوبي، فن السخرية في أدب الجاحظ، من خلال كتاب "التربيع والتدوير" و" البخلاء" و"الحيوان"، ديوان المطبوعات الجامعية، ط1، بن عكنون، الجزائر، 1989، ص 36.

والسخرية تتضمن الاستهزاء بمعنى الاستخفاف وقد تطلق أيضا على الاحتقار وعدم الاهتمام واللامبالاة كقولك: هزئ به واستهزأ به بمعنى: احتقره، ولم يهتم به أو بأمره، ويرادف ذلك هذا القول: سخر منه وسخر به، ولكن الأولى أفصح لأن القرآن الكريم قد عبر بها في الآيات الكريمة: في سورة الأنبياء وسورة الأنعام أيضا: حيث قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون ﴾ (الأنبياء/41 –الأنعام/ 11).

فالسخرية في الآيات الكريمة تعني الاستهزاء والاحتقار ومنه السخرية.

وخلاصة القول أن السخرية وفقا للتعاريف الاصطلاحية السابقة الذكر هي وسيلة للتهذيب وتقويم والإصلاح والتطهير، فضلا عن كونها أداة للتسلية، وهي نوع من الزجر والهجاء والردع، فهي تعمل على خدمة الفرد والمجتمع، وهي شبيهة بالعفوية إلا أنها أخف منها وقعا يعتمدها الأديب للنيل من الخصم بطريقة شريفة يعدل فيها عن الهجوم والسباب في لون آخر وهو السخرية.

2/ نشأة السخرية:

تعدّ السخرية أسلوب من الأساليب الفنية، فهي فن قائم بذاته من الصعب استجلابه إلا إذا كان للإنسان سعة ثقافية واسعة، لأنها تتطلب منه التلاعب بمقدار الأشياء فتقوم بتصغير الشيء الكبير، تكبير الصغير والاستهزاء والاستخفاف والتهريج بالأشياء [1]، تطويلا أو تقصيرا، في قالب فني ساخر من الظاهر لكن باطنه يملأه النقد القاسي واللاذع في شكل ساخر وضاحك ممتع وفكاهي كوميدي، حيث يختلف أسلوب السخرية من قاص إلى قاص ومن شاعر إلى شاعر ومن كاتب إلى كاتب ومن زمن إلى زمن، بهدف التعريض بإنسان أو قرار أو فكرة في قالب كوميدي فهذا يدعى التهريج [2]، أي اعتماد أسلوب السخرية للاستهانة وتحقير الغير، « فالأدب الساخر هو كوميدية سوداء تعكس أوجاع المواطن السياسية والإجتماعية يقدمها بقالب ساخر يرسم البسمة على الوجه ويضع خنجرا في القلب ».

ويعني ذلك أن الأدب الساخر هو عبارة عن مكنونات وأوجاع وآلام يعيشها المواطن في شتى المجالات وفي حياته اليومية، اجتماعية وسياسية، يطرحها الساخر في شكل كوميدي ضاحك فكاهي للتسلية والامتاع من الظاهر لكن في باطنه يرمي إلى إيصال رسالة اجتماعية كانت أو سياسية للهدف بغية الانتقام منه بطريقة شرعية، ولكشف خفاياه واستقطاب الرأي العام لهذه القنبلة الموقوتة.

---

[1] ينظر: شمسي واقف، الأدب الساخر، أنواعه وتطوره مدى العصور الماضية، العدد 12، د ط، د ب، فصيلة دراسات الأدب المعاصر السنة 3، 1390هـ، ص 102.

[2] مرجع نفسه.

فالأدب الساخر يحتوي كل أنواع الإبداع في مختلف المجالات ويقوم بدراستها وطرحها في قالب كوميدي ساخر، فالكاتب أو الشاعر أو القاص الساخر هو الذي يحوّل ذلك الألم والمعاناة والمأساة إلى فرح وضحك والبسمة ترسم على وجه القارئ والمتفرج ذات طابع إبداعي أدبي إيحائي.

ولهذا يجب أن يكون الكاتب الساخر ملتزما بقضية وطنية أو برسالة ما أو بوضع ما آل إليه يريد إيصالها أو يقوم بإيصالها، وإن م يستطع ، سيصبح مهرجا، فمن جهة « الكاتب الساخر يجعل القارئ يبكي من فرط الضحك وفي الوقت نفسه يضحك من فرط الألم »[1]، أي أنّ الكاتب الساخر يقوم بقلب الموازين، ويتمسك بزمام النص مما يجعل القارئ يتأثر بالنص فيضحك تارة ويبكي طورا في طابع متناقض يجعل القارئ يتناقض مع نفسه.

ونجد العديد من الأدباء والمفكرين صالت وجالت أقلامهم بما جاءت به قريحتهم من كتب من الأدب الساخر أو السخرية، على اختلاف منحاهم، فهناك من كتب في الرواية والمسرحية الساخرة على اختلافا أشكالها ومضامينها، وكل ذلك وأكثر نجده من موروثنا الأدبي: مثل كليلة ودمنة، البخلاء، المقامات، النوادر وأخبار جحا، وأخبار الحمقى والمغفلين، وأخبار الطرفاء، وغيرها من الأشكال النثرية.

1/2 السخرية في الآداب الأوروبية:

إذا عدنا إلى السخرية قديما وحديثا، نجد لها أشكال شتى في مختلف المجالات بما تحمله من همز ولمز وغمز وتنابز بالألقاب، ومنها جاءت النكتة والفكاهة، والمسرحية الساخرة، فنجد أن السخرية وسيلة في حدّ ذاتها، وعلم علم قائم بذاته كمختلف العلوم يتعثر تارة ويسقط طورا، ثم يقف ليكمل ما يريد أن يصل إليه، فالسخرية تبعث على الترويح والتسلية والضحك في المقابل توصل رسالة إلى الهدف.

وإذا عدنا إلى الأدب الأوروبي نجد أن أشعار هوميروسHumérus الملحمية مشحونة بروح السخرية، كما نجد ذلك في مسرحيات أرستو فانيس ariste vaniss الكوميدية المملوءة بالمقتطفات الساخرة الثقيلة [2]، فكانت أول الكتابات الساخرة باللاتينية مع لوسيليان losilainالمتوفى عام 103 ق.م، إذ لم يعبر عن الظواهر الاجتماعية بل ابتعد إلى ما دون ذلك للوصول إلى أغوار النفس البشرية.

بعد ذلك يأتي "هوراس horas " الذي دعم هذا الغرض و "جافينال jafinal " من خلال قصائدهم التي كتبت خصيصا للسخرية، إذ أطلق مصطلح السخرية في بادئ الأمر على القصائد الطويلة الساخرة المحملة

[1] شمسي واقف، الأدب الساخر، أنواعه وتطوره مدى العصور الماضية، مرجع سابق، ص 103

[2] ينظر: نبيل راغب، الأدب الساخر، هيئة الكتاب مهرجان القراءة للجميع، الطفل، الشباب الأسرة، دط، مصر، 2000، ص 15.

بالصور والمواقف تعتمد هذه القصائد على وزن معين يحمل في طياته صور ساخر من الرذائل والظواهر [1] الاجتماعية المنتشرة، وقد قعد لهذا الفن أولا "هوراس" الذي أرسى دعائم هذا الفن وكان أول من وضع قصائد ساخرة، تتميز بالإحساس العذب والعاطفة الجياشة وتشمل مختلف الجوانب الاجتماعية، في حين قام "جافينال" بإرساء تقاليد الحكاية الساخرة وغير أسسها وأعادها بطابع من القساوة والتجريح وعدم الإنصاف والجور.

وفي العصور الوسطى، عصّب الناس لتلك القصائد التي جاءت من مختلف الأقاليم والبلدان رغم أنها قصائد تتسم بالطابع الديني والتي تغلب عليها صفة الجدية القصائد التي تحتوي على التقليد الساخر للأمور والأنماط التي غيرها التقليديون في منتهى الجدية والأساطير والأحلام، والرؤى التي يستخدم الخيال للسخرية من الواقع.

أي أنّ تلك القصائد الساخرة التي كانت تستخدم الخيال للتعبير والسخرية من الواقع كانت ممتلئة بالأساطير والحكايات والخرافات والأحلام والتغيرات ذات الطابع الديني أي أنّ الكنيسة هي التي كانت تدعمها وكانوا يعتبرونها حقيقة، فقد كانوا يؤمنون بها بشكل مطلق.

ومع مجيء عصر النهضة ازدهرت تلك القصائد الساخرة لكل من "هوراس" و"جافينال"، وانتشرت في مختلف البلدان، ونالت إعجاب الأدباء فأخذوا يكتبون على منوالها في معظم اللغات الأوروبية.

وبحلول الفترة الكلاسيكية الجديدة ظهرت القصائد الروائية التي ينقد النفس فهي تجمع بين أروع آيات البطولة وأحط أنواع الرذيلة والتهكم، حيث انتهجوا في ذلك نهج قصيدة "الضفادع والفئران " التي كانت تقليدا لأسلوب "هوميروس" واعتمادا على أحاديث الحيوانات والوحوش التي عرفتها الكتابة الساخرة في العصور الوسطى،ومنه نستطيع القول أن السخرية في الفترة الكلاسيكية مزجت بن العصور القديمة الوسطى وبتبلور ما يسمى باتجاه النقد الاجتماعي اللاذع الذي يعتمد على نقد النفس وذكر مساوئها، مثلما نجد طلك في قصائد "ناسوني nasouni"، "بوالوديبروboile dibire " في إيطاليا وفرنسا، أما في إنجلترا فقد ظهرت قصائد تمزج بين البطولة والتهكم في قصيدة "ألكسندر بوبAleksander bob " " اغتصاب خصلة الشعر" بالإضافة إلى قصيدة "هادبيراسhadbiras " التي يجمع بين الملحمة والتقليد الساخر[2].

وفي أمريكا نجد كتاب أسطورة النقاد "لجيمس راسل لويان" الذي يعدّ أكبر نموذج للكتابة الساخرة الهادفة إلى التهكم والضحك والسخرية.

[1] ينظر: نبيل راغب، الأدب الساخر، هيئة الكتاب مهرجان القراءة للجميع، الطفل، الشباب الأسرة، مرجع سابق، ص 16.

[2] ينظر:مرجع نفسه، ص 17.

« وكان لوم الإنسانية وتوبيخها ونحوها خاصية أساسية في أعمال أدبية كثيرة (...) فقد كانت مسرحيات بن "جونسونjonson " و "موليير moulière " و "برناردشو Bernard chou" ، و"يوجين أونيل" زاخرة بفقرات مشحونة بالسخرية اللاذعة والمكتوبة بالنشر لا تمت للشعر الساخر وتقليد بصلة »[1].

أي أنّ جل تلك الكتابات كان الهدف منها نقد النفس البشرية وإحساسها بالألم والمعاناة طوال الوقت دون إعطاء الاعتبار للشخص المسخور منه.

أما أشهر الكتابات الساخرة في العصور الحديثة فقد تمثلت في جنس الرواية، ويتجلى ذلك في أعمال "رابليه raplih " و"سرفانتس serventes " و "سويفت swivet " و"فولتير voltire" و"صامويل samwil" التي تتصف تارة بالسخرية اللادغة السريرة وطورا بالرحيمة الاصطلاحية التي جسدت الضعف الإنساني [2].

لقد عرف فن السخرية في أوروبا أو العالم الغربي تطورا ملحوظا على أيدي عمالقة الأدب والفن الذي كتبت أسماؤهم بماء الذهب على مرّ العصور ومن أشهرهم "موليير" (1622 – 1673) الذي ألّف مسرحيات فرنسية عديدة، ففنّ السخرية ليس مرتبطا بالتعبير بالكلمات عن المكبوتات، بل تخطى حضوره بقوة أيضا في مختلف الفنون التشكيلية والرقص والموسيقى، ثم إن الفن الكاريكاتوري كان سائدا في أوروبا حيث لا يستطيع الباحث التخلي عنه في كتاباته وإبداعاته، وبهذا يمكننا القول أن فن السخرية يشهد تطورا ملحوظا في الساحة الأوروبية وداع صيته في مختلف العصور واكتملت معالمه في أرجاء العالم.

2/2 السخرية في الأدب العربي:

بغضّ النظر عن الأصول المعرفية والفلسفية لفن السخرية وارتباطها بالعلوم الأخرى الإنسانية "النفسية والاجتماعية"، حاول دارسو الأدب تأكيد الطبيعة الأدبية للسخرية، باعتبارها فنا من فنون القول، حيث يقول بيدا أليمان « أنه يجب التفريق في كل شيء بجلاء، وبصورة نهائية بين السخرية كمبدأ فلسفي ميثافيزيقي والسخرية كظاهرة من ظواهر الأسلوب الأدبي »[3]، أي التركيز على البعد الدلالي والاقناعي والمكونات اللسانية والسيميائية في النص الأدبي، حيث يمكن حصرها في مكونين اثنين:

[1] ينظر: نبيل راغب، الأدب الساخر،مرجع سابق، ص 18.

[2] المرجع نفسه.

[3] محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، مكتبة الأدب المغربي، دط، الدار البيضاء، المغرب، 2005، ص 97.

- **مكـوّن انفعـالي**: يتجلـى هـذا المكـون في الاسـتخفاف والاسـتهزاء مـن الآخـرين والضـحك أو الرغبـة فيـه، والاستهجان والإحساس بالمفارقة[1]
- **مكوّن بنائي لساني**: يتجلى « في المفارقة الدلالية وما يترتب عنها من غموض والتباس »[2].

فالمكوّن الانفعالي يقصد به التأثير في الآخر، وله مقصدين من وراء فعله واستهجانه، أمّا الثاني فيقصد به أنّ منطق السخرية يقوم على أساس المفارقة الدلالية عن طريق التقاطع الذي يشكل بين البنية القصدية، أي بين المعنى الظاهر والمعنى الباطن الملتبس الذي يؤدي إلى الضحك والانفعال.

وقد تبلورت ملامح السخرية في عالمنا العربي في الأدب بصفة عامة والشعر بصفة خاصة امتدادا من العصر الجاهلي إلى العصر الحديث، إلا أنه لا توجد دراسة تحليلية لهذا الفن إلا من طرف القليل من النقاد، سواء بالدراسة الظاهرة أو دراسة إنجازات رواد السخرية، أمثال: "شوقي ضيف والجاحظ"، و"أحمد زكي"، و"جمال الدين الرمادي"". [3]

أ– السخرية في العصر الجاهلي:

يزخر التراث العربي بالكثير من الصور الساخرة، لكن لم يبرز في شكل أدب قائم بذاته، ففي العصر الجاهلي لم يصلنا من هذا الفن إلا الشيء القليل، وذلك يعود إلى قساوة الظروف المعيشة، والبعيدة عن الترف والنعيم، فحياة البادية لا توحي بما يتناسب مع هذا الفن وما كان موجود من هذا الفن كان مرتبط بالغضب والعصبية القبلية والهجاء والدم والتعريض حيث كان هذا الهجاء يحمل في طياته نقدا لاذعا وخشونة في الألفاظ والفضاضة، ممّا يبعث في نفس المهجو الضيق والألم والحزن، إذ يبرز العيوب الجسمية والنفسية، ويبالغ فيها لينشر الضحك والسخرية والاستهزاء [4].

ومن ذلك ما قاله حسان بن ثابت في هجائه لبني عبد المدان بطول أجسامهم وبدانتهم:

لَا بَأْس بِالقَوْمِ وَطُولِ من غَلَظٍ جِسْمُ البِغَالْ وَأَحْلاَم العَصَافِيرْ[5]

[1] ينظر: محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، مرجع سابق، ص 87.

[2] المرجع نفسه.

[3] ينظر: نبيل راغب، الأدب الساخر، مرجع سابق، ص19.

[4] ينظر: شمسي واقف، الأدب الساخر، أنواعه وتطوره مدى العصور الماضية، مرجع سابق، ص 111.

[5] عبد الرحمن البرقوقي، شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، دار النشر المكتبة التجارية الكبرى، د.ط، 1929، مصر، ص 214.

حيث نجد حسان بن ثابت يهجوا بعيوبهم الجسمية والنفسية في قالب ساخر ومضحك، فيصفهم تارة بالبغال وذلك لأجسامهم الضخمة وطورا بالعصافير لأن تفكيرهم محدود وصغير.

وقد عرف العرب نوعا آخر من الهجاء أقل حدّة من الأول، يأتي بطريقة غير مباشرة فيكون ذمّا في صيغ المدح، نذكر ما قاله "قريط بن أنيف العبيري" في قومه:

لَكِنَ قَوْمِي وَإِنْ كانوا ذَوِي عَدَدٍ ليسوا من الشَّرِ في شَيْء وإِنْ هَانَا

يُجرَون من أهْلِ الظُّلـم مغفرة ومِن إِسَاءَةِ أَهْلِ السُوءِ إحْسَاناَ

كَأنَّ ربَكَ لم يخلقْ لخَشْيَتِه سِواهُم مِن جميع الناس إِنْسَانا[1]

إذ نجد الشاعر في هذه المقطوعة يمدح قومه بصفات حميدة كالإحسان والحلم والشجاعة ، فهم يخافون الله على حدّ قوله، ثم نجده في البيت الأخير يقوم بذم قومه والسخرية منهم، ويصفهم بالضعف والتدليل والخوف وهنا نلاحظ مما سبق ذكره أن الشاعر قام بهجاء قومه ظاهره مدح وباطنه ذم.

ومن هنا تتجلى لنا ومضات السخرية في العصر الجاهلي كونه ديوان العرب، طغى عليه الهجاء الساخر غير الصريح أو غير المباشر يمكننا ذكر خصائصه:

1. الطابع الغالب على السخرية في العصر الجاهلي هو الهجاء.
2. كان الهجاء فن من فنون السخرية أنذاك وأسلوب من أساليبها قبل أن يحيل إلى أعلى درجات القبح والإقداح فافترقت عنه.
3. كان الهجاء يدور بين الفرد والقبيلة.
4. كانت السخرية وسيلة دفاع فقطعن طريق الفكاهة.
5. كانت السخرية لا تتعدى التهكم والجبن والبخل وضعت النسب.
6. كانت السخرية تقوم على الذم المباشر، وذكر العيوب ولا يحفل بالفكاهة والنقد.
7. وردت السخرية في شكل نقائض [2].

ولهذا لم يصل أدب الفكاهة في العصر الجاهلي إلى القليل ويعود ذلك إلى الحياة [3] القاسية التي لا تتناسب مع هذا الفن.

[1] شمسي واقف، أنواعه وتطوره مدى العصور الماضية، مرجع سابق، ص 112.

[2] ينظر: محمد ناصر بوحجام، السخرية في الأدب الجزائري الحديث من 1925 إلى 1962، بحث مقدم لنيل شهادة دكتوراه في الأدب العربي، دط، الجزائر، 1993 – 1994، ص 23.

[3] ينظر: سراج الدين محمد، الفكاهة في الشعر العربي، دار الراتب الجامعية، دط، بيروت، لبنان، دت، ص 06.

ب– السخرية في عصر صدر الإسلام:

لقد كان لمجيء الإسلام الأثر الكبير في النهي عن حدّة الهجاء حيث حرمت النزاعات وانتهاك الحرمات فأصبحت للسخرية والتهكم رسالة خلقية، ومسؤولية دينية وأسلوبا دعويّا، وسلاحا وقائيا، حيث أمر الرسول صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت أن ينال من قريش وشعرائها بالسخرية لمواقفهم المخزية، حين قال له:«اهجوهم وروح القدس معك » فكان الشعر سلاحا للدفاع عن الدعوة الإسلامية وحمايتها. [1]

وفي المقابل نهى الله عن السخرية التي تضر بالإسلام والمسلمين حين قال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾ (الحجرات/11).

وقد أمدّ القرآن الشعراء بصور كثيرة من التهكم والسخرية من الكفار والمنافقين والعصاة والمستهزئين والضالين عن سواء السبيل، حيث وردت السخرية في القرآن بألفاظ مختلفة، فلفظة (الهزء) وردت في القرآن الكريم في 15 موضعا، ولفظة (السخرية) في 14 موضعا، ولفظة (الضحك) في 04 مواضع، ولفظة (الاستخفاف) في آية واحدة.

وكل هذه الآيات كافة تدل على استهزاء الكفار بالنبي صلى الله عليه وسلم والأنبياء السابقين، لكن سرعان ما عادت السخرية في قالب هيجائي ومناظرات، فقد كان ذلك نتيجة لتشجيع حكام قريش لمحاربة الإسلام والمسلمين، فظهر ما يسمى بالهجاء السياسي [2]، فردّ لهم المسلمون المثل، ومن ذلك قول حسان بن ثابت هاجيا هندا في غزوة أحد:

أَشِرَت لَكاعِ وَكانَ عادَتَها لُؤمٌ إِذا أَشِرَت مَعَ الكُفرِ

قَرِحَت عَجيزَتُها وَمَشرَجُها مِن نَصِّها نَصّاً عَلى القَهرِ [3]

يظهر حسان بن ثابت هندا في صور ساخرة من أبشع الصور من خلال هجائها هجاءا مقدعا فاحشا.

ومن أمثلة ما اشتمل عليه القرآن الكريم، ذكر الله التهديد بلفظ التبشير وذلك في قوله تعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (النساء/138).

[1] ينظر: سراج الدين محمد، الفكاهة في الشعر العربي، مرجع سابق، ص 25.

[2] ينظر: شمسي واقف، الأدب الساخر، أنواعه وتطوره مدى العصور الماضية، مرجع سابق، ص 112.

[3] عبد الرحمن البرقوقي، شرح ديوان حسان بن ثابت، مرجع سابق، ص 229.

وهدد منهكما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ (الزمر/ 80).

وذكر الايعاد بلفظ الوعد في قوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ ﴾ (التوبة /68)

إلى غير ذلك من الآيات التي جعلت فيها السخرية بأسلوب قوي وجمالي وفي تصوير ساخر، فإنّ ذلك يدل على تطور لفظة السخرية ودلالتها التي كانت تسعى إلى الإصلاح والتهذيب والتغيير نحو الأحسن.

حيث أثبتت السخرية في عصر صدر الإسلام نجاعتها في الدفاع عن الدعوة الإسلامية وفي معالجتها لقضايا شائكة وفي التعبير عن مكنونات النفس.

والدليل على تطور أسلوب السخرية ظهور قيم جديدة في الشعر مثل الافتخار بالدين الإسلامي والاعتزاز به، والسخرية من الموبقات والكفر، وظهور الهجاء السياسي، ودخل الشعراء المسلمون مع الشعراء القريشيين في تحدي، وقد تطور هذا التحدي حتى ظهور ما يسمى بشعر النقائض، بالإضافة إلى تطور الأسلوب الساخر فأصبح أسلوب قصصي ومنه نجد أن السخرية في صدر الإسلام تطورت من حيث المضامين فقد جاء الإسلام بمعاني جديدة مع احتفاظه بمعاني قديمة، بالإضافة تتميز السخرية بـ:

1. السهولة والبساطة حيث كان الشعراء ذو ثقافة بسيطة.
2. كانوا يكتفون بالتلميح والتعريض.
3. أغلب الشعراء كانوا ملتزمين بالقيم الإسلامية حيث برز دفاعهم عن الدين الإسلامي وعن مجموعة من القيم الصادقة والفاضلة، وتجنب القذف والإقداح والمبالغة. [1]

إن أدب هذا العصر لم يخلوا من الفكاهة فقد بدأت النواذر تظهر خاصة مع بداية الاستقرار في الدين وظهور أشخاص مرحون يزرعون الضحك حولهم، أما السخرية فقد كان لها هدف وغاية وهي الدفاع عن الإسلام والمسلمين.

[1] ينظر: محمد ناصر بوحجام، السخرية في الأدب الجزائري الحديث من 1925 إلى 1962، مرجع سابق، ص 27.

ج- العصر الأموي:

انتشر الإسلام في أرجاء الجزيرة العربية، وتطور فن السخرية مع بداية الخلافة الأموية حيث تحول نظام الحكم من شوري إلى ملكي، وتفشت الصراعات والخلافات بين المسلمين حول الحزب فتطور غرض الهجاء في هذا العصر إلى أوجه، فتكونت الأحزاب التي تبنت أراء ومواقف متباينة ودخل الأدباء في تحديات أدبية نتج عن ذلك تهكم سياسي، وقد عنى بهذا التهكم السياسي بلاد الشام وذلك لانتشار الظلم الاجتماعي. [1]

وقد دخل هذا الميدان الشعراء والأدباء وتطور فن السخرية وتبلورت الفكاهة وظهر ما يسمى بفن النقائض[2]" جرير"،" الفرزدق"، "الأخطل" الذي يعتمد على الهجاء، وانتشرت النوادر في الأشعار وفي النثر حيث اتخذت السخرية بذلك طابعا سياسيا حربيا.

وكان أدب السخرية في هذا العصر لتفكه والتسلية والدغدغة الفكرية، كما عرف عن أشعب والغاضري أما في العراق فقد عرفت تهكما من النوع الذي ساد المجتمع القبلي وهو النقائص فنجد ذلك جليا فيما قاله الأخطل عن بني كليب وهي قبيلة "جرير":

قومٌ إذا استنبحَ الأضيافُ كلبهُمُ قالوا لأمّهِمِ: بُولي على النّارِ

فتُمْسِكُ البَوْلَ بُخْلاً أنْ تجودَ بهِ وما تبولُ لهم إلا بمقدارِ[3]

هنا الأخطل لم يكتف بوصف كلبه باللؤم والدناءة وابتدال الناس بل جعل نارهم أيضا حقيرة ضئيلة ينطفئ لكمية قليلة من الماء وفي هذه المقطوعة سخرية مبالغة فيها.

وممن اشتهروا بالفكاهة في هذا العصر "أشعب بن جير" الذي اشتهر بالطمع حتى غدا مضرب المثل في كل مقام وله في ذلك نوادر.

ومن هنا نلاحظ أن السخرية والتهكم والفكاهة وجدت من يدفعها إلى التطور في هذا العصر حيث مثلت النقائص معلما بارزا في الأدب العربي ومن الخصائص التي ميزت السخرية في العصر الأموي:

1. الطابع الغالب على الشعر الساخر هو التهكم السياسي ولأن الشعراء كانوا يمزجون بين السخرية والمدح والسياسة.

---

[1] ينظر: شمسي واقف، الأدب الساخر أنواعه وتطوره مدى العصور الماضية، مرجع سابق، ص 113.

[2] ينظر: سراج الدين محمد، الفكاهة في الشعر العربي، مرجع سابق، ص 06.

[3] طراد مجيد، شرح ديوان الأخطل، دار الجيل للنشر والتوزيع، ط1، بيروت، لبنان، 1990، ص 113.

2. كانت السخرية الوسيلة الوحيدة للأدباء للتسلية والتعبير.

3. كانت النقائض كثيرة الإقداح، تطورت من الهجاء إلى الفكاهة والسخرية [1].

ومما سبق نخلص إلى أن فن السخرية في العصر الأموي تميز بالهجاء الذي تطور إلى نقائض مع الفرزدق وجرير والأخطل.

د- السخرية في العصر العباسي:

تعددت العناصر التي تكون منها المجتمع في العصر العباسي بتغير الحياة الاجتماعية، فكان هناك خليطا بين العنصر العربي والأعجمي، مما أدى إلى تغير الحياة العامة، بالإضافة إلى انتشار بعض العلوم كالفلسفة والأدب والفقه والعلوم العربية بمختلف فروعها، مما ولّد مجالا واسعا لتنازع الأدباء والعلماء فكريا وفلسفيا وأدبيا، فأصبح هذا بمثابة صراع داخلي، حيث قام هذا الصراع بين الشعوب أي العنصر العربي والأعجمي كما نجد ذلك في أشعار بشار بن برد[2]

فقد كان للحرية أبعاد ودلالات كبيرة الأثر إذ بسبب هذه الحرية أصبح الأدباء والشعراء يجهرون بالكفر والمجون والزندقة والتشكيك في المبادئ والأسس التي يحيا بها الإنسان مما أدى إلى ظهور السخرية الاجتماعية كل هذه العوامل أسهمت في شيوع السخرية والتهكم والفكاهة في العصر العباسي وتطورها.

وفي المقابل كان جل الشعراء والأدباء في العصر العباسي فقراء مشردين مهمشين أو محرمين أو ماجنين مستهزئين، أو كانوا ضمن ما أصيب بعاهات خلقية واحتقرهم المجتمع، أو عاشوا ظروف صعبة مما أدى بهم إلى إنتاج أدب ساخر تهكمي، قسوا به على أنفسهم[3]

وتتميز السخرية في العصر العباسي بعدّة سمات وخصائص، نظرا للظروف المحيطة التي اكتفت هذه الحياة كالترف والحرية وعسر وحرمان وفقر؛ وتتمثل هذه الخصائص فيما يلي:

[1] ينظر: محمد ناصر بوحجام، السخرية في الأدب الجزائري الحديث من 1925 إلى 1962، مرجع سابق، ص 34.

[2] مرجع نفسه.

[3] ينظر: شمسي واقف، الأدب الساخر أنواعه وتطوره على مدى العصور الماضية، مرجع سابق، ص 116.

1. إبراز الأسماء التي برزت في هذا العصر واعتمدت على الأدب الساخر والتهكم: "بشار بن برد"، "أبي نواس"، "حماد عجرد"، "منصور الأصفهاني"، "ابن الرومي"، "أبي الطيب المتنبي"، "بي العلاء المعري"، "أبي دلامة"، "بديع الزمان الهمداني"، وغيرهم والذين على اختلاف بنائهم أنتجوا أدبا رفيعا. [1]

حيث يقول أبو نواس متمردا على القصيدة الطلالية:

دعِالأطلالَ تَسفيها الجنوبُ وتُبلي عهد جِدّتها الخطوب

وخلِّ لراكب الوجناء أرضا تخبُّ بها النجيبةُ والنجيبُ

و لا تأخُذْ عن الأعرابِ لهْواً ولا عيْشاً فعيشُهُمُ جَديبُ[2]

فمن خلال هذه الأبيات نلاحظ أن أبي نواس لا يرفض القيم العربية التي قامت عليها القصيدة وإنما يرفض ذلك التعليم المهيمن على الحاضر دون إعادة الخصوصية الإبداعية لكل عصر.

2. تتميز السخرية في هذا العصر بالطابع الجاد والحزين والحكمة والنصح.

3. تجمع السخرية في هذا العصر بين الفكاهة والضحك والتربية والنقد كما عرف عن الجاحظ في بعض سخرياته كما جاء في كتاب: "البخلاء" والحيوان" و"التربيع والتدوير"[3]، إلى شخصية قائمة على القتل.

4. تدخل في السخرية أيضا الصيغة والأساليب المكررة والحيلة والذكاء والخيال.

5. أنواع السخرية في العصر العباسي إضحاك الناس بالعيب المهجو أو المسخور منه والتحقير به.

6. يعتمد على المبالغة والدقة والتصوير الكاريكاتوري أشهر أقطابها "ابن الرومي""وأبي العلاء المعري".

7. كثرة الموضوعات كموضوع البخل الذي كتب فيه "الجاحظ" و"ابن سكرة".

8. تميزت كتابات الجاحظ بين الجد والضحك والفكاهة ، فتحت الباب أما الكتاب بدورهم للكتابة في هذا المجال[4].

ازدهرت السخرية في العصر العباسي وذلك لتوفر عدّة عوامل كثيرة، وإذا أصبحت علما قائما بذاته في هذا العصر، فكانت مصدر إلهام الساخرين، وتظل قيمتها واضحة المعالم رغم منافسة الروافد الأخرى، ويعود هذا التميز إلى انفتاحها على الحضارات الأخرى، فنبغ أشخاص من فن الإضحاك "كابن الرومي" و"الجاحظ" وأنتشر والطرفاء في العصور وذلك لتشجيع الأمراء والخلفاء لهم.

[1] ينظر: محمد ناصر بوحجام، السخرية في الأدب الجزائري الحديث من 1925 إلى 1962، مرجع سابق، ص35.

[2] فاعور علي، شرح ديوان أبي نواس، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، ط2، بيوت، لبنان، 1994، ص 35.

[3] ينظر: محمد ناصر بوحجام، السخرية في الأدب الجزائري الحديث من 1925 إلى 1962، مرجع سابق، ص36.

[4] ينظر: مرجع نفسه.

هـ- السخرية في الأدب الأندلسي:

لم يخلوا الأدب الأندلسي من سمات السخرية، فرسالة الزوابع والتوابع "لأبي عامر بن شهيد"382 هـ-992 م / 426هـ – 1034م"، والرسالة الهزلية "لابن الوليد عن "زيدون المخروم "1003م-394هـ / 1071م-463هـ" خير دليل على ذلك وغيرهم مما روته الكتب من أشعار الشعراء سجلوا أسماءهم في سجل الساخرين في الأدب العربي أمثال: "يحي بن حكم الغزالي" الذي برع في التصوير الكاريكاتوري.[1]

و- السخرية في عصر المماليك:

داع صيت الأدب الساخر في عصر المملوكي والعثماني، حيث كان يعكس الحياة الاجتماعية للعالم الإسلامي، في مختلف المجالات، فانتشر الأدب الفكاهي وشاع بفضل الحملات الصليبية.

فكان للأدب الساخر دور كبير في التنفيس عن النفس، وتسرية القلب، فقد كان المصريون يعتمدون هذا الفن من أجل التخلص من الحزن والألم الذي عاشوه من الحروب الصليبية فقد عكست هذا كله على السخرية ولم تعد كما كانت عليه من قبل في العصر العباسي من قوة ومتانة وتراكيب وصياغة وأساليب.

وتميزت السخرية في العصر المماليك بالتعبير عن الحالة النفسية التعيسة نتيجة طغيان القهر والتسلط من طرف حكام ومسؤولين.

واشتهر في هذا "البوصيري"، "السراج الوراق"، "الحمامي"، "ابن سودون"، "ابن الصائغ"، "ابن دنيال""يوسف الشربيني".

كما تميز أيضا بنقد الأديب لنفسه وسخريته من الحياة الاجتماعية التي يعيشها وسخريته من شكله أيضا كنوع من النقد الاجتماعي، وتصوير بعض الشخصيات المضحكة، وانخفاض الأسلوب وميله إلى العامية، وأحيانا التراكيب تتصف بكلمات من العامة.

إن الدافع من السخرية في العصر المملوكي هو دافع ذاتي، ونتناول موضوعات شخصية يهدف إلى الترويح عن النفس، وتسرية القلب والانتقام، أكثر منها تهدف إلى الإصلاح والتهذيب [2].

ز- السخرية في العصر الحديث:

ظهر فن السخرية في العصر الحديث كما برز في العصور السالفة، وذلك لوجود عوامل ساعدت على ظهوره، ومنها الظروف الصعبة كالتخلف وتدهور الحالة الروحية والمادية، فهو المستعمر للدول العربية وانتشار البؤس والشقاء والفقر والتشرد والانحلال الخلقي، وموجات التحرر ، حيث كان لهذه العوامل الوضع المتأزم وقع

[1] ينظر: محمد ناصر بوحجام، السخرية في الأدب الجزائري الحديث من 1925 إلى 1962، مرجع سابق، ص 37.

[2] ينظر:مرجع نفسه، ص 38.

خاص في نفس المثقف العربي الذي يعيش حياته مهمشا كغيمة صيف لا هو بجانب البحر ولا بجانب البر [1]وكانت السخرية سلاحه في التعبير عن آلامه وآماله ومعاناته، وشكلت مادة دسمة شكلت الأدب العربي الساخر شعرا ونثرا.

وبرزت في هذا المجال أسماء واعلام عديدة مثل الشاعر العراقي "أحمد مطر" الذي أصبح شعره بمثابة منيرا برفض الواقع العربي بطريقة ساخرة لمعالجة قضايا الأمة العربية، فنجد أن قصيدة الحرية التي عتبر أن هذه اللفظة لا يعرف معناها بل هي مجرد لفظة لم يعي ما معناها أهي لفظة يستعملها المستعمر فقط أم هي من حق الشعب العربي الذي سلبت منه.

ونذكر ما قاله في الرؤساء العرب وما يمارسونه من قمع واضطهاد المثقفين العرب لخنق الحريات وإجهاض دعوات الإصلاح:

قرأتُ في القُرآنْ:

"تَبَّتْ يدا أبي لَهَبْ"

فأعلنتْ وسائلُ الإذعانْ

إنَّ السكوتَ من ذَهَبْ

أحببتُ فَقْري .. لم أَزَلْ أتلو

وَتَبْ

ما أغنى عَنْهُ مالُهُ و ما كَسَبْ

فصُودِرَتْ حَنْجَرتي

بِجُرْمِ قِلَّةِ الأدبْ[2]

نلاحظ من خلال هذه الأبيات رفض الشاعر التام للحصار الإعلامي الذي فرضه أصحاب السلطة والنفوذ من أجل إسكات المثقفين بالقوة لعدم الربط بين الفرد والأخر أو بالأخر المجتمع.

ومن جهة أخرى نجد أن السخرية تتجلى في كتابات ابراهيم عبد القادر المازني فهو يسخر حين يسمع مقولة أو عندما يقرأ كتابا ويسخر من السياسة والأحزاب والصحافة، فنجد أن جل كتاباته تحفل بصور مضحكة وأساليب ساخرة.

[1] ينظر: شمسي واقف، الأدب الساخر أنواعه وتطوره مدى العصور الماضية، مرجع سابق، ص119.

[2] كعوال محفوظ لات، أروع قصائد أحمد مطر، مكتبة نوميديا للطباعة والنشر والتوزيع، دط، الجزائر، دت، ص 20.

ولا يزال معظم الشعراء يعتمدون الطريقة التقليدية في استخدام الفن الساخر، فلا زالت المواضيع نفسها نحو التغيير في الأسلوب فقد تغير من أسلوب مباشر إلى أسلوب غير مباشر، فكل موضوع يصلح لأن يكون موضع سخرية.

إذا أردنا تقسيم الشعراء حسب مجال استخدامهم للسخرية:

1. **جماعة قد استخدمت السخرية أسلوبا في شعرها فتجلت في كل شعرها** أمثال: "نزار قباني"، "أحمد مطر".

2. **جماعة استخدمت السخرية في مجالات متنوعة** مثل: "اليباني"، "صلاح عبد الصبور"، "أمل دنقل"[1].

فقد نرى أنّ هذا الأخير الأكثر شيوعا واستعمالا عند شعوب دول العالم الثالث، وذلك لأن الشعوب لم تستطع أن تنتقد ما يجري في البلد عن طريق الحروب والصراعات، فلجأت إلى القلم والكلمة واعتمدت فن السخرية والطريقة غير المباشرة للدفاع من حقوقها في قالب ساخر ولاذع.

ثم إن السخرية هي لسان المجتمع العربي في مواجهة تناقضات الواقع، وتخادل الحكام وحل القضايا في العالم العربي المثقل كاهله بالمعاناة والمآسي والأحزان.

3/2 السخرية في الأدب الجزائري الحديث:

وذكرنا أن الفترة التي كانت قبل 1925 شهد فيها الأدب الساخر القليل من الحظ في الانتشار، ولكن وبميلاد الحركة الإصلاحية بعد هذه السنة عملت على تنشيط الحركة الأدبية والنهوض بالأدب العربي ومحاولة التجديد والتغيير إلى الأحسن بالاعتماد على وسائل متطورة في التعبير والكتابة بتفكير فني راق وتبني أساليب ناهية ومعبرة ومن بين هذه الأساليب نجد أسلوب السخرية والتهكم الذي تطور شيئا فشيئا.

وقد تأخر انتشار فن السخرية وتطوره في الأدب الجزائري الحديث حتى سنة 1925وذلك بسبب الظروف التي مرّ بها الشعب الجزائري بعامة والأدب بخاصة، ولكن بعد ذلك بدأ بالتحرك والشيوع والنهضة وذلك لعدّة أسباب نذكر منها:

أولا:الضغط السياسي: حيث كان الاستعمار يمارس كل أساليب القمع والدمار التي يستطيع من خلالها طمس هوية الشعب الجزائري وسلبه مقوماته، والقضاء على معالمه الحضارية ومحاولة إنهاء الصلة التي تربطه بالماضي والتراث، كما أنه اتخذ وسائل رهيبة عجز الشعب عن مواجهتها وصدّها، فكان لا بدّ من طريقة يقف بها المواطن الجزائري في وجه هذا الاستعمار تبعد عن المباشرة علنا في المواجهة والمقاومة، فكانت السخرية إحدى هذه الطرق الغير مباشرة في الانتقام وذلك من خلال توعية الجماهير وتثقيفها وتنبيههابأن الاحتلال يحاول طمس كل ما هو

[1] ينظر: شمسي واقف، الأدب الساخر أنواعه وتطوره على مدى العصور الماضية، مرجع سابق، ص 120.

إسلامي ديني وأنه علينا الصمود في وجه بطشه وجوره، وذلك بالاستعمال الجيد للسخرية وحسن توظيفها في التوعية.

ثانيا: تردي الأوضاع الاجتماعية في الجزائر وذلك من خلال الانتشار الكبير لمختلف الانفلاتات الدينية والاجتماعية والأدبية والاقتصادية، مما أدى إلى عجز الأدباء في البوح بما يعانونه من سخط وتدمر مباشرة وعجزهم عن معالجة الأوضاع بالوسائل العادية، فلجئوا إلى أساليب غير مباشرة للتعبير عن حسرتهم مثل القيام بنقد لاذع إلى الأشخاص الذي يتحلون بالأخلاق منافية للمجتمع وغير لائقة [1] بأسلوب ساخر قصدا من ذلك التهكم على ذلك الخلق، و قد وجهوا انتقادهم إلى التعصب الديني، والتصلب الاجتماعي وكل التناقضات في الحياة، حيث عبّروا عن أحاسيسهم بالسخرية والتنذر لأنها الوسيلة المهذبة التي يستطيعون من خلال تطهير الحياة.

ثالثا: النزاع والصراع الفكري الذي كان بين الطبقة المثقفة في الاختلاف والاتجاه فكريا ودينيا وسياسيا وأدبيا ...إلخ، فانتشرت في المجتمع أفكار عديدة وأصبح كل واحد يرى رأيه صائبا وفكره لائقا، وهذا ما أدى إلى انتشار العداوة وغياب الوعي وثم توفير الفرصة لاستعمار للاستيلاء والسيطرة، وقد ظهر عنصر السخرية من خلال الهجوم والتعارك بين الأشخاص والهيئات [2] وقد كانت بعض الخلافات التي تنشأ بين الأشخاص عادة ما يفرزها الاحتكاك الدائم، وتكون السخرية في هذه الحالة للانتقام ، قال أدلر:

" البعض والانتقام هما الشيطانان التوأمان اللذان يولدان السخرية "[3].

وبهذا فإن كل هذه الأسباب ساعدت على انتشار وشيوع السخرية في الأدب الجزائري بالإضافة إلى العوامل السابقة والتي ساهمت في تطور السخرية وبلوغها المستوى الفني وعملت على انتشارها نجد أيضا أسباب أخرى مثل محاولة الأدباء التنفيس والترويح والتخفيف عن ما بداخلهم من ملل وكراهية ومرارة وحسرة اتجاه ما يطبع الحياة في تلك الفترة خاصة وهي فترة يملؤها الكآبة والحزن مما خلفه الاستعمار، فأخذ الأديب يواجه ما في حياته من قسوة وحرمان وتبديد.

أ- السخرية في الأدب الجزائري قبل سنة 1925:

كان الأدب يحمل طابع السخرية والتهكم قبل سنة 1925، ولكنها كانت بسيطة وساذجة في عمومها تحتاج إلى شروط تصل بها إلى المستوى الراقي فنيا، ويرجع سبب ذلك إلى ما كان الشعب الجزائري يعيشه من ظروف قاسية قبل 1925، وخاصة قبل الحرب العالمية الأولى، ومن الواضح أن جانب السخرية يلزمه مستوى

[1] ينظر: محمد ناصر بوحجام، السخرية في الأدب الجزائري الحديث، 1925-1962، مرجع سابق، ص 55،56، 57.

[2] ينظر:مرجع نفسه، ص57.

[3] مرجع نفسه.

ثقافي وقواعد نفسية وعقلية جيدة وتهيئة اجتماعية خاصة حتى تتطور وترقى، وهو ما لم يكن متوفر في الأدب الجزائري في تلك الفترة.

هذه الشروط التي لم يحتويها الأدب الجزائري في هذه الفترة جعلت من السخرية فيه بسيطة وغير راقية، وقد بدا ذلك واضحا في بعض الأعمال مثل المقالة والشعر.

ب- **المقالة:**

كانت المقالة وسيلة أدبية يعبر بها الكاتب أو الأديب عن تدمره من التدهور الذي آل إليه الأدب الجزائري بعامة والشعر بخاصة وكان سبب ذلك هو انعدام النقد أو ضعفه، وهذا ما جعل العديد من الناس يطرقون أبواب الشعر، فيشرعون في التعبير عن مشاعرهم بأسلوب تهكم وازدراء وسخرية [1] قال أحد الكتاب: « ... لأني طرقت أبوابا من فنون جمّة، فلم أجد في أسواقكم إلى بوارا وفسادا، وقد خيّل إليّ أن انتحل باب الشعر حرفة، فتجلببت بجلبابه، وقمت أصوغ منه ما يمليه عليّ ميزانه لأن ناس اليوم يقبلون المنظوم أيا كان، بشرط أن يتحد رويّه، ولو اختلفت حركاته »[2].

فمن خلال هذا القول نجد أن السخرية متجلية في ألفاظ التي استعملها الكاتب في كل تراكيبه مثل:"فتجلببت بجلبابه، يمليه عليا ميزانه ..."، وهي كلها استهزاء واحتقار وبيان للسخرية والمرارة فهي تعبر عن الواقع المعيش لكن بالرغم من هذا إلى أنها سخرية ساذجة وبسيطة.

كما نجد أيضا السخرية في مقال "عمر راسم" الذي ذكر فيه عيوب المسلمين وأخطائهم ونهى عليهم سدرهم في غيّهم، وانحرافهم عن جادة الإسلام مع افترائهم بالانتماء إليه فقال ساخرا:«... لا شكّ وأن السلطة البشرية تنعدم في أمة تبادلت مع حيواناتها الأخلاق فلا يكون لوفاء العهد – وهو الخلق العظيم–، مظهر إلا في كلابها ، ولا يوجد الاعتماد على النفس إلا في وحوشها الضارية ولا التطوحو الإغتراب في طلب القوت إلا في جوارحها وطيورها، إذا فليقض على هذه الأمة قاضي النواميس الطبيعية أن تكون حقيرة دليلة، محكومة مأسورة ... »[3].

فمن خلال هذه القطعة من المقال نرى أن "عمر راسم" يسخر بالذين انحرفوا عن مكارم الإسلام وأخلاق الرجال والأحرار، ووضح أن هذه الأخلاق موجودة لدى بهائمهم التي لا تدرك وانتقت وهم يعلمون ما يفعلون ولأصحاب عقول راجحة مدركة.

---

[1] ينظر: محمد ناصر بوحجام، السخرية في الأدب الجزائري الحديث 1925-1962، مرجع سابق، ص48.

[2] مرجع نفسه، ص 49.

[3] مرجع نفسه، ص48

كانت هذه السخرية سببها التذمر والحسرة والألم النفسي، وقد استطاعت أن تبلغ هذه الرسالة إلى المتلقين، لكنها تبقى ساذجة لا ترقى إلى المستوى المطلوب في السخرية الأدبية الفنية.

وقد تطورت هذه المقالة شيئا فشيئا بتطرقها إلى أسلوب المقامة وذلك بتوظيفها في أساليب البيان والبديع كالسجع والاستعارة واستعمال الراوي لأسلوب السخرية والفكاهة، وقد كان هذا الأسلوب غير مرفوض عند عامة الناس وذلك لما يحمله من إضحاك وطرفة ساعدت على التنفيس على آلام الناس وكآبتهم.

كما أن حساسية الموضوعات الاجتماعية ساعدت على انتهاج هذا الأسلوب، لأن معظم هذه الموضوعات مفعمة ومقيدة بالعادات والتقاليد وبالتالي صعوبة معالجتها وقد كانت المقامة الوسيلة الغير المباشرة في تناول هذه الموضوعات عن طريق استهوائهم واستمالتهم، فمثلا من يريد من الكتاب أن ينتقد خرافة أو بدعة فعليه أن يحتجب ويستتر وراء الرواية حتى يتجنب سخط الناس من حوله.

ومن هنا فتقمص السخرية للمقامة والتستر وراء رواية هو تعبير رامز ساخر في آن واحد [1].

وقد تشكلت السخرية في شكل رمز موحي على وجهات مختلفة منها شكل الرؤى والأحلام وهي وسيلة نقدية ساخرة قديمة، عرفها الأدب العربي، وقد تجلت في رسالة الغفران "لأبي العلاء المعري " رسالة التوابع والزوابع" "لابن شهيد الأندلسي". [2]

كما نجد أحد الكتاب الذي وظف هذه الطريقة في كتاباته وهي الرؤى والأحلام وذلك من خلال إيحاءاته الرمزية عمّا كان يقوم به الناس في المجتمع من بدع وخرافات فندد بهذا السلوك والتفكير الساذج وتهكم وسخر من المفارقات التي يعيشونها، فهو لم يستطع تحمل هذا التصرف السيء والخطير فلجأ إلى السخرية ليخفف قليلا من هذه السلوكات ويؤثر فيهم من وراء مغزاه الرامي.

ومن هنا كانت للمقالة الصحفية دورا كبيرا في انتشار السخرية في الأدب الجزائري قبل سنة 1925 متجلية في أشكال كالتعريض والتلميح والرمز، بالرغم من بساطتها وسذاجتها وتبيان الضعف والقوة في بعض نماذجها، إلا أنها تبقى شاهدة على مرحلة من مراحل تطور الأدب الجزائري [3].

ج- الشعر:

كان للشعر دورا كبيرا في انتشار السخرية لكن كان أقل حظا مما توفر للمقالة وحتى هذا القليل كان ضعيفا لا يحقق الالتفات والنظر إليه كثيرا وهذا راجع إلى الحالة التي كان عليها الأدب في تلك الفترة من ركود وجمود في

[1] محمد ناصر بوحجام، السخرية في الأدب الجزائري الحديث 1925-1962، مرجع سابق ،ص 49.

[2] مرجع نفسه.

[3] مرجع نفسه، ص52.

الأدب مضمونا وشكلا وضحالة وبساطة في التفكير في اللغة المستعملة كما وكيفا، وفي الأسلوب الذي تعالج به القضايا، والمضمون الذي يتوزع هذا لإنتاج الأدبي »[1].

أي أنّ جل الوسائل الأدبية التي كان الأديب يعبر بها عن قضايا المجتمع وخاصة الشعر الساخر كان لا يفي بالغرض وذلك راجع إلى الانحطاط والضعف الذي يعانيه الأدب في تلك الفترة.

ومن القصائد التي تناولت السخرية قصيدة "المنصفة" للشاعر "محمد المولود بن الموهوب" التي وضحت واقع الشعب الجزائري المدمر دينيا وخلقيا واجتماعيا ، فنجد قوله في مطلعها:

صُعودُ الأسفلين به دُهينا لأنّا للمعارف ما هُدينا

رمتْ أمواجُ بحر اللَهْوِ مِنَّا أُناساً للخُمور مُلازمينا[2]

فهذه الأبيات كلها حسرة وألم من الوضع المرير الذي كان يعيشه المجتمع الجزائري التي يتبعها الناس والتي لم تتخط دائرة اللهو والعبث بالدين.

كما نجد أيضا أبيات أخرى يقول فيها:

وسلْ زارا ونسرَ طبلٍ. وزينتَنا تبيعَ التابعينا

وسل عنا السلاحفَ في غُرابٍ وأعطارا تراق وعائمينا

وسل "غابًا " لحكم الجنّ أضحى يقينا كلَّ ضرّ قد يقينا

وسل ذاك الحمام لدى حمام نذبحه بلا اسم عاميدينا[3]

من خلال هذه الأبيات نلحظ أن السخرية تكمن في سرد بعض الخرافات والتقاليد الغير أخلاقية التي كانت تسود المجتمع الجزائري فهي تكهنات وأوهام ليست واقعية كما أن التكرار لكلمة (سل) من خلال الأبيات تدل على تجسيد الألم النفسي والإحساس بالندم والحسرة مما يعانيه الشعب، فكانت هاته السخرية واضحة ولو بسيطة.

وقد كانت هذه السخرية تهدف إلى الاحتقار والتعريف والكشف عن ما يحس به الشاعر من شفقة وغيض حين يرى ما يفعله الذين من سحر وشعوذة وخطوط الرمل، فشاع هذا النوع من السخرية في الشعر وهي سخرية

[1] محمد ناصر بوحجام، السخرية في الأدب الجزائري 1925-1962، مرجع سابق،ص 18، 19.

[2] عبد الله الركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث، دار الكتاب العربي، ط1، الجزائر، 1981، ص 563.

[3] مرجع نفسه.

ساذجة وضعيفة لا إيحاء فيها، ولا تخلق أي تأثير فني، ورغم أنها بدت بشكل نقائض في مظهرها إلا أنها لا ترقى إليها من حيث المستوى الفني والقيمة الأدبية.

كما أن أسلوب السخرية كشف عن الصراع الذي كان قائما بين المصلحين والطرقين [1]، هذا الصراع الذي يحمل النقاش والتجادل والنقد ... إلخ، ومن بين الأمثلة التي وردت فيها هذه النوعية من الأساليب نجد نقيضتان إحداهما "للمولود بن عمر الزريبي" بعنوان (صوت من الشرق)، والثانية للشاعر من الغرب الجزائري بعنوان (صوت من الغرب) أو (وقفة المجنون الدجال)، فكانت قصيدة هذا الشاعر الغربي الجزائري مليئة بالهجاء والذم واتهام الخصم بالجنون، فهو يذكر بعض أعمال المصلحين التي هي منافية للدين حسب نظره كما أن قصيدة الزربي التي ردّ بها على قصيدة (صوت من الغرب) اتبعت أو انتهجت طريق الأولى وسلكت أسلوبها [2]

وهكذا فإن السخرية قبل سنة 1925 كانت تعند إلى الهجاء والمبالغة في تحقير الخصم والقضاء عليه وجعل أحلامه وأعماله تافهة لا معنى لها، فهي سخرية تقريرية مباشرة، لها تراكيب بسيطة غير موجبة لا تترك في النفوس شيئا من التأثير فلا تحرك المشاعر بتاتا. [3]

3/ وظائف السخرية:

تعددت وظائف السخرية بتعدد الغايات التي يريد الساخر تحقيقها، وتختلف باختلاف الحالات النفسية التي يكون عليها، ومنه يمكن حصر جل هذه الوظائف من وظيفتين أساسيتين رغم تداخل وظائف أخرى:

1/3 الوظيفة الاجتماعية: يتميز الأدب الساخر بالنزعة النقدية وتحاول أن تتطرق إلى كل ما تحمله الحياة من إيجابيات وسلبيات في مختلف المجالات، والتطرق إلى كل ما يحصل في الواقع وتفككه وتقدمه وتعالجه وتعيد بناءه والغاية من ذلك هي التهذيب والإصلاح [4] والتقويم وهذا ما عنى به "حامد الهوال" حين قال: « السخرية أسلوب نقدي له مميزاته الفنية يعتبر من واقعه بناء للحياة، وحارسا للمثل العليا »[5].

أي أنّ هذا النقد يعمل على ترسيخ هذه المقومات من أجل محاربة الآفات والانحرافات التي تحاول القضاء على المجتمع.

---

[1] ينظر: محمد ناصر بوحجام، السخرية في الأدب الجزائري الحديث 1925-1962، مرجع سابق، ص54.

[2] مرجع نفسه، ص 55.

[3] مرجع نفسه.

[4] ينظر: مرجع نفسه، ص 13.

[5] حامد عبد الهوال، السخرية في أدب المازني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، مصر، 1982، ص 8.

ومنه فالسخرية سلاح ذو حدين، فهي من جهة تحاول إظهار النقائض الموجودة في المجتمع ومن جهة أخرى تحاول إصلاح المجتمع، فهي أداة تعمل على تنبيه عامة الناس بالواقع المعيشي، ومحاولة توعيتهم من غفلتهم وإحياء الأمل في نفوسهم.

وبهذا تكمن الوظيفة الاجتماعية الراقية للسخرية، فالأديب الساخر له دور هام في تبليغ رسالته في الحياة رغم أنها شاقة، إلا أنها شرعية وسيامية، وبهذا يبلغ الكمال الذي يجب أن يكون عليه الواقع، ليستطيع الالتماس كل تلك النقائض الموجودة في المجتمع. [1]

ومن وظائف السخرية الاجتماعية تعلم مكارم الأخلاق والحفاظ على مقومات الهوية والعادات والتقاليد والمعتقدات وتوثيق الصلة بين أفراد المجتمع، ويتجلى في هذه الوظيفة الصفة التربوية المحضة، يقول "عباس محمود العقاد": « وإن أجحل ما نحن كاسبوه من تسليط الضحك على الطبائع هو أن ننبهها إلى النقص تنبيه عطف ورعاية، وأن ننظر منها الجلدفي معالجتها، بما يقع في الطاقة ويرجي منه التحسن في ناحية أخرى من النفس»[2]أي أن السخرية تساعدنا على كشف النقائض الموجودة في الإنسان أو المجتمع، وذلك بغية إصلاحها وتهذيبها ومعالجتها.

كما نجد أيضا وظيفة أخرى مهمة بالنسبة للسخرية، وهي توجيه الإنسان والدفاع عن حقه الغامض والغابر، وذلك باستجلاب أحاسيسه وعواطفه بأسلوب فطن وخفي نحو حريته ووطنه وشخصيته، فتجعله يعمل على المحاربة من أجل حقوقه بمختلف الوسائل، فالسخرية وظيفة تربوية تعمل على توجيه وتثقيف وتقوية عقل الإنسان وذلك عن طريق تدريب ملكة العقل على التخمين السليم الصحيح من أجل تخطي المخاطر التي تواجهه في الحياة.

كما تقوم النكتة الساخرة بوظيفة ترجيح العقل وتهذيبه، وهذا يتضمن الذوق الفطري السليم والجمالي والحس المرهف في نفسية الإنسان، وبهذا يقوم بعمله على أكمل وجه فالسخرية والفكاهة ترمز وترمي للضحك الهادف التربوي، يكون بالإشارات والإيماءات، والحركات بالكلمة أو الفعل. [3]

بالإضافة إلى وظيفة تربوية أخرى حيث تقوم بترويض النفس على ملكة النقد الفطري عن طريق توعيتهم لزلاتهم وهفواتهم، كما تعطينا أساليب شتى للتعامل مع الآخرين سواء كانوا مهذبين أم أشرار فإذا كانوا أشرار

[1] ينظر: محمد ناصر بوحجام، السخرية في الأدب الجزائري الحديث من 1925 إلى 1962، مرجع سابق، ص 14.

[2] عباس محمود العقاد، ساعات بين الكتب، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، دط، مصر، 2012، ص216.

[3] ينظر: محمد ناصر بوحجام، السخرية في الأدب الجزائري الحديث 1925-1962، مرجع سابق، ص15.

تستجلب أغراض السخرية بدل من إبداء الحقد لهم وظلمهم، وتسهم السخرية في ربط علاقة مع التربية وذلك من خلال إسهامها في توعية المجتمع وتوجيهه وتهذيبه، وبهذا ترتبط السخرية بالتربية ارتباطا وثيقا.

2/3 الوظيفة النفسية: تلعب السخرية دورا كبيرا من الجانب النفسي فهي تسعى إلى الترويح عن النفس وتسليتها والتعبير عن آلامها وأمالها، وبعث الثقة والأمل فيها، فالضحك يعمل على طرد الهموم وينسي الإنسان المآسي والأحزان التي يمرّ بها.

حيث يرى محمد ناصر بوحجام أن التهكم يمنح الإنسان السعادة والفرح والابتسامة فهو ضروري في حياته يخفف عليه ويرفه عنه، وعما يعانيه من قسوة الحياة وأعبائها ومآسيها، ويسهل عليه تجاوزها.

إنّ الفكاهة التي تمثل المتعة والخفة نجدها في كل الميادين، وكل المجالات حتى عند الفقهاء والقضاة، في المقابل نجد أن الضحك الذي يلقى بحجابه على الواقع فيضفي عليه صفة اللاواقعية، وذلك من أجل بلوغ المرامي والغايات، فهو يبعد الإنسان عن الهموم التي تكتنف حياته، فهو يروح عنه أعباء الحياة، ويهيئه للمستقبل، ويزرع في النفس الأمل ويشفيها من آلامها، فبالبسمة والضحك نأخذ من الحياة أكثر مما تعطينا أيام.

هذه الوظيفة تعين الإنسان على مواجهة الشدائد والمصاعب، فهي تعيننا لأن نكون عونا لمواجهة المواقف الصعبة والحرجة وتبعدنا عن مواطن الهلاك في الحياة [1].

في المقابل ومن منظور آخر نلاحظ بجلاء أن السخرية تعطي الفرصة للمستبد من أجل أن يتمادى في استبداده في مجال الاحتقار والاستهزاء والقهر والتسلط، وذلك بتركهم على ما هو عليه من غفلة وشقاء وإحباط وحرمان، فنقبعه أكثر فأكثر، في التفكه والسخرية، ومنه نجد أن الفكاهة أثر كبير في انتشار الجور والظلم والاستبداد، وذلك أن الساخرين مهووسين بفكرة الانتقام لأنفسهم، ويعود هذا إلى وجود عقدة نفسية وإلى حالتهم السيئة والأوضاع المزرية التي يمرون بها، وفي هذا الصدد يقول عباس محمود العقاد:« إن النكتة تنظف وطأة الظلم وتوهم المظلوم أنه ينتقم لنفسه بعض الانتقام فتهون عليه الشدائد وتروضه على السير والانتصار فهي من ثم معين للحكام على المحكومين »[2].

[1] ينظر: محمد ناصر بوحجام، السخرية في الأدب الجزائري الحديث 1925-1962،مرجع سابق، ص 15.

[2] ينظر: مرجع نفسه، ص 16.

أي أن السخرية ليست دائما إيجابية تعمد للتغيير والإصلاح، ففي المقابل على حدّ قول عباس محمود العقاد أن هذه إحدى السلبيات التي توجد في السخرية [1]، وهي إعانة الحكام وذوي النفوذ وذوي السلطة على تحطيم الغير والفقراء والمحرومين فهذه إحدى سلبيات الوظيفة النفسية للسخرية.

وتعدد هذه الوظائف التي تبنى عليها السخرية والتي لها الحظ الأوفر في النهضة والتطوير والتغيير، وتعد السخرية في المقابل من مستلزمات الحياة في شتى المجالات وعلى مرّ العصور.

4/ أساليب السخرية:

إذا خضنا في غمار التحدث عن أساليب السخرية فيجب علينا في البداية إعطاء تعريف موجز لأنواعها وعليه سنقسم السخرية إلى ثلاثة ضروب:

1/4 السخرية الانتقادية:

وهي«عملية تأديب مؤلمة مخزية »[2] تقوم على نقد الخصم نقدا لاذغا واستهجانه والنقد والخزي منهوإيلامه في آن واحد، وإلحاق الأذى به من أجل إشعاره بالألم والخزي والحزن والمرارة، يعمد الساخر من خلال هذا الضرب من السخرية إلى وضع الشخص أو الخصم موضع النقد والسخرية [3] وهذا النوع من السخرية يكون في جميع أنواع الشعر الساخر الذي يشمل مختلف الظواهر في الحياة سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو أدبية، كذلك نجد السخرية الانتقادية في الفنون النثرية عن طريق السخرية من الأوضاع المزرية في شتى المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية [4].

[1] ينظر: محمد ناصر بوحجام، السخرية في الأدب الجزائري الحديث 1925-1962،مرجع سابق، ص 16.

[2] شميسي واقف، الأدب الساخر أنواعه وتطوره مدى العصور الماضية، مرجع سابق، ص 106.

[3] ينظر: رابح العوبي، فن السخرية في أدب الجاحظ من خلال كتاب الربيع والتدوير، والبخلاء والحيوان، مرجع سابق، ص 50.

[4] ينظر بوزياني نور الهدى، فطومة جمافو، الأسلوب الساخر في النثر الجزائري الحديث، أحمد رضا حوحو أنموذجا، ماجستير قسم اللغة العربية وآدابها، مغنية، 2015، 2016، ص 18.

2/4 السخرية العقلية:

يرتبط هذا الضرب من ضروب السخرية بتيار المعتزلة ومنهجهم العقلي باعتبارهم من طبقة اجتماعية مادية فقد كانوا يسخرون من الناس ما دون طبقتهم الاجتماعية، من منطلق أن سخريتهم لا تحمل في محتواها الجانب المخزي والألم والحقد والضغينة، فقد كان انتقادهم عاطفي أي يريدون من خلال سخريتهم من الناس أن ينبهونهم إلى عيوبهم من أجل إصلاحها حيث يسمون هذا النوع من الانتقاد بالهجاء البريء، فعند هجائهم هذا يضحكون وينتقدون ولكنهم لا يحقدون ولا يكرهون »[1] أي أن سخريتهم كانت عفوية تقوم على الهجاء دون إلحاق الضرر بالطرف المقابل من أجل الإصلاح والتنوير.

3/4 السخرية الفكاهية:

« ويقصد بها الإضحاك والتسلية والتفكه وذلك ترويحا عن النفس، وتسرية للقلب، تبعث في النفس الفرح والسرور والتسلية وتبعد الحزن والألم والمأساة والهم، وحيث اتخذ قيمة هذا الضرب من السخرية في حياة الناس وضرورة تذوق الفرح والهزل والتنابز والهزل »[2]أي أنّ هذا النوع من السخرية هو الأكثر انتشارا والأكثر استعمالا في حياة الإنسان في مختلف المجالات لأن غرضه الإضحاك والتسلية.

وبعد هذا التقديم الموجز لأنواع السخرية لا بدّ أن نطرح جملة من التساؤلات وهي: ما هو أسلوب هذا الفن؟ وبما تتسم أساليبه؟ وما المقصود بالأسلوب؟

ينتقي الأديب الفنان والمعكر ألفاظه انتقاء خير مبدع ليعبر بها عن المكبوتات وعن الأحاسيس والمشاعر التي يحاول من خلالها إيصال فكرة إلى القارئ، ويحاول قدر المستطاع أن يعبر عن هذه المكبوتات وعن صدق هذه المشاعر وعن الأحاسيس وعما يجول في خاطره يحاول أن يرسخ شخصيته في كتاباته، مستعملا مفردات وعبارات وتشبيهات بلاغية عن طريق الأسلوب الذي يختلف من أديب إلى آخر ومن كاتب إلى آخر، الأسلوب الذي يعد الأداة للوصول إلى صاحبه، « فالأسلوب بالنسبة لبرفون (Borffon) يمثل الرجل من خلال كتابه « مقالات في الأسلوبية » وبالنسبة لشوبنهاور (ShopenHawer) فالأسلوبية هو ملامح التفكير، أما فلوبير (Folaubert) فيرى أنه طريقة مطلقة في تقدير الأشياء »[3] وهذه التعريفات تشير كلها إلى أن الأسلوب هو الطريق والغاية والهدف.

ومن هنا تعدد أساليب السخرية وصورها ومنها:

---

[1] شميسي واقف، الأدب الساخر أنواعه وتطوره مدى العصور الماضية، مرجع سابق، ص 106.

[2] مرجع نفسه، ص 107.

[3] ينظر: نداء أبو أحمد،آفات اللسان في السخرية، الاستهزاء، المزاح المحترم، شبكة الألوكة ، دط، دت، دس، ص 6.

أ- السخرية بالمحاكاة:

وهي التقليد في الفعل والقول والقيام بنفس الشيء أي تقليد الشخص في أفعاله أو في أقواله أي أن الإنسان يقلد إنسانا يحاكيه في أقواله وأفعاله أو بإشارة معينة أو بإماءة معينة أو بتلميح معين، فيفهم ويدرك من يرى هذا أنه يستهزئ ويضحك عليه [1]، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: حاكيت إنسانا يعني قلدت فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم « والله ما أحب أني حاكيت إنسانا ولي كذا »[2] رواه الإمام أحمد ، أي أن الله ورسوله نهانا عن السخرية، فلا يحل لمؤمن أن يسخر من مؤمن لا لفقره ولا ذنب ارتكبه أو لعيب فيه.

ب- التصوير الكاريكاتوري:

وهو الرسم الذي يغالي في إبراز العيوب والمبالغة في قالب فكاهي، والتهويل في إبراز السمات الواضحة في الصورة وتكبيرها من أجل السخرية والإضحاك، يقول الجاحظ:

« ومن غريب ما أعطيت، وبديع ما أوتيت أنا لم نرى مقدودا واسع الجفر(*)غيرك ، ولارشيقا مستفيض الخاصرة سواك فأنت المديد وأنت البسيط وأنت الطويل، وأنت المتقارب فيا شعر أجمع الأعاريض ويا شخصا جمع الاستدارة والطول »[3].

نلاحظ أن الجاحظ بهذه الصورة قد أخرج خصمه من الهيئة البشرية إلى الغرابة التامة في الخلقة باعتماد المبالغة المفرطة والتضخيم والتلاعب بالألفاظ من خلال صور بديعية من قبيل الجناس بين أسماء البحور الشعرية: المديد والطويل والمتقارب والبسيط والقصد من جمع البحور الشعرية في بيت واحد من أجل إخلال النغم والوزن، والحال كذلك مع الخصم فإن وجود عيوب التضاد في جسمه يبعده عن صفة الاعتدال.

ج- التنابز بالألقاب: يمكن إدراج التنابز بالألقاب في مفهوم السخرية وقد نهى الله عنه، فالنبز بلقب حرمه الإسلام لأنه يلحق الضرر بالطرف الآخر، مثل: قول المسلم للرجل المسلم: يا فاسق، يا زاني، والتنابز بالألقاب هو دعاء المرء صاحبه بما يكرهه من اسم [4]، وصفة، وبم نهانا الله عنه، ومنه جاء قوله تعالى: ﴿ وَلا تَنَابَزُوا

---

[1] ينظر إيمان بطشي، النزعة الساخرة في قصص السعيد بوطاجين، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2010، 2011، ص 17.

[2] حديث شريف رواه الإمام أحمد عن الرسول صلى الله عليه وسلم.

(*) الجفرة: ج جفر وجفار من الشيء وسطه.

[3] رابح العوبي، فن السخرية من أدب الجاحظ من خلال كتاب التربيع، التدوير والحيوان، دار المطبوعات الجامعية، ط1، بن عكنون، الجزائر، 1989، ص 367.

[4] ينظر: نداء أبوا أحمد، آفك اللسان السخرية، الاستهزاء، المزاح المحترم، شبكة الأوان، دط، دت، دس، ص5.

بِالأَلْقَابِ ﴾ الحجرات/ 11، أي لا يعاير بعضكم بعضا بصفة غير محمودة نهى الله عنها، ومنه قوله تعالى: ﴿ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ ﴾ الحجرات/ 11، أي بئس الصفة والاسم الفسوق، والفسوق هو التنابز بالألقاب التي كان أهل الجاهلية يتناعتون بها، بعد ما دخلتهم في الإسلام.

ثم قال:﴿ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ ﴾ الحجرات/11، أي من لم يكف عن هذه الألقاب فقد ظلم نفسه وتلك عاقبته عند الله والتنابز بالألقاب من السخرية أيضا.

د- الهمز واللمز:

الهمز هو السخرية بالإشارة والإيماءات من الناس [1]، كتحريك اليد قبل الرأس إشارة إلى صفة الجنون، ورمزا بالعين وذلك استخفافا بالطرف الآخر.

واللمز: هو السخرية بالقول من الناس [2]، كتسمية شخص باسم آخر يدل على مرض أو عاهة أو اتهامه بخليقة سيئة أو هجوه أو التعريف به.

ومنه جاء قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنْ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (29) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (30)﴾(المطففين /29-30).

وقد قيل عن تفسير هذه الآية أنه جاء نفر من المسلمين فسخر منهم المنافقون وتغامزوا عليهم، وضحكوا ثم رجعوا إلى أصحابهم فقالوا رأينا اليوم الأصلع فضحكوا منه ونزلت هذه الآية قبل وصول علي إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وقوله تعالى ﴿ وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ ﴾(الهمزة/1) فقد اقسم الله وتوعد لكل من يهمز أو يلمز أحدا بلقب أو صفة، وتوعده بالعذاب الشديد.

هـ- التصوير النفسي:

يعني هذا التصوير وصف الأمور الباطنية للنفس الإنسانية كالعادات والتقاليد والأخلاق [3] خاصة النقائض والعيوب الذاتية وأثرها في المجتمع من خلال تصوير البعد الحسي لصاحبها وحركاته وأقواله، هذه الصور الخلقية تعتمد على دقائق الواقع ومدلولاته المباشرة في شكل لوحة تستمد معالمها الخارجية والنفسية في واقعية نفسية وتصويرية.

[1] ينظر: نداء أبوا أحمد، آفك اللسان السخرية، الاستهزاء، المزاح المحترم، مرجع سابق، ص 6.

[2] ينظر: مرجع نفسه.

[3] ينظر: رابح العوبي، فن السخرية في أدب الجاحظ، مرجع سابق، ص 371.

يقول الجاحظ:

كان أبو الهذيل (*)أهدى إلى مويس دجاجة

وكانت دجاجته التي أهداها دون ما كان يتخذ لمويس.

ولكنه بكرمه وبحسن خلقه أظهر التعجب من سمنها وطيب لحمها، وكان يعرفه بالإمساك الشديد فقال:

وكيف رأيت يا أبا عمران تلك الدجاجة؟ فقال:

كانت عجبا من العجيب، فيقول : وتدري ما جنسها؟ وتدري ما سنها؟

فإن الدجاجة إنما تطيب بالجنس والسن (...)[1].

وكان أبو الهديل أسلم الناس صدرا، وأوسعهم خلقا وأسهلهم سهولة، فإن ذكروا دجاجة قال: أين كانت يا أبا عمران من تلك الدجاجة (*).

تمثل هذه القطعة التصوير النفسي المنطوي على السخرية وذلك في الحوار الذي دار بين أبي الهذيل ومويس في شكل سرد كان يقوله أبو الهديل وهذا ما يجعلنا نتغلغل معه في نفسية أبي الهذيل حتى إذا أتى نهاية تصويره النفسي يبرز مدى اعتزاز أبي الهذيل كما هو في داخله المليء بالهزل والسخرية والحكي.

و– التصوير القصصي:

ويتضمن هذا الجانب من التصوير التصوير الحسي الذي يجري مجرى القصص، ومن ذلك ما حكاه على لسان الحارثي وهو أحد الشخصيات التي بنى عليهم الجاحظ كتابه البخلاء قال مصورا هيئة علي الأسواري وهو يأكل: « و الله أني لم أترك مواكلة، الناس وإطعامهم، إلا لسوء رعت علي الأسواري لتركته، وما ظنكم برجل نهش بضعة لحم تعرقا، فبلغ ضرسه وهو لا يعلم، فعل ذلك عند ابراهيم بن الخطاب، مولى سليم، وكان إذا أكل ذهب عقله، وجحظت عينه، وسكر وسدر وانبهر وتربد وجهه وعصب و لم يسمع ولم يبصر، فلما رأيت ما يعتريه، وما يعتري الطعام منه، صرت لا آدن له إلا ونحن نأكل التمر والجوز والباقلي، ولم يفاجأني قط وأنا آكل تمرا إلا أسفه سفّا، وحساه حسوا، وزاد به زدوا ولا وجده كثيرا إلا تناول القطعة كجمجمة النور »[2].

نجد من ثنايا هذه القطعة ذات التصوير الحسي القصصي من دقة التصوير، وقوة الملاحظة وقد تجسمت بها صورة علي الأسواري وهو يأكل، مليء بالخيال دون تكلف ولا تصنع.

---

[1] ينظر: رابح العوبي، فن السخرية في أدب الجاحظ، مرجع سابق، ص 371-372.

(*) أبو الهديل: أستاذ الجاحظ.

[2] أبي عثمان عمر من بحر الجاحظ، البخلاء، شرحه، أحمد العوامدي، علي الجاسم، مطبعة دار الكتب المصرية، ج2، القاهرة، 1939، ص 79 – 80.

مما سبق نستنتج أن أسلوب السخرية فيه الدعاية والتلميح والهجاء القاسي واللماحية والتهكم وهو يهدف إلى التعريض بإنسان أو بفكرة أو قرار ما، فالهدف الأول للأدب الساخر هو هدف تصحيحي تربوي في شتى المستويات الأخلاقية أو الجمالية، من خلال اعتماده على مجموعة من الأنساق والأفكار والتعابير المتباينة، حتى يرمي السهم إلى الحلقة المطلوبة فيسوده بإحكام في قالب مكني غير تصريحي.

وفي المقابل تظل السخرية أسيرة المجال الأدبي والفني الذي يسعى لنقد البشر والظواهر الاجتماعية والإنسانية المختلفة »[1].

أي أنّ السخرية سلاح دو حدين من جهة تحمل في طياتها النقد وتهدف إلى الإصلاح ومن جهة أخرى فهي حبيسة المجال الأدبي لبني البشر دون غيرهم، تعبر عن البشر والظواهر البشرية سواء الاجتماعية أو السياسية فالأديب يستعد عن الجرح والإحساس بالذنب بل هو الذي يبتدع شخصيات من مخيلته من أجل ضبط والدفاع عن الأطروحة وتفنيدها، كما يلجأ الكاتب الساخر إلى عنصري المواجهة والتناقض من أجل تعزية الأعداء والتربص بهم حتى يصيبهم دون أن يضطر إلى الدفاع عن نفسه.

5/ تجليات السخرية في الأدب الجزائري:

يحتل الأدب الساخر مكانة مرموقة في الساحة الأدبية والثقافية لكنه بين مطرقة الزوال وسندان التراجع فهو يعالج قضايا شائكةفي الواقع والحياة، فالسخرية بمختلف أنواعها الكاريكاتور والتنذر والتفكه، فكيف ينظر الكتاب الآن إلى هذا الأدب؟ وكيف يرون سقفة؟

يرى مخلوف عامر أن السخرية تشمل كل مجالات الحياة، وسائر الأنشطة الإنسانية يكون بالفعل أو القول تعمد إلى الإحساس بالفوقية، والتأثير في الآخرين، حيث يرى مخلوف عامر أن السخرية في الأدب الجزائري تهدف إلى الحكمة والمثل، لا للضحك والاستهزاء والتفكه، أي أن لها مغزى من ذلك، ويتجلى ذلك في رواية الحمار الذهبي لأبوليس، والسخرية لم تغب أيضا في الأدب الشعبي، وانتدت إلى الأدب العربي الحديث والمعاصر.

فالنشاط الأدبي لحركة الإصلاح بالإضافة إلى كتابات أحمد رضا حوحو كان لها أثر كبير آخر في الكتابة الساخرة.

أما في ايامنا هذه فلم تختف تماما بل قلت، ويعود ذلك إلى عدّة أسباب:

1. أن الأدب العربي الحديث ارتبط بحركات التحرر، ثم بالتوجه الاشتراكي الذي يجعل من الأديب حبيس الالتزامات بعيد عن الفكاهة والمزاج.

[1] نبيل راغب، الأدب الساخر، هيئة الكتاب مهرجان القراء للجميع، الشاب، للأسرة، الطفل، مرجع سابق، ص 14.

2. انشغال بعض الشعراء بالعزل في الوقت الذي كان فيه المواطن يقهر تحت السلطة الجهل والمرض والاستغلال. [1]

حيث يوجد كتاب جزائريون لهم ميزة عامة عن السخرية منهم: "عمار" ، "محمد زتيلي"، و"السعيد بو طاجبن"، والسخرية ستظل راسخة في الإنتاج الأدبي الجزائري ، وطبيعة الإنسان هي الضحك سواء لغاية التسلية أو لهدف يريد أن يحققه ، وفي نفس الوقت هي أسلوب حياة، واختبار ذكاء للقارئ وممن قدرته على النقاط ما بين الأسطر.

بومنجل عبد المالك: السخرية فن الأدباء الكبار وقد أوشك الكبار أن ينقرضوا

السخرية أسلوب قوي لمواجهة عيوب المجتمع، يوجد نوعين السخرية:سخرية الإنترنت والسخرية الأدبية فهذه الأخيرة تقلص حضورها في الساحة الأدبية وذلك لأسباب شتى:

1. أن السخرية الأدبية فن راقي لا يقدر على ممارسته إلا ذو ثقافة واسعة وعلم والموهبة الفنية التي تعتمد على السيرة الساخرة المنهكة الملفتة.
2. الكتابة الأدبية: تصدر على مزاج نفسي وخصوصية في الشخصية الأدبية.

ويرى بومنجل عبد المالك أنه لا يمكن تحديد مؤهلات لشخصية منتج الأدب الساخر لكن الكاتب الذي ارجح لأن يكون أقرب للكتابة الأدبية الساخرة هو الذي يتمتع بشخصية منفتحة ومتحررة من التبعيات والإملاءات »[2] أي أن الأديب الذي يستحق أن يكتب في الأدب الساخر هو الذي يتمتع بروح مرحة ونفس عميق في الشعور لأن العوامل النفسية تأثر في الأديب وتعكس أسلوبه في التعامل مع الآخر.

وفي المقابل يرى بومنجل عبد المالك أنه خاطئ من يرى أن السخرية هي فن الانتقادات والاستهزاء والاحتقار والتجرؤ على المقدسات، أي أن السخرية هي فن التسلية والضحك [3] والإمتاع بأسلوب راق مبشر، في الدفاع عن الأفكار والحقوق والحريات وضغط الاضطهاد والقمع والاستبداد وتحريك الوعي اتجاه ظاهرة ما.

ومن أشهر الشعراء الساخرين نجد "أحمد مطر" حيث كان شعره لافت للانتباه، بالإضافة إلى مقالات "محمد الهادي الحسني"، "وكتابات السعيد بوطاجين".

[1] ينظر: نوارة لحرش، هل تراجع الأدب الساخر مقال في جريدة النصر، الإثنين 16 فبراير 2015،ص 23،27.

[2] مرجع نفسه.

[3] مرجع نفسه.

سعيد بوطاجين: الأدب الساخر لم يتراجع ولم يفقد مكانته لكننا لا نجد في الحقل الأدبي العالمي كتابا من هذا النوع

الأدب الساخر أصبح نادرا، وذلك لانحساره وتقهقره من طرف الأدباء، فنلاحظ أن بعض الأدباء أشاروا إليه، مثل: "برناد شو" في إنجلترا، و"ميخائيل بولجاكوف" في الرواية المسرحية في روسيا، ومواطنه "أنطوان تشيكوف"، و"توفيق الحكيم" في مصر، و"تامر زكريا" في سوريا، و"ميلودي شغموم" في المغرب الأقصى، و"عزيز نسين "في تركيا ثم "مصطفى فاسي" و"محمد زيتلي" في الاستقلال.

ويرى الأديب والقاص "السعيد بوطاجين" أنه رغم توافر شيء من السخرية في كتابات هؤلاء، إلا أنه لم يجد تفرد لهذا النوع الأدبي، وقام بدراسته وتفسيره وتعليله بالنقد والتمحيص، فرغم وجود الكثير من الكتاب الذين صالت وجالت أقلامهم في دراسة مختلف الآداب والمواهب كالكتاب الرومانسيون والواقعيون لكن لم يجد في الأدب الساخر هذا الكم الهائل من الكتاب [1].

وفي المقابل يرى سعيد بوطاجين أن الأدب الساخر يستدعي أن يكون للأديب كمًّا كثيرا من التحصيل في نقل الحالات النفسية والحديث على القضايا الاجتماعية والحث على تكوين دراسات في هذا المجال لتعزيز بناء أدب ساخر قائم بذاته.

[1] ينظر: نوارة لحرش، هل تراجع الأدب الساخر مقال جريدة النصر، مرجع سابق.

الفصل الثاني:

التربية ماهيتها ووظائفها

تمهيد:

تلعب التربية دورا كبيرا في حياة المجتمعات والأفراد باعتبار الإنسان كائنا حيا فعالا في محيطه الاجتماعي يتعلم العديد من القيم والعادات والتقاليد والعقائد والمهارات والقدرات، كل ذلك يجعله عنصرا هاما في المجتمع بما يحمله هذا الأخير من تناقضات وتباينات اجتماعية واقتصادية وسياسية، فهو يعتمد على التربية في تحقيق وحدته وانسجامه سواء كان المجتمع يعبر عن غالبية أفراده أو عن الأقلية التي تملك الثروة والسلطة وتدير شؤون المجتمع.

وتعد التربية عملية ممارسة يومية يقوم بها الأفراد سواء من تلقاء أنفسهم أو من خلال مؤسسات تربوية تعلمية منشدة في المجتمع، ومن هنا تبرز أهمية وظائف التربية في حياتنا المعاصرة، إذ استخدمت في مجالات متعددة وأخذت مفاهيم مختلفة.

1-مفهوم التربية:

1-1لغة:

من الصعب تحديد مفهوم جامعا مانعا لمصطلح التربية، إذ تعددت مفاهيمها بتعدد مشاربها فالأصل اللغوي لهذه الكلمة (Education)في الإنجليزية مأخوذة من اللاتينية E_ducere[1] أي يقود خارجا.

و في المعاجم العربية كلمة (التربية) مأخوذة من الفعل الرباعي(رَبى) فيقال: ربّى الولدَأي غداه الولد وجعله ينمو.

وربى الولد أصلها رَبَا، يربُو[2]أي زادَ ونمَا.

ومن جعل أصلها (رب) فلابد أن يجعل المصدر تربيبا لا تربية

يقال ربّالقوم ساسهم وكان فوقهُم، وربُّ النّعمةَ زادَها، وربّ الولدَ رَباهُحتى أدرك[3] أي غداه وجعله ينمو.

وجاءت كلمة (تربية) في لسان العرب فصل الراء مادة (رتت):

ربتَ: ربت الصبي، وربّبه: رَبَاّهُ، ورَبَتَهُ، يُرَبتهُ، تربيّتًا أي رباهُ تربيةً بمعنى التهذيب.

قال الراجز: [الرجز]

سميتها، إذا ولدت، تموت.

والقبر صهر ضامن زميت

ليس لمن ضمنه تربيت[4]

ومنه نجد أن التربية في لسان العرب تعني التهذيب والإصلاح.

---

[1] ينظر: شبيل بدران وأحمد فاروق محفوظ، أسس التربية، دار المعرفة الجامعية، ط1، الإسكندرية، مصر، 2005، ص16.

[2] ينظر: أحمد الفنيش: أصول التربية، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط3، بنغازي، ليبيا، 2004، ص13

[3] ينظر: شبيل بدران وأحمد فاروق محفوظ: أسس التربية، مرجع سابق، ص16.

[4] ينظر: جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري الإفريقي المصري: لسان العرب، تحقيق عامر أحمد حيدر، مراجعة عبد المنعم خليل إبراهيم، مج1، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 2005، ص768.

أما في معجم الوسيط فقد جاءت (التربية) في باب التاء مادة (تخد):

تَرَبَ الشيء تَرْباً، وضع عليه التراب ليصلحه[1] أي بمعنى الإصلاح والإرشاد ومن هنا يتضح أن كلمة (التربية) لها ثلاثة أصول:

الأصل الأول: رَبَا، يَرْبُو بمعنى الزيادة والنمو.

الأصل الثاني: رَبَى، يَرْبِي على وزن خَفَى، يَخْفي. ومعناها نشأ وترعرع.

ومنه قول الأعرابي:

فمن يك سائلا عنى فإني

بمكة منزلي وبها ربيتُ

الأصل الثالث: رب، يرب على وزن مد، يمد بمعنى أصلحه وأرشده وتولى أمره ورعاه.

وفي هذا المعنى قال حسان بن ثابت:

ولأنت إذا أبرزت لنا يوم الخروج بساحة القصر

من ذرة بيضاء صافية مما تربت حائر البحر[2]

أي رباه مجتمع الماء في البحر، وهكذا فإن المعنى اللغوي العربي والغربي للفظة تربية يجمع ما بين التنشئة والتقوية والتهذيب والإصلاح والإرشاد والقيادة والسياسة والتنمية.

1-2اصطلاحا:

تعد التربية علم أداء أو علم ممارسة، أي أنها علم يشتق معارفه ومبادئه وقواعده من علوم أخرى كالفيزياء والبيولوجيا والفلسفة وعلوم اللغة و علم الاجتماع وعلم النفس وعلوم التواصل «فهي علم يلتئم فيه الذكر النظري

[1] ينظر: شبيل بدران وأحمد فاروق محفوظ: أسس التربية، مرجع سابق، ص16.

[2] ينظر: مرجع نفسه.

مع التطبيق العلمي»[1]، فانفكاك أحدهما عن الآخر يحيل الفكر إلى «هرطقة» ويجعل التطبيق العملي عملا عشوائيا يقوم على المحاولة والخطأ.

وكل من الهرطقة والعشوائية لم يعودا محتملتين في المجتمعات المعاصرة بعامة وفي المجتمعات النامية خاصة.

يستعمل مصطلح التربية في هذه الدراسة ويريد به الإحاطة حول نوعين من التربية وهما: التربية النظامية والهدف التربوي.

أما «التربية النظامية فهي مجموع السياسات والتنظيمات والأنشطة الممارسة على مستوى مؤسسات معينة في المجتمع " المدارس والجامعات" »[2]إذ تعتبر هذه الأخيرة جزء لا يتجزأ من المجتمع المعاصر تقوم على بنيات وأهداف خاصة أما غايتها فهي نقل التراث الثقافي للأمة وتجديده وإعادة تحويره بصورة تتلائم ومقتضيات السياق الزمني والمكاني الذي يكتنف هذه الأمة.

أما الهدف التربوي فهو تغيير يراد إحداثه في سلوك المتعلمين نتيجة عملية التعليم ويتم هذا من خلال أهداف تربوية تصاغ في شكل عبارات تكتب للتلاميذ لتصف بدقة السلوك المتربى منه بعد الانتماء إلى وحدة تدريسية معينة أو برنامج محدد[3]، وفي هذا يقول "جرونولد" «إن الأهداف التربوية مرامي يتقدم نحوها التلاميذ ثم إنها النتائج النهائية للتعلم المصاغة على أساس التغييرات في سلوك التلاميذ»[4].

أي أن الهدف التربوي يقوم بإحداث تغييرات إيجابية في سلوك المتعلمين نتيجة تلقيهم لأسس التعليم الصحيحة والمضبوطة.

[1] أحمد المهدي عبد الحليم: أسسات مجتمعات في التربية والتنمية، دار الفكر العربي، ط1، القاهرة، مصر، 2003، ص81.

[2] المرجع نفسه، ص80.

[3] ينظر: محمد مقداد والحسن بو عبد الله وآخرون: قراءات في الأهداف التربوية، جمعية الإصلاح الاجتماعي والتربوي، ط1، باتنة، الجزائر 1994 ص131.

[4] المرجع نفسه.

وغاية التربية هي أن تكتسب الأجيال الناشئة في المجتمع قيما وأفكارا ومعلومات ومعتقدات وسمات لتكوين الشخصية تجعلهم أكثر قدرة على تحقيق ذواتهم وإنجاز طموحاتهم وأكثر إسهاما في تحقيق الأهداف في مجتمعهم. وقد ورد معنى التربية في القرآن الكريم في قوله تعالى﴿ وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ الحج/5.

أي نمت وزادت لما تداخل فيها من الماء والنبات، وهكذا يتضمن معنى التربية عملية النمو والزيادة، وأن هذا النمو لابد وأن يكون من جنس الشيء، وبالنسبة للإنسان يكون هذا النمو في جسمه وفي عقله وفي خلقه. وقد نتساؤل هنا: عن معنى التربية عند الفلاسفة؟

وقد وردت العديد من التعريفات للتربية على مر العصور، عكست فلسفات قائليها، ومراحل التطور التي مرت بها مجتمعاتهم، وسوف نستعرض بعض التعريفات الحديثة والمعاصرة للتربية.

ويختلف مفهوم التربية عند العرب من أديب إلى آخر ومن فكر إلى آخر ومن فيلسوف إلى آخر،فحسب "الغزالي" « التربية تشبه الفلاح الذي يقلع الشوك ويخرج النباتات الأجنبية من بين الزرع ليحسن نباته ويكمل ريعه»[1] حيث يرى "الغزالي" ضرورة مراعاة ما بين الصبية من فروق، وأشار إلى أنه لا يؤخذ الغلمان جميعا بطريقة واحدة ولا يعاملون المعاملة نفسها، ومنه تكمن التربية حسب اختلاف الأعمار والمستوى المعرفي للفرد أو النشيء كما يتطرق " الغزالي" إلى دور المربي على أنه مثل دور الفلاح الذي يخرج النباتات الأجنبية من بين الزرع فالتربية عند الغزالي هي بلوغ الإنسان الكمال باكتساب الفضيلة عن طريق العلم والفضيلة التي تسعده في الدنيا والآخرة.

أما "ابن سينا" فقد تجاوز مفهوم التربية عنده مفهومها عند " الغزالي"، حيث يرى أن التربية هي إعداد النشيء إلى الحياة الأخروية[2]، أي جعلها دينية ودنيوية بالإضافة إلى تعلم مكارم الأخلاق، والقرآن الكريم، ومعا لم

[1] أحمد الفنيش: أصول التربية، مرجع سابق، ص13.

[2] شبيل بدران وأحمد فاروق محفوظ: أسس التربية، مرجع سابق، ص19.

الدين والحساب وتدريب الصبية على صناعة تعينهم على كسب قوت عيشهم،ومنه نستخلص أن التربية عند" ابن سينا" هي الإعداد للحياة الآخرة والسعادة في الحياة الدنيا.

وقد ذهب "ابن خلدون" إلى أن الصواب في التربية بالتعليم، ومراعاة عقل الطفل واستعداده والتدرج والسير معه من السهل إلى الصعب[1]، أي ترويض العقل على الأشياء البسيطة السهلة،ثم الصعبة وأشار إلى ضرورة الحوار بدلا من الحفظ والتلقين حيث يرى أن «العقل ينتقل من المحسوس إلى المعقول»[2]، أي استقراء الأمثال الحسية واعتماد المحاورة والمناظرة ورفض فكرة الحفظ والتلقين.

ومن خلال هذه التعاريف تستنتج أن التربية عند المفكرين والتربويين العرب هي تعويد بالمعنى البسيط وعملية هادفة وليست عشوائية ولا اعتباطية إنما هي عملية ذكية واعية.

أما التربية عند الغرب فتختلف باختلاف وجهات النظر، فقد كان"أفلاطون"يرى أن التربية هي أن تستحضر الحقائق الكامنة في التلميذ، حيث أنه كان يعتقد أن النفس كانت تعيش مع الآلهة في عالم المثل حيث كل شيء فيه مطلق وحقيقي، وعندها معرفة في كل شيء، ولما اتصلت بالجسد نسيت، وإذا انكشف عنها ستار المعرفة لا تكتسب شيئا جديدا، بل تتذكر ما كانت تعرفه في عالم المثل[3].

ومعنى هذا أن أفلاطون كان ينظر إلى التربية على أنها عملية تذكر،وأنها تعني استخراج الحقائق الكامنة في التلميذ، وأن يصبح الفرد عضوا صالحا في المجتمع فغاية التربية هنا هي غاية كبرى وهي نجاح المجتمع وسعادته.

ويرى" روسو" أن التربية عملية نمو لذيذة متناسقة متزنة مفيدة لأنها تسمح للقوى الطبيعية أن تجري وتحقق التربية عنده هدفها عندما تسمح للطفل أن يعيش حياته اليومية، وفق ميله الطبيعي[4]، حيث يرى أن التربية وفقا لقوانين الطبيعة، والآثار الأولى هي أصدق أسا العمل، من التفكير والحذر والخبرة الناشئة على الارتباط بالآخرين.

[1] ينظر: شبيل بدران وأحمد فاروق محفوظ: أسس التربية، مرجع سابق، ص 19.

[2] مرجع نفسه.

[3] أحمد الفنيش، أصول التربية، مرجع سابق، ص14.

[4] مرجع نفسه.

ويرى"روسو" أن مهمة المربي تتمثل في حماية الطفل من فساد مجتمع الكبار و أن التربية تقوم وفق قوانين تمليها الطبيعة والبيئة التي يعيش فيها ذلك الطفل.

ويرى"جون ديوي" أن التربية هي«الحياة نفسها، وليست إعداد للحياة وأنها عملية نمو وعملية تعلم وعملية بناء وتجديد مستمرين للخبرة وعملية اجتماعية»[1].

وهناك تعريف يصبغ بصبغة أنثروبولوجية قالت به "مرجريت ميد" وهو «أن التربية هي العملية الثقافية والطريقة التي يصبح بها الوليد الإنساني الجديد عضوا كاملا في مجتمع إنساني معين».[2]

ومن هنا نستخلص: أن التربية عملية تفاعل مستمر بين الإنسان والبيئة الاجتماعية التي يعيش فيها بالإضافة إلى أن التربية عملية استخراج واستجلاب لإمكانيات الفرد في إطاره الاجتماعي وتكوين اتجاهاته وتوجيه نموه وتنمية وعيه بالأهداف التي تسعى الجماعات إلى تحقيقها،وهذا ما قصده " جون ديوي"حين قال أن التربية هي الحياة نفسها وليس مجرد إعداد للحياة،أما "ميد" فتنظر إلى التربية على أنها عملية ثقافية محضة.

وهنا نخلص إلى أن مفهوم التربية عندا لمفكرين والفلاسفة التربويين الغربيين هي عملية تفكيك وإعادة بناء وهي حاصل جميع العمليات والسبل التي ينقل بها مجتمع ما، إذ تهدف إلى خلق التوازن بين كل من مصلحة الفرد والجماعة من أجل استقرار الواقع الاجتماعي.

مما تقدم حول مفهوم التربية نستنتج أن من يصوغون الخطاب التربوي المنشود يجب أن يفقهوا الواقع الراهن وأن يلجؤوا في تطويره إلى المشاركة الحقيقية للعاملين في هذا الواقع،سواء في ذلك صياغة الأهداف أو التطوير والتنفيذ فمشاركة المعلمين في التطوير مهمة، لأنها وسيلة فعالة بحفزهم على تقبل التغيير والتحمس له،وتقليل مقاومتهم،خفية كانت أم ظاهرة.

2-نشأة التربية:

[1] أحمد الفنيش، أصول التربية، مرجع سابق، ص16.

[2] مرجع نفسه.

لقد بدأت التربية منذ اللحظة الأولى التي خلق فيها الله سبحانه وتعالى الإنسان، فهي قديمة قدم الإنسان حيث انطلق هذا الأخير يسلك ويفكر وينفعل ويكره من تصرفات،وقد اختلفت التربية من عصر إلى عصر وذلك باختلاف البيئة التي يعيش فيها الإنسان حيث أن:

2-1التربية البدائية:

التربية البدائية هي التربية في أوائل سيرتها، أي قبل ظهور الحضارات القديمة، إذ تشمل العصر الحجري القديم والحديث والوسيط،ومراحل انتقالها من عصر إلى عصر آخر،حيث بدأت الحضارات القديمة، المصرية والعراقية والصينية والهندية.

ويعتبر العصر الحجري الحديث،الثورة الإنتاجية الأولى،وهو مرحلة اقتصادية هامة فتاريخ البشرية،فهو يبين نهاية الصيد والوسائل البدائية وبداية اقتصاد المدن،ففي هذه المرحلة أصبح الإنسان هو المنتج للطعام بعدما كان مجرد مستهلك فقط، وذلك يعود إلى ظهور الزراعة واستئناس الحيوان.

وطوال حياة الإنسان في مراحل الصيد والزراعة والرعي ما انفك الإنسان مخترعا،فقد كان في بادئ الأمر حبيسا لما تقدمه له الطبيعة،فكانت ثمار الأرض طعاما له وجلود الحيوانات لباسا له،والكهوف مسكنا ومأوى له ثم بدأ يقلد الحيوانات،من أجل الحصول على الطعام،ومتطلبات الحياة،فقلد القرد فيقذفه الثمار بالحجارة وفي تكسير الجوز والمحار بالحجر،ثم رأى الطيور تبني الأعشاش، وكلاب الماء تبني لنفسها سدودا، فأخذ الإنسان البدائي فورا بعد لنفسه آلات وأسلحة على غرار ما يفعله الحيوانات[1].

وجل هذه التنظيمات الاجتماعية عمل إنساني بالدرجة الأولى، فهي من ابتكار الإنسان، تقوم وفق دوافع فطرية، وأبسط مثال على ذلك الأسرة باعتبارها الخلية الأساسية لبناء المجتمع، ترتبط فيما بينها بمجموعة من

[1] ينظر: سعيد إسماعيل علي: أصول التربية، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن، 2007، ص229.

العلاقات والعادات والتقاليد والقيم تتصل بالأسرة، بالإضافة إلى دوافع أخرى تعود إلى تراكم الخبرات البشرية الطويلة.

و يقوم العمل التربوي في هذه البيئة على محورين أساسيين:

أ_ الإعداد الضروري للحصول على متطلبات الحياة، وذلك باتباع الطريقة والغرض كالصيد والقنص، واعتماد الأسلحة والآلات باعتماد الطرق المتداولة في العشيرة والقبيلة، كما وضعها كاهنهم وساحرهم.

ب_ تدريب الفرد على ضروب العبادة لترضية عالم الأرواح، واتباع الطريقة المناسبة لكل عمل.

ومما سبق نخلص إلى أن التربية البدائية كانت تريد إحداث توافق بين الفرد وبيئته المادية الروحية، وفق طرق تتناسب وطبيعة البيئة التي يعيش فيها الفرد.

2-2 التعليم في المجتمع البدائي:

كانت عملية التعليم في المجتمع البدائي تعتمد على وسائل بسيطة، في متناول الفرد وذلك من خلال مجموعة من الممارسات والتدريب عليها، لمختلف الوسائل سواء كانت رمحا أو قناعا أو محراثا، حيث يكون ما يتعلمه الطفل البدائي له مغزى، وهدف اجتماعي وظيفي، فالطفل يقوم أبواه بتعليمه، إلى جانب تلقينه تلك العادات والتقاليد التي تمثل القبيلة، وأحيانا يذهب الطفل إلى خبير في قبيلته لتعلم نشاط ما مثل: القنص والصيد ونصب الفخاخ، ولذلك كانت الأسرة هي الوسيط الاجتماعي الأساسي والتربوي في أولى مراحل التطور الإنساني.

أما التربية العقلية هي تلك القدرات العقلية والمهارات التي تجعل من الإنسان قوي والتي يستلزمها طابع الحياة البدائية، فالآباء عرفوا بأنهم يصارعون الأخطار ويدركون النظر بالفطرة،فيقومون بتحضير أطفالهم ويتعمدون حواسهم،ويقومون بتركيبها.

أما التربية الجسمية البدائية فكانت أخطر شيء يقوم به الإنسان من أجل حماية أسرته من الحيوانات والأعداء الذين يتربصون بهم، فكان يجب على الإنسان البدائي أن يعتني بنفسه وجسمه ويتدرب أشد تدريب[1].

لذلك كان البدائي يشجع الأطفال على المبارزة لكي يكبروا ولهم بنية قوية.

أما التربية الدينية فقد انتقلت من الأسرة إلى القبيلة، حيث كان رئيس القبيلة هو الذي يقوم بتقديم المراسم والطقوس وطرد الأرواح الشريرة، وابتكار الرقصات والطلاسم، وكل ما يرتبط بالعبادات [2].

ومما سبق،نجد أن أوسع فكرة قام بها الإنسان البدائي عندما انتقل إلى العيش في المدينة، هي الكتابة فكانت عبارة عن خطوط مرسومة بألوان ورموز، ورسوم تعبر عن أفكار الإنسان البدائي وطبيعة حياته اليومية في شكل رسومات تحمل في طياتها حكايات وروايات.

2-3 التربية الهندية القديمة:

كانت الهند قبل الفتح الآري عبارة عن قبائل متفرقة من الساميين، لكل قبيلة حاكم وقوانينه وعاداته وتقاليد هو عقائده، حيث أصل الآريون الفاتحون تلك الأصقاع المتدينة ودياناتها وإن لم تستطع أن تمحيها من أذهان العامة والجماهير.

وعرف النظام الاجتماعي لدى الهنود بالطبقية، أي أن الهنود كانوا يعتمدون على نظام الطبقات وعلى رأسها الطبقة المستفيدة وهي طبقة البراهمة، حيث كانوا يستمدون نفوذهم من احتكارهم للعلم، إذ قاموا بإعادة صيانة التقاليد وتعديلها بما يخدمهم فهم الذين يقومون بتربية النشيء أو يكتبون الأدب بكتب " الفيدا" باعتقادهم الوحي وهي الحقيقة[3].

[1] ينظر: سعيد إسماعيل علي: أصول التربية، مرجع سابق، ص232.

[2] ينظر:المرجع نفسه.

[3] ينظر: مرجع نفسه، ص223.

أما التشريع الخلقي فقد ارتبط عندهم بنظام الطبقات والأخلاق "دارما" أي لكل إنسان قواعد وسلوك في الحياة تتحدد هالة طبقية ولا يحق لأي إنسان تحدي حدود طبقته.

2-3-1 التعليم في الهند:

توجد في الهند مجاميع براهمة علمية تدعى " باريتشاد" من ألف سنة، وتسمى الآن بالمعاهد العالية والبارشاد الواحد يضم ثلاثة من البراهمة ممن أتقنوا دراسة كتابهم الأساسي " الفيدا"، الذي يحتوي على الفلسفة والديانات والقانون فكان من يريد أن يهب حياته العلم يجب أن يكون من أفراد خلفة العلم، وهناك من يتعلم "الفيدا" بأجزائه .

وكانت مناهج التعليم في الهند تشتمل على الحساب والكتابة، والهدف من ذلك التعليم المغلف بالغلاف الديني هو زرع الأخلاق القومية وتكوين عادات السلوك الصالح منذ الصغر، وبعد سن الثامنة كان يعهد بالتلميذ إلى ما يشبه الشيخ وهو أحد رجال الدين، فيصبح التلميذ جليسه يتعلم منه النحو والفنون والصناعات والطب والخدمات حتى يتخرج في سن العشرين (20)[1].

ولما كان ينظر إلى المرأة في الهند على أنها غير كفأة لتهذيب أبنائها، كان الأبناء يتعلمون في الغالب في المجامع وكان لهذه المجامع شأن كبير في نظام الهند، حيث كانت تعلم الأهالي مبادئ الدين، وتفصل في قضاياهم ومنازعاتهم وتعلمهم قصص أجدادهم والحكايات والنوادر والأمثال، التي تحتوي كثيرا من أخلاق الهنود وآدابهم وتظهر درجة رقي الفكر الهندي،ومنها مجموعة النصائح التي وضعها الفيلسوف البرهمي " بيديا" للملك " دبلشيم" في القرن الرابع للميلاد وفي ما يعرف اليوم " بكليلة ودمنة"[2].

[1] ينظر: سعيد إسماعيل علي، أصول التربية، مرجع سابق، ص 234-235.
[2] ينظر: مرجع نفسه، ص237.

وقد لعب البراهمة دورا كبيرا في التربية، وذلك لما كان يشكله الدين من منزلة مركزية ومحورية في الحياة الهندية وذلك لانتعاش الروح الثقافية والفكرية ونشر الوعي والثقافة بين القرويين من الفلاحين والعمال وأصحاب المهن الحرة والبسطاء،حيث كانوا يقصون عليهم القصص الحافلة بتعاليم الدين والقيم العليا.

3 التربية البودية:

تنسب البودية إلى "جوتاما بودا" الذي ولد عام 563ق.م في جبال الهمالايا على حدود نيبال، وكان واحد من كبار المجددين للفكر، ظلت تحيط به الأسطورة والشعر.

وكانت وسيلة " بودا" في نشر تعاليمه المحاورة والمحاضرة وضرب المثل، وكان رجل قوي الإرادة صادق الرواية، مزهودا بنفسه، محسنا إحسانا مستمرا، حيث كانت طريقته في التعليم فريدة من نوعها، فقد كان ينتقل من بلدة لأخرى وتلاميذه في صحبته، وفي أثاره ما يقرب من ألف ومائتين من أتباعه، وكان يخصص ساعات العصر لتأملاته، وساعات للتعليم[1].

3-1التربية الصينية:

تعد الحضارة الصينية من أعرق الحضارات القديمة، إلا أن التاريخ المسجل كان مع أسرة " شانغ" في القرن 14ق.م.

وتتجلى الملامح التربوية الحقة في تلك الروح العائلية التي كانت تربط أفراد الأسرة في الصين، إذ تعتبر الدولة أن الأسرة، هي الرابطة الأخلاقية والولاء الموضوعي الذي يميز الدولة الصينية، وعلى أنهم أبناء الصين[2].

فالصينيون داخل العائلة ليست لهم شخصيات، تربطهم فقط وحدة الدم والوحدة الطبيعية، وليس لهم في الدولة شخصيات مستقلة، باعتبار العلاقة الأبوية التي تسمى "البطرياكية" هي السائدة، فالحكومة هي التي تقوم

[1] ينظر: سعيد إسماعيل علي، أصول التربية، مرجع سابق، ص233-234.
[2] ينظر:المرجع نفسه، ص237.

بممارسة الرعاية الأبوية للإمبراطور وتمثل واجبات الأسرة وفق قوانين، فالابن يحترم أباه أشد الاحترام، ولا يتوانى عن أوامره وذلك لكي يكون الابن قدوة لأولاده في المستقبل.

أما التعليم في الصين: فقد كان على شكل مدارس نظامية لتعليم الشعب، فالحكومة كانت تشجع التعليم، حيث كان غرض التربية في المراحل الأولى أن يلم الصبي باللغة والآداب المقدسة، واستذكار الرموز وحفظ النصوص الدينية[1]، والدروس الإنشائية ، والمرحلة الثانية فكانت مخصصة للترجمة، أما المرحلة الثالثة فكانت مخصصة لكتابة المقالات الإنشائية .

ويخصص للتعليم معهد خاص وهو مدرسة، فالأسرة تقوم بتمهيد الطفل بالأخلاق والأدب والدين والمقدسات، وكان شعارهم التربوي" أن تقوى الأبناء أعظم فضيلة لديهم"، والأسرة هي أساس النظام الاجتماعي. فالتربية الصينية القديمة حافظت على الماضي وإعادة النظر في كل انزياح عن عادات وتقاليد الآباء والأجداد[2] فتربيتهم منحصرة في الكلاسيكيات القديمة بما تحمله من موروث ثقافي ناتج عن أسلافهم عبر العصور الماضية.

4-التربية الإغريقية القديمة:

يعد القرن الخامس(5) قبل الميلاد من أهم الفترات في تاريخ الإغريق، بدأ بالحروب الفارسية ثم رفع أثينا لولاء المجد والسيادة، حيث اتفق مؤرخو التربية عن الحديث على نظامين اثنين شهدتهما اسبرطة وأثينا.

4-1التعليم في اسبرطة:

إن الموقع الجغرافي لمدينة اسبرطا القاسي دفعها لانتهاج نظام عسكري، ومن ذلك فرض الزواج من كلاسبرطي تشجيعا للنسل، وفرضت الدولة الكشف على كل اسبرطي منذ الولادة، فمن كان ذو بنية قوية يختار للحكم وهو وحده يستحق التربية والرعاية، وكل طفل اسبرطي يقضي سبع سنوات كاملة في التمرينات الشاقة

[1] ينظر: سعيد إسماعيل علي، أصول التربية، مرجع سابق، ص242.

[2] ينظر: عبد المجيد عبد التواب شيحة: تطور الفكر التربوي في العصور القديمة والوسطى، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط1،عمان، الأردن، 2006 ص53.

والعنيفة، وتحت إشراف المشرفين على التربية في ثكنات عامة والدولة تتكفل بالتكاليف، أما تربية الشباب بعد الثانية عشرة فهم يصبحون محبين لدى الكبار والمسنون والشيوخ، يتعهدون على الدوام ميادين تربيتهم ويراقبون على الدوام تطور شجاعتهم وعقليتهم[1]، وقد اهتمت اسبرطة بالتربية البدنية أكثر من اهتمامها بالناحية العلمية والفنية.

4-2 التربية في أثينا:

اختلف النظام التربوي في أثينا عناسبرطة، وذلك لاختلاف العوامل ومنها العامل الجغرافي، حيث تمتاز أثينا بالرفاهية، والفرد عندهم حر التصرف لا تربطه التزامات وتقوم بواجباته الدولة وأفراد الأسرة حسب التشريع الاجتماعي، وكانت المدارس في أثينا خاصة أما تربية الأطفال فهي من مسؤولية الدولة وذلك بالتحاقهم بالخدمة العسكرية، كما كانت تهتم بالموسيقى والأخلاق وكان لها نظام محكم قاسي لمن يخل بالآداب، والحياة المدرسية تبدأ من سن السابعة (7)[2]، وكانت الحالة الاقتصادية تلعب دورا في المدرسة فكان سن الدخول ومدة الدراسة تعتمد على مركز العائلة من طبقة الأحرار.

واهتم الفلاسفة اليونانيين بالموسيقى وأوصى هؤلاء الفلاسفة بإشراف الدولة على التربية، وإدخال الموسيقى في المناهج والقراءة والكتابة في المدارس.

5- التربية اليونانية الحديثة:

إن حركة البلاد ونشاط الحركة التجارية والاختلاط بالدول الأجنبية أدى إلى تبادل الآراء والأفكار مما أدى إلى ظهور طبقة جديدة من المتعلمين:

[1] ينظر: سعيد إسماعيل علي، أصول التربية، مرجع سابق، ص249.

[2] ينظر: فوزية الحاج علي البدوي: التربية بين الأصالة والمعاصرة مفاهيمها وأهدافها وفلسفاتها، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن 2009، ص173.

5-1 السفسطائيين:

كانوا يدربون الشباب من أجل إبراز شخصياتهم، فقد كان السفسطائيون يملكون قدرة كبيرة على الخطابة والمناقشات كلما كانت لهم معرفة بدراسة التاريخ والبلاغة حيث كان لهم أثر كبير في التربية الموسيقية من منهج الدراسة فنما جيل شديد الاعتداد بالنفس واللياقة وتعلم الشعر[1] و اتجهت التربية بفضل السفسطائين اتجاها نظريا باعتبار الحرية التي حصل عليها الفرد أدت إلى عدم الاكتراث بالمثل العليا مما استدعى دراسة على أسس.

5-2 سقراط: من الفلاسفة الذين أيدوا السفسطائيين، ويرى أن الإنسان هو مقياس الأشياء، وغرض التربية عند سقراط ليس مجرد إعطاء الفرد معلومات سطحية وخطابية وهي تهدف إلى تزويد الفرد بالمعلومات عن طريق تنمية القدرة على التفكير[2]، ويعتقد سقراط أن الطريقة الجدلية هي الهدف الذيترمي إليه التربية.

5-3/أفلاطون:

وهو أول فلاسفة اليونان الذي حاول وضع حل للنزاع التربوي حيث وضع أفلاطون مثل عليا للحياة، كونها مثل خيالية إلا أنها بمثابة نقد للتربية، حيث حاول وضع أسس جديدة للأخلاق، ويتفق أفلاطون مع سقراط في التقدم العقلي، والتربية تقوم على أساس الحوار الجدلي[3]، وغرض التربية هو الوصول إلى غاية أي أنا لمعرفة والهدف من الحياة هو التوصل إلى الفضيلة ومعرفة الخير.

6-التربية عند العرب:

1/6 التربية في العصر الجاهلي:

وصف عرب الجاهلية بالأمية وجهلهم القراءة والكتابة وقلة محصولهم المعرفي لأنهم كانوا يعيشون في البادية، وكان للعرب أسواقا يجتمعون فيها للبيع والشراء وتبادل المنافع حيث كان مجتمع الجزيرة العربية مثل سائر المجتمعات

[1] ينظر: فوزية الحاج علي البدوي: التربية بين الأصالة والمعاصرة مفاهيمها وأهدافها وفلسفاتها،مرجع سابق، ص175.
[2] ينظر: مرجع نفسه، ص176.
[3] ينظر: مرجع نفسه، ص177.

له حظه في المعرفة وفقا للمستوى الذي كان عليه، وكانت تضم معارف غير منظمة وتفتقد أحيانا أخرى المنهجية والعقلية، فهي إفراز للبيئة العربية القديمة بأبعادها المختلفة ومن أهم مجالات التربية في الجاهلية:

أ–الأدب: هناك أفراد كثر منحوا موهبة الأدب فوجدت منهم طبقة الأدباء والشعراء الفحول وناثرون بلغاء وفصحاء وذواقون للأدب وأسرار البلاغة.

كان الأديب يلقي ما جادت به قريحته معتمدا على ذاكرته فيسمعونه ويبهرون به بحكم شغفهم بالأدب، أما الشعر هو أبرز مظاهر الأدب إذا كان يحتل مكانة بارزة في حياة العرب الجاهلية وأطلقوا عليه اسم " ديوان العرب" فهو يصور كل مظاهر الحياة آنذاك من بيئة وذكريات ووقائعهم وحياتهم وأنسابهم[1].

وقد وجدت عند العرب القدامى ألوان مختلفة من القصص حيث كانوا شغوفين بهذا النوع من الأدبي لما للقصة من أهمية تربوية يتشرب الإنسان من خلالها العديد من القيم والاتجاهات والتقاليد والمعارف.

ب– الطب: توصل العرب في الجاهلية إلى معارفهم الطبية عن طريق التجارب والخبرة، فهم كانوا مشحونين بالخرافات وآمنوا بأن دم السادة يشفي من الكلب وعظام الميت تشفي من الجنون والروح الشريرة تحل في المريض[2]، حيث كان الأطباء في أول الأمر من الكهنة ثم تعاطي الطب جماعة العرب ممن خالطوا الفرس والروم.

ج– المعارف الفلكية: عرف عرب الجاهلية الأنوار وهو علم الظواهر الجوية عندنا ويتعلق بالمطر والرياح وردت في القرآن الكريم خاصة ببعض الجوانب ومنها قوله تعالى « وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ» الأنعام /97.

وقوله تعالى: «لَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً» الحجر /16

وقوله تعالى « وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ » البروج / 1.

[1] ينظر: سعيد إسماعيل علي: أصول التربية العامة، مرجع سابق، ص156.

[2] ينظر: مرجع نفسه، ص 258.

من خلال هذه الآيات نلاحظ بجلاء اهتمام عرب الجاهلية بالجوانب الفلكية وقد ورد ذلك في القرآن الكريم أي أنه معرفة النجوم تساعد على الاهتداء بها في الليل للسير، وأن القمر يأخذ منزلة من المنازل حتى يصير هلالا وسار أهل الجاهلية مثل غيرهم على فكرة تقسيم السماء إلى بروج.

2/6 التربية في الإسلام:

عند مجيء رسالة الإسلام إلى شبه الجزيرة العربية وكأنما أنشأت خلقا جديدا فجعلت من المناطق المتفرقة وطنا واحدا، وغيرت القوانين قانونا واحدا، وأضافت لغة القرآن لسانا إلى جانب لسانه وجعلت الإسلام هو لسانه الوحيد، كان الإسلام في القرن السابع ميلادي مجرد عملية تشكيل تربوية جديدة بل كانت عملية خلق تربوية، فكانت التربية بعد الإسلام تربية إسلامية تهدف إلى خلق مواطن صالح مؤمن بالمبادئ والقيم السامية وما بحث عليه الإسلام من أخلاق ومساواة وأحكام شرعية مثبتة بالنصوص القرآنية كما أنها تثقف العقل وتقوي الجسم مما حققت التربية هدفها[1] حيث أن التربية في الجاهلية قبل ظهور الإسلام كانت لها أعراض مختلفة ومهمتها إعداد الفرد لحياة الجماعة والتدرب والتعود على أعمالها ومحاولة زرع العادات الحسنة والفاضلة والأخلاق الحميدة والتي هي جزء من الشخصية العربية، بينما التربية في الإسلام كانت دينية ودنيوية حيث يجهز الفرد من أجل مرضاة الله، ومن بين المؤسسات التي ساعدت على التوعية والتربية نجد:

أ- الكتاب:

كان للعرب قبل مجيء الإسلام نوعا من الكتاتيب تختص بتعليم القراءة والكتابة فقط ولكن بعد الإسلام استطاعوا أن يطوروها فيها ويكيفونها لتلبية حاجات التعليم الديني فبرز نوع جديد من الكتاتيب سميت بالكتاتيب القرآنية، فكان الطفل في الغالب يحتك إلى مؤدب يؤديه فيما بين الخامسة والسابعة من عمره وكان الهدف من

[1] ينظر: سعيد إسماعيل علي، أصول التربية، مرجع سابق، ص260.

تعلم الطفل بالكتاب هو إعداده دينيا لينال رضا الله والعمل على الحفاظ على الدين من خلال حفظه للقرآن ولو أما البعض منه فقط، أما الغرض الخلقي فيقوم الآباء والمعلمون بالاهتمام بهذا الجانب عن طريق تعليم أبنائهم وحثهم على الالتزام[1] بما جاء به القرآن الكريم والأحاديث النبوية من نهي عن الخلق الذميم ومحاولة التمسك بأهداب الفضيلة.

وكان المنهج المعتمد في التعليم بالكتاب يشمل القرآن الكريم، والدين والقراءة والكتابة والشعر، وفي حالات أخرى عديدة يضاف النحو والقصص والسباحة، وفي حالات أخرى كان يقتصر على استظهار القرآن وتعليم بعض مبادئ الدين الأساسية.

ب– المساجد:

اعتبر المسجد في صدر الإسلام المكان الذي ينبعث منه الفقهاء والعلماء في شتى المجالات حيث أصبح مدرسة تعلم وتربي الرجال وكان محور الحياة في المجتمع ونورها، فهو لم يكن مجرد مكان لأداء فريضة الصلاة وإنما كان مكان لنشر وتعليم بعض الشروحات الدينية والدروس المحمدية، وبرز نظام الحلقات العلمية الذي كان مرتبطا بالمساجد هذا النظام التقليدي الذي ظلت تتوارثه الأجيال منذ أن كان الرسول صلى الله عليه وسلم معلما بالمسجد ومن أبرز المساجد التي كان لها الحظ الأوفر في التربية والتعليم:

- **الجامع الأزهر**: بمدينة القاهرة.
- **الجامع الأموي**: يسمى كذلك مسجد دمشق.
- **جامع القيروان**:في تونس عام [2].

فتحت هذه المساجد أبوابها لكل المسلمين من كل بقاع الأرض ومن مختلف الجنسيات والقوميات للإطلاع على الحضارة الإسلامية وما تحمله في طياتها من القيم ومكارم الأخلاق.

[1] ينظر: سعيد إسماعيل علي، أصول التربية، مرجع سابق ، ص262.
[2] ينظر: مرجع نفسه، ص263.

ج- المدارس:

وهي تلك الدور المنتظمة التي يلجأ إليها أهل العلم حيث يتولى تدريسهم وتقديمهم وتعد خير أمة أخرجت من المدرسين والعلماء، وكانت هذه المدارس لا تختلف مهامها عن مهام المسجد، ولم يعرف التعليم الإسلامي المدارس إلا بعد ثلاثة قرون من الزمن من ظهور الإسلام وأول ما تعلموه[1] هو الدين، فكان كل من المسجد والكتاب يقومان بنفس الدور وهو تعليم معالم الدين الإسلامي ثم ظهر الاهتمام بالعلوم الأخرى ومن أبرز المدارس في الحضارة الإسلامية:

- **المدرسة النظامية:** نسبة إلى نظام الملك ألب أرسلان، وكان لهذه المدرسة أثر كبير في العراق وغيره من البلدان الإسلامية.

- **المدرسة النورية الكبرى:** تأسست في بلاد الشام نسبة إلى نور الدين زنكي عام 563هـ بدمشق.

- **مدرسة السلطان حسن بالقاهرة:** تأسست عام 1356م نسبة إلى الناصر حسن فكانت هذه المؤسسات النظامية فعالة في نشر التوعية والتربية وبالإضافة إلى مؤسسات أخرى وغير نظامية ونجد منها:[2]

- **المكتبات:** نشأت مع نشأة المساجد وبما أن المساجد أولى المعاهد في صدر الإسلام فإنه لا يخلو من صحف القرآن وتفسيره وصحف الحديث ومن أشهر المكتبات في الحضارة الإسلامية: بيت الحكمة في بغداد التي بدأت في خلافة أبي جعفر المنصور (135_158هـ، 752_774م) وكانت تحتوي على الكثير من الكتب والتراجم في الطب والنجوم والهندسة والآداب.

- **دكاكين الوراقين:** هي دكاكين للكتبة لها أثر كبير في السكون العلمي، اعتمدها العديد من العلماء والمفكرين: هذا ما جعل لها الأثر التربوي الكبير، حيث يتميز بائعي الكتب بسعة كبيرة بين الثقافة العلمية والأدبية والدينية

[1] ينظر: سعيد إسماعيل علي، أصول التربية،مرجع سابق، ص264.

[2] ينظر: مرجع نفسه، ص265.

حيث كانوا يشاركون العلماء والأدباء والفقهاء في بحثهم ومن بينهم[1]: ابن النديم (صاحب الفهرست) ياقوت الحموي مؤلف معجم البلدان ومعجم الأدباء.

- **مجالس العلم والمناظرة:** كانت هذه المجالس تقام في قصور الخلفاء والأمراء والمساجد والأسواق أحيانا.

- **منازل العلماء:** رغم توفر الدور النظامية المختصة في التعليم كالمساجد والمدارس والكتاتيب إلا أنهم لم يقتنعوا بهذه المؤسسات للتعليم[2]، فاتخذوا من أسواقهم أماكن تجمعهم من مريدوا العلم والمعرفة لينهلوا المزيد.

7/ وظائف التربية

خلق الله سبحانه وتعالى كل شيء بمقدار وليس عبثا، وجعل لكل شيء في الحياة وظيفة، حيث نظم الحياة الاجتماعية وفق قوانين وأنظمة، فالإنسان لم ينشى مؤسسة أو وتنظيما إلا لتحقيق وظيفة لسير الحياة نحو التقدم والتطور وعلى رأس هذه المؤسسات والنظم نجد التربية التي تظم وظيفتين أساسيتين هما:

1/7 الوظيفة الفردية: ونقصد بذلك أن التربية تقوم بتحقيق نمو الفرد وتعده للحياة بنجاح، وتزوده بالمعرفة بمختلف أشكالها ومجالاتها،وطرائق اكتساب المعرفة،فهمها الوحيد تنفيذ ‹شعار تعلم كيف تتعلم بنفسك›[3].

أي أنها تسعى للتقليل من التلقين والاهتمام بتكوين الفكر الناقد للفرد، والتفكير المنهجي.

فعلى الفرد أن يتحلى ببعض الصفات لكي يتمكن من نيل مكانته في المجتمع ومن بين هذه الصفات الأخلاقيات والقيم وأن يتشبع ببعض المعلومات ويتقن العديد من المهارات ويتقيدوا ببعض العادات والتقاليد التي تتوافق ومجتمعه بالإضافة إلى للتحلي بالسلوكات التي تجعله يتحاور ويتفاهم مع غيره، وبهذا يستطيع أن يجعل

[1] ينظر: سعيد إسماعيل علي، أصول التربية، مرجع سابق، ص265.

[2] ينظر: مرجع نفسه، ص266.

[3] صلاح الدين شروخ: علم الاجتماع التربوي، دار العلوم للنشر والتوزيع، دط، عنابة، الجزائر، 2004، ص19.

حياته ناجحة وسعيدة، باعتبار التربية هي التي تضع بصمتها في ذلك الفرد وتجعله جزء لا يتجزأ من المجتمع، فهي أساسية له ومن دونها يصبح مهمشا وفاشلا في التعايش مع غيره داخل المجتمع[1].

فالتربية تختلف من بيئة إلى أخرى، والفرد يتعايش معها على اختلاف البيئات فمنها ما هو صناعي وما هو زراعي وما هو رعوي والتربية هي التي تحدد المهن والحرف التي تستطيع من خلالها العيش في تلك البيئة.

وبما أن الفرد مادي بطبعه فهو دائم الطموح إلى ما هو من ذلك ولا يستطيع ذلك إلا من خلال رفع مستوى التربية، فكلما ارتفع مستوى التربية، ارتفع مستوى حياة الفرد، وهذه أيضا وظيفة من وظائف التربية.

في المقابل تكمن أهمية التربية في كونها هي التي تنمي ي مواهب الفرد وقدراته وتجعله أكثر ملائمة لظروف البيئة التي يعيش فيها[2]، فالإنسان بلا تربية يعيش منبوذا مهمشا في المجتمع فلا يستطيع التفاهم والتحاور وخدمة مجتمعه ولو بالقليل.

2/7 الوظيفة الاجتماعية: يمثل التراث الاجتماعي جزء من ثقافة المجتمع، وذلك عن طريق نقل هذا التراث إلى الأجيال[3]، وتطهيره وتبسيطه بما يتلاءم مع أحوال المجتمع، فالتربية تلعب دورا هاما داخل المجتمع، فمن خلالها تستطيع الجماعة الاحتفاظ بثقافتها والتكيف مع طريقة حياتها جيلا بعد جيل، وبانعدام وزوال التربية تشتت الجماعة وتنقرض وتتفرق، ولا تحافظ على تماسكها عند الإخلال بثقافتها، فالتربية أساسية في التوازن داخل المجتمع ، وسلامة ثقافته من كل الشوائب التي تحاول الإخلال بها، وتساعد على استمرارها ونقلها من عصر إلى عصر.

فالتربية تجعل من الحياة السياسية للمجتمع، تقف عند تكوين جماعة يستطيعون فهم نظام الحكم فيه ولهم دراية وولاء وقدرة في سير هذا النظام على الوجه الصحيح وعلى أكمل وجه والذي من خلاله يتمكن المواطن من

[1] ينظر: سعيد إسماعيل علي: أصول التربية العامة، مرجع سابق، ص30.

[2] ينظر:مرجع نفسه، ص 31

[3] صلاح الدين شروخ، علم الاجتماع التربوي، مرجع سابق، ص20.

معرفة حقوقه[1]، وأداء واجباته والالتزام بها دون إخلال أو تفريط، وبهذا تكمن الوظيفة الاجتماعية للتربية في استقامة الحياة الاجتماعية.

كما أن للتربية وظيفة بالنسبة للمجتمع، إذ لها دور في الحياة العلمية فالفرد يكتسب العلوم والمعارف ويحسن استعمالها واستخدامها في مواقف حياته المختلفة[2].

والتربية تعمل على تكوين المواطنين واكتساب مهارات فنية واستقامة الحياة القومية والوطنية.

ووظيفتها في الحياة الصحية كبيرة وهامة، فالفرد في المجتمع في هذا المجال كالجسد الواحد إذا اشتكى عضو تداعى له كل الجسد بالسهر والحمى، نجد أن كل فرد يستطيع الحفاظ على صحته وصحة غيره.

ومن هنا فالتربية في مختلف المجالات تسعى إلى استمرار وازدهار المدينة والثقافة في المجتمع، والتربية في الوظيفة الاجتماعية تميل إلى التطور والرقي وتحسين ظروف الحياة عن طريق نشر الوعي والثقافة وكبح أغوار الجهل واستخلاص العلاج والحلول لمختلف المشاكل وطمس العيوب التي تحاول تشويه المجتمع.

والتربية في هذه الوظيفة تمكن المجتمع من التقدم، وتخلق جملة من الظروف التي تساعد المجتمع على حل مشكلاتة وصنع صور المستقبل، بإعداد الأجيال القادمة المبدعة الخلاقة التي يتمتع أفرادها بالشخصيات القوية المتكاملة ذات التأثير الإيجابي.

ومما سبق نستخلص أن التربية في هاتين الوظيفتين الاجتماعيين تسعى إلى المحافظة على الثقافة وتطويرها لارتفاع مستوى الحضارة ،فنجد في البادية مالا نجده في المدينة.

ففي البادية الحياة سهلة وبسيطة وعلاقتهم غير معقدة، وتكمن وظيفة التربية هنا في نقل المهارات والمعلومات والأوليات والتقاليد التي تفتقر إليها البادية، أما المجتمعات المتقدمة فهي مشبعة بالمعارف والعلوم والعلاقات الاجتماعية والسياسية معقدة والمهن والحرف متنوعة، هنا يجب أن يكون مختص في عملية التربية.

[1] ينظر: سعيد إسماعيل علي، أصول التربية العامة، مرجع سابق، ص 31

[2] مرجع نفسه.

ومن هنا نجد تناقض جدري بين حياة البادية والمجتمعات المتقدمة ومنه تختلف أساليب التربية من مكان إلى مكان ومن عصر إلى عصر، إذ يمكن أن نستخلص من هذه الوظائف عدة قيم تنضوي تحتها وهي:

أ- القيم الدينية:

وهي تتجه إلى تحقيق أعلى مراتب الكمال"[1] إذ تتصف بالقداسة.

ب- القيم العلمية:

وهي تصف بالموضوعية يحتوي مضمونها على الحقيقة"[2] وأحيانا تصف بالنسبية يدور موضوعها حول الماهية والبحث عن الجوهر

ج- القيم الأخلاقية:

وهي تتصف بالفضيلة والكمال والنبل "[3] ترمي إلى تحقيق أعلى درجات من النضج الخلقي والتحلي بمكارم الأخلاق

د- القيم الاجتماعية:

وهي تتصف بالقابلية للتفاعل الاجتماعي الإيجابي ،يحتوي مضمونها على النزعة الاجتماعية[4]، وتصف بالقدرة على تقبل الغير والقيام بسلوكات الأخذ والعطاء .

تبدأ هذه القابلية من الأسرة وبعد الانتقال إلى المدرسة حيث يتعلم الطفل القيم الجديدة بأشكالها السلبية والإيجابية منها التنافس والصراع وفي سن المراهقة يتعلم الفرد أثناء احتكاكه بمجموعة من الشباب نوعا جديدا من القيم والسلوكات.

[1] ينظر: عبد القادر لورسي، في علوم التربية، مرجع سابق، ص98.
[2] ينظر: مرجع نفسه، ص98.
[3] ينظر:مرجع نفسه.
[4] ينظر:مرجع نفسه.

هـ- القيم الجمالية:

ميدانها هو الفن ومضمونها هو الجمال،[1] وهي تصف بالرقة والسمو ورفاهة الحس، وتتجه نحو الشكل والانسجام.

و- القيم السياسية:

ومعناها مقرون بالعدالة ،[2] والإنتاج والاستهلاك والحقوق والواجبات تتجه نحو النظام والأمن مضمونها هو السلطة.

ز- القيم الاقتصادية:

ومجالها الإنتاج والإستهلاك[3]، ومضمونها هو الفائدة والمنفعة تتجه نحو الترشيد والعقلنة.

ح- القيم البدنية:

ميدانها الصحة وهي تتجه نحو المتعة [4]، والعناية بالذات ومضمونها هو الحيوية والنشاط.

ومجمل القول أن هذه القيم مرتبطة ومنسجمة حيث لا يمكن عزل قيمة عن قيمة أخرى، وهذا الانسجام هو الذي يضمن نجاح التربية ويحقق التقدم الحضاري والتطور والازدهار

1/ تجليات التربية بالقصة من الأدب الجزائري:

تمر القصة بمراحل عدة منسجمة في أسلوبها الفني في قالب بسيط ومختصر في عرض الأفكار مع كل مرحلة،التي سبقتها والتي تليها، ولما كانت القصة الجزائرية تخضع أيضا لهذه النماذج الثلاثة، التمهيد ويليه العرض ثم تليه النتيجة والعبرة، ومنها يمكن أن نلخص وظيفة كل مرحلة والهدف منها والغاية التي ترمي إليها.

[1] ينظر: ينظر: عبد القادر لورسي، في علوم التربية، مرجع سابق، ص 98.
[2] ينظر:مرجع نفسه، ص 99.
[3] ينظر: مرجع نفسه.
[4] مرجع نفسه.

أ- المرحلة الأولى:

وظيفتها لفت الانتباه إلى موضوع القصة والعبرة منها أو كليهما معا، وتشويق القارئ ليبقى بكل مشاعره ووجدانه متابعا لأحداث القصة.

ب-المرحلة الثانية:

وهي مرحلة عرض أحداث القصة ،فوظيفتها نقل الأهداف الإعتقادية والقيم والأفكار للمتلقي بواسطة أحداث القصة وحوارها فهي بمثابة الجسر الذي يوصلنا إلى نتيجة القصة والعبرة منها،[1] وهي الأشعة التي تصل إلى وجدانه وتوقظ مشاعرنا .

وتتسم هذه المرحلة بالطول والقصر، ويكون ذلك بمقدار ما يمكننا من أداء العبر والقيم وإيصالها إلى القلوب والنفوس لإيقاظها، وتحريك مشاعرها وتهذيبها ثم الانتقال بها إلى مرحلة العاقبة بأسلوب مترابط في قالب مشوق يحمل في طياته الكثير من الأسئلة، حيث يكثر الحوار في القصة حتى يظن القارئ أنه لم يجد فيها غير الحوار، تحمل وصفا نقديا رائعا وقويا يأخذ الألباب.

ج- المرحلة الثالثة :

وهي مرحلة العاقبة والنتيجة والعبرة،[2] وهي التي توصلنا إلى ما كنا نتساءل عنه، بكل ما تهدف القصة إلى تثبيته في أعماق الوجدان من نتائج وقيم وأفكار تقنعنا بها، بل تدعونا إلى تحقيقها في وجداننا وسلوكنا بل هي التي تؤثر في غيرها من المراحل فهي المدار الذي تدور حوله أحداث القصة والأساس الذي يرتكز عليه الحوار القصصي .

[1] ينظر: عبد الرحمان النحلاوي: التربية بالقصة، دار الفكر، ط2، دمشق، سوريا، 2005، ص49.

[2] ينظر: مرجع نفسه، ص50.

إن الأساس هو العنصر الجوهري الذي تبنى عليه المقاربة العلمية لدراسة ظاهرة ما، ويمكن القول أن الظاهرة التربوية التي تعد من أعقد الظواهر من حيث متطلبات إخضاعها للدراسة، فحظيت باهتمام كبير من الباحثين والمفكرين أدى ذلك إلى تبيان وظائفها وقيمها، يمكن من خلالها تقديم رؤية واضحة المعالم ،محكمة التناول ومحددة الأهداف ودقيقة التحليل، ثم إن الظاهرة التربوية ترمي إلى تعديل السلوك البشري تعديلا إيجابيا عن طريق الخبرة والمران ومنه تشكيل حياة الفرد بدءا من السنوات الأولى من العمر ،فالتربية تعده للحياة الاجتماعية ،وبالتالي فإن من وظيفتها غرس العادات وأنماط السلوك التي تبتعده عن الغيبية ،فهي تعلم الفرد العدل الصدق وطلب الحقيقة ،وطلب الصدق لا يعني الغيبة والتشهير بالناس بما لا يحبون.

الفصل الثالث:

إزدواجية السخرية والتربية في (اللعنة عليكم جميعا) " للسعيد بوطاجين "

تمهيد:

يعدّ القاص والناقد والأديب الجزائري السعيد بوطاجين، من أبرع الذين جالت أقلامهم في معالجة الأوضاع المزرية التي يعانيها الشعب الجزائري في فترة ما بين الثمانينات والتسعينات والعشرية السوداء، وما حملت في طياتها من مواضيع مختلفة اجتماعية، سياسية، اقتصادية، حي ركز الناقد على الأوضاع التي يعاني منها الفقير والمثقف والمفكر، فيركز على الجانب التربوي بقيمه الدينية والأخلاقية والجمالية تارة، وتارة أخرى يركز على الجانب الأدبي فيما يتعلق بالشعر والقصة والنقد وسائر الفنون الأدبية.

فسلط الضوء على فن السخرية الذي جعله مصباحه السحري في التعبير عن نفسه وعن الواقع وعن المجتمع في حد ذاته، وقد كانت المجموعة القصصية تكتنف جل هذه الجوانب التي أثارت اهتمام القاص عن اللعنة عليكم جميعا، التي تعبر عن معاناة الشعب الجزائري في ظل جور الحكام، وتسلط أصحاب النفوذ والسلطة، فأصبح المثقف والفقير لا حسيبا بين مطرقة السلطة وسندات الملوك والسلاطين.

تتألف المجموعة القصصية " للعنة عليكم جميعا" لسعيد بوطاجين من ثمانية قصص قصيرة تنطلق من الواقع ومظاهره، وبما أن الأدب يحمل رسالة اجتماعية فإن الناقد قد عالج هذه الحياة الاجتماعية بكل ما تحويه من صراع قائم بين القوي والضعيف من أجل حفظ البقاء كل ذلك يجري في قالب ساخر هادف وتربوي.

حيث استطاع بوطاجين تصوير حياة المجتمع في فترة ما، من خلال سرده للأيام العصيبة التي سيطر شبح الرايات السود وأصحاب السلطة، فالسعيد بوطاجين أراد من خلال هذه القصص أن يفضح المستور، ويواجه القارئ بحقيقة مؤلفة مفادها أن الفقير والمثقف يعاني الأمرّين والمحن في الجزائر، حيث أصبح المثقف مهمش تحت لواء السلطة.

فقد قام الناقد بالسخرية من كل هؤلاء سخرية لاذعة، وأعرب عن الخوف من الهلع الذي يستهدف تلك الطبقة العادية من المجتمع سواء كان معلما، كاتب، أم شاعرا، أم إنسانا فقيرا عاديا.

ولعل ما يلفت انتباه القارئ في هذه المجموعة القصصية ذلك الإهداء الذي يقول فيه

فكرت مليًّا وقلت:

لمن أهدي هذه الحكايا؟

لن أهديها إلى الإنسان المفترس؟

لن أهديها لأكل لحوم البؤساء،

ولا إلى الثرثارين جدا،

أما الخارج عن هذه الكائنات فله

حبي وكلماتي وحياتي.

يحمل هذا الإهداء رسالة مشفرة ورموز ذات معنى مضمر إبداعي، حيث يقدم إبدائه للفقراء البائسين والمثقفين المهمشين للطبقة الكادحة من المجتمع، ولكن يلعن بشدة بسخرية لادعة الطبقة البورجوازية السلطوية الاستغلالية الطاغية المتجبرة.

ثم يقول بوطاجين في صفحة أخرى عنوانها خاتمة الآتي:

أيها القارئ إننا أخوة وأمنا الأرض، لست فخورا لانتماء للسلالة المتوحشة، قادة الشعوب متسلطون ، والشعوب التعيسة البائسة تتقاتل إرضاءا لهم، إني أجد متعة في السخرية من الذين يسخرون مني.

لقد تجولت في أرجاء التاريخ فوجدت أناسا كثيرين يفكرون بأمعائهم، فالإنسان الحقيقي لا تجده في هذا الكون الذي يعج بالكذب وامتصاص دماء الأبرياء لهذا ألعن فالجور عمّ واستبد العقول، والحرب أصبحت قدر الجميع يشرعها القادة الفاسقون إن هؤلاء لا يستحقون التحية لهذا ألعنهم.

هي القادة والكبار يتحدثون عن الأسلحة الراقية، وناطحات السحاب وغزو الفضاء، أما الإنسان البائس يموت جوعًا وحرمانا.

أما الحكام في حجم المزابل يدفعون العبيد إلى الحروب ويصفونهم بالجبناء والتافهون، حيث ينتظر منهم الحكام النتيجة للسطو على المناصب. وإذا رأيتهم خائفين فهم يفكرون في انقراض الكرسي والسلطة.

ثم يقدم سعيد بوطاجين التحية للفقراء الطيبين المظلومين يقدم لهم السلام ويقول في الأخير اللعنة عليكم جميعًا والسلام علينا يوم نصبح مثلكم.

من خلال المقدمة نلاحظ أن القاص قد وظف الكثير من الوظائف والأنواع والأساليب سواء للسخرية أم التربية بالإضافة إلى مجموعة من القيم التربوية.

وتنتهي القصص بتجديد زمان ومكان كتابة كل قصة بطريقة عجيبة على النحو التالي:

- قصة فصل آخر من إنجيل متى:" جمهورية السعيد بوطاجين حفظه الله بتاريخ تثبت يد أبي لهب".
- من فضائح عبد الجيب:" تكسانة التي في القلب والذاكرة يوم سنوات الدم والسرقة في ساعة تعبت جدا من الساعات.
- حّد الحدّ: كتبت هذه القصة على بركة الله في مملكة عبد الجيب بتاريخ قل أعود برب الفلق من شر ما خلق.
- 37 فبراير: الكوة الأرضية التي ليست لنا، بتاريخ 36 مارس 125457 إلخ.
- علامة تعجب خالدة: جمهورية تاكسانة حفظها الله، 27 المتنبي سنة 1972 لعنه وخمسة كراريسن أوسبع ثكنات مثل.
- ظل الروح: جمهورية الشياطين، في يوم ما من عام الدّم من ذلك القرن القذر حتى الساعة كذا وكذا ساعتهم.
- وللضفادع حكمة: بلاد الهم والغم والدّم بتاريخ ألف وتسعمئة إلى آخره.
- حكاية ذئب كان سويًا: كدت أنهي هذه القصة في جهة ما، في زمان ما، لكنني ..... آه يا خالقي.

وللإشارة فإن سعيد بوطاجين أراد أيضا من خلال هذه المجموعة القصصية " اللعنة عليكم جميعا" أن يوظف اللغة توظيفا مجازيا لا يخلو من تيمات السخرية والتربية خاصة في عناوينها وحتى زمانها ومكان كتابتها، مما يتطلب من القارئ أن يبدل جهدا كبيرا للإمساك بالمعاني ومقاصد الكاتب التي يضمرها.

قراءة في الغلاف:

إن العلاقة التي تجمع بين النص والعنوان هي علاقة اعتباطية متلازمة متكاملة، كعلاقة الدال بالمدلول، فكل منهما يحيل إلى الآخر، باعتبار العنوان هو عتبة النص ونقطة البداية والمركز، حيث يسمح للقارئ فهم الخطاب ويقوده إلى تأويله، كما أنّ اختيار المبدع للعنوان ليس لأنه يخدم نص، بل هو جزء من العملية الإبداعية التي يقوم بها المبدع، فالكاتب يفكر مليّا ويمر بلحظات عسيرة قبل أن يحسم الأمر من انتقاء العنوان وضبط عناصره، كما يحرص على أن يخرج صورة تعكس نظرة وموقف الكاتب وهذا يعود " لاكتنازه بعلاقات إحالة مقصدية حرّة إلى العالم و إلى النص وإلى المرسل في الآن نفسه"[1] يعني أن العنوان هو المحطة الأولى التي تستوقف القارئ وتحيل إلى ما هو موجود في النص، وتشعره بالفضول لمعرفة ما يوجد في جعبته.

يحمل العنوان أهمية كبيرة، لما يحمله من وظائف ودلالات، تجعل القارئ يتفاعل معه، حيث يدرس ويأول البياضات والدلالات الرمزية الموجودة بين الأسطر التي خاط عليها المؤلف نسيجا للنص، والعنوان بالنسبة للقارئ هو أيقونة تسمح له بفك شفرات النص وما وراء النص عن طريق التفاعل.

فظاهرة العنونة عن سعيد بوطاجين ملفتة للانتباه بشكل جلي، إذ لا يمكن الوقوف على دلالات شفراتها إلا من خلال النص، فالعنوان هو بمثابة لوحة إشهارية فقط.

فالمجموعة القصصية " للعنة عليكم جميعا" في عنوان تراثي يحمل في طياته التاريخ العربي والإسلامي، فهذه اللفظة يعتمدها المرء في حياته اليومية فهي تقترن بالسخرية والتهكم واحتقار الغير أو الخصم تارة، وتارة أخرى تعود إلى الطرد والنفور وتدخل في باب الشيطانية والمسخ.

[1] أندريه مارتينيه: مبادئ ألسنة عامة، تر: ريمون رزق الله، دار الحداثة، بيروت، لبنان، د ط، 1990، ص 113.

وقد جاء في لسان العرب لابن منظور: لعن، أبيت اللّعن، كلمة كانت العرب تحي بعض ملوكها في الجاهلية، واللّعن: الابتعاد والطرد من الخير وقيل الطرد والإبعاد من الله، ومن الخلق، السب والدعاء.

واللعنة: الاسم والجمع لعان ولعنات، ولعنة يلعنه لعنًا: طرده وأبعده وقوله تعالى:" إن اللذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعدما بينه للناس في الكتب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللّعنون". (البقرة/159).

أي أن الله يلعن هؤلاء الناس الذين يعرفون ما هو موجود في الكتاب ويكتمون ذلك ويسكتون عن الحق والسكوت عنه شيطان أخرس.

واللعنة الكثير اللعن للناس، واللعنة: الذي لا يزال يلعن، لشرارته لقوله تعالى:" إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله وملائكته والناس أجمعين" (البقرة/161).

أي أن اللذين ماتوا كفارًا يتوعدهم الله بعذاب أليم ويلعنهم هو والملائكة والناس جميعًا.

واللعنة: الدعاء عليه، وحكى اللعياني: أصابته لعنة من السماء ولعنةٌ[1].

فاللعنة بمعناها الشامل المتضمن الطرد والمسخ من رحمة الله سبحانه وتعالى، وتمثل أحد المرجعيات الثقافية لدى السعيد بوطاجين خاصة والمجتمع الجزائري عامة.

عليكم اللعنة جميعا: والجمع اسم لجماعة الناس لقوله تعالى:"كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلوا عليكم آيتانا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون" (البقرة/151).

والجمع: مصدر قولك جمعت الشيء، والمجمع المجتمعون والجماعة والجميع والمجمع، والجمع: الجيش والحي المجتمع.

وفي حديث أحد: وأن رجلا من المشركين جميع الأمة أي مجتمع السلاح، والجميع ضد المتفرق[2].

[1] ينظر: جمال أبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري الإفريقي المصري لسان العرب فصل اللام، مرجع سابق، ص 970.
[2] مرجع نفسه، مج 5 فصل الجيم، ص 49.

ونجد ذلك في قوله تعالى:" ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات أين ما تكونوا يات بكم الله جميعًا، إن الله على كل شيء قدير" (البقرة/148).

ونلاحظ من خلال الآيات السابقة أن الله سبحانه وتعالى يعمم ولا يخصص في نشر الخير والحكمة على الناس جميعًا، إلا من أبي واستنكر فقد ظلم نفسه.

وقد استعملوا ذلك في غير الناس أيضا حتى قالوا جماعة الشجر وجماعة البنات.

أما اللوحة الفنية التي اعتمدها سعيد بوطاجين كواجهة للغلاف فهي تعبر عن اللاتعبير واللامعقول والعبث، وكأن الرسام قد قام بخلط الألوان عبثا من أجل التعبير عن المكنونات وعن المخاض الذي يتكبده والحزن وعدم الاستقرار الذي يحس به ربما، فاللوحة تحمل عدة تأويلات فلا يمكن التنبؤ بما تخفيه وراء تلك الخربشات.

فالسعيد بوطاجين يجمع كل من اللوحة الفنية والعنوان في غلاف واحد وكأنه يريد من القارئ التنبؤ بما يوجد في المجموعة القصصية، وهذا التأويل لا يتم إلا عن سعة ثقافية واسعة فيلولوجية*، فالأديب من خلال اللعنة عليكم جميعا يرمي " إلى البحث عن معايير جودة كانت ما تزال تجمع بين فكرتي الحسن والصلاح، بين الجمال والأخلاق وكان أساس لشعار مذهب مفكري النهضة الأوروبية في إحياء الآداب القديمة"[1] إلى الجمع بشرح شخصيات غريبة وغربية حكيمة ومجموعة من القيم والأخلاقيات من أجل إحياء الآداب القديمة الجزائرية كالأدب الشعبي، واللهجات الجزائرية، فهو يريد إحياء ما هو مرمي في غياهيب النسيان في قالب قصصي.

* فيلولوجيا: أو علم اللغة المقارن هو فرع من فروع علم اللغة واللسانيات التاريخية التي تركز على مقارنة اللغات لتحديد الصلة التاريخية بينها، مثل القرابة الوراثية الأصل المشترك للغة، تهدف إلى بناء العائلات اللغوية وإعادة بناء مجتمع اللغات السابقة، كما تهدف لتكون أسر اللغات لإعادة تأسيس اللغة الأم.

[1] هانس روبرت ياوس: جمالية التلقي، تر: رشيد بنحدو، بالتعاون مع مجموعة من دور النشر العربية ومنشورات الاختلاف الجزائري، ط 1، الجزائر، 2016، ص 116.

يسلط السعيد بوطاجين في المجموعة القصصية اللعنة عليكم جميعا الضوء ويسخر من المسؤولين الذين يهتمون بمصالحهم ويهملون المواطنين، كما يشير إلى احتقاره واستهانته بهؤلاء المجرمين أكلي لحوم الفقراء، والإجراءات التي يتبعها الحكام والسلاطين ضد الأدمغة و الإمعة والمثقفين فيقول اللعنة عليكم جميعا.

تمهيد:

تمظهرت في المجموعة القصصية البوطاجينية العديد من الصور الواقعية فمن بدايتها إلى نهايتها تعالج موضوع المصير الذي آل إليه الشعب الجزائري عامة والمثقف خاصة، إذ استحوذت هذه المجموعة في ثناياها صورتي السخرية والتربية بما تحملا من وظائف وأساليب وقيم باعتبارهما موضوع الدراسة، ومنه نطرح التساؤل التالي: كيف تجلت السخرية والتربية في هذه المجموعة القصصية؟ وما هي الأساليب والوظائف التي اعتمدها القاص؟

1/ تجليات السخرية في اللعنة عليكم جميعا:

1-1: قصة فصل آخر من انجيل متى:

تزخر قصة (فصل آخر من انجيل متى) بصور ساخرة كثيرة، حيث نجد أن عنوان القصة في حد ذاته يحيل إلى دلالات مضمرة، وهي سخرية القاص من الديانة المسيحية والكتاب المقدس من العهد الجديد، فيستعير منه عنوان القصة التي تشبه على حد قوله أحد فصول الإنجيل متى وهو الفصل السادس، فوسم على منواله عنوانا لقصته فصل آخر من انجيل متى"[1].

وقد اشتمل القاص عتبة القصة بمقولة" نيكوس كزانتزاكي" الذي عرج فيها بالحديث عن الصراع بين السلطة والمثقف والقوي والضعيف وكان هدف السعيد بوطاجين من هذه المقولة هي السخرية من هذا الإنسان المتسلط والعنصري التي يعاني منها في ظل جور الحكام المليئة بالنفوس السيئة التي تطارد النفوس الحزينة في المجتمع حيث يقول: " نحن بشر يطاردنا أخوة لنا نفوس فظة قاسية وأخرى أثقلتها الأحزان، أيتها الطيور والجوارح نسألكم أن تحسنوا لقائنا لقد أتينا إلى هنا بعظام الأجداد"[2].

فهنا يسخر من هؤلاء المتسلطين، ويشير إلى أنهم أخوة من نفس الجنس يجب عليهم أن يعتمدوا على مبدأ المساواة مع بعضهم البعض، وهنا تتجلى وظيفتين اثنين للسخرية هما الوظيفة الاجتماعية والوظيفة النفسية،

[1] السعيد بوطاجين: اللعنة عليكم جميعا، منشورات الاختلاف، الطبعة1، الجزائر، 2001، ص9.

[2] مصدر نفسه.

فالقاص تارة " يعبر عن المعاناة التي يتكبدها للشعوب"[1]، وتارة أخرى يتحدث " عن المعاناة التي تكتنفها روحه"[2]، ونلاحظ ذلك بقوله :" أيتها النار الكامنة في باطن الشجر تنتظر الإنسان حتى يوقظها من مكمنها ....في حياته"[3]، حيث يلجأ إلى ذلك الكائن الحي الضعيف الذي يقدم المساعدة له ويجد فيه كل الحب والحنان والأمل بأن الغد أفضل.

وعند الولوج إلى متن القصة نلمح صور ساخرة تغزوا أحداث القصة في قالب هزلي وضاحك فكاهي متهكم فيقول السعيد بوطاجين:"كان الجوع يبث في مملكتي والغرفة عنقود فراغ يتدلى في البال .... قطعة هواء تعبر أمامي هي مرتجفة .... وأمسكها من ساقيها، وعليا الآن أن أتصورها عنزة متنكرة في هيئة طائر.....عنزة بريش؟ .... ووضعتها على مائدة معقوفة عمشاء"[4].

فمن خلال هذا المقطع الساخر يصف القاص الحالة الشعورية المتأزمة التي يمر بها فتتجلى هنا الوظيفة النفسية للسخرية، حيث يسعى إلى الترويح عن نفسه وتسليتها للتعبير على ألامه وأمله والضحك والتفكه حتى ينسى همومه، فاعتمد السخرية العقلية التي تحمل في محتواها الجانب المخزي والأ لم والمعاناة التي يتكبدها القاص بأسلوب تصويري نفسي حيث نجد أن في هذا التصوير يصف القاص حالته النفسية في دقائق الواقع فيستمد مدلولاته المباشرة في التعبير على شكل لوحة فنية ذات معا لم خارجية ونفسية واقعية، ثم يتطرق للحديث عن نفسه فيسخر من الواقع الذي يعيش فيه باعتباره مثقف مهمش يعبر عن ذاته وعن وجوده عن طريق الخيال فيقول:" ثم تأسفت كان عليّا أن أتريث ولا أغتال قطعة الهواء لأن أنا الطبيعة ستنتقم، لذلك وقفت دقيقة صمت ولعنت بطني أي مهزلة هذه"[5]، حيث يسخر بوطاجين من واقعة ومن نفسه التي لا يستطيع التحكم بها في خضم

[1] ينظر: محمد ناصر بوحجام، السخرية في الأدب الجزائري من 1925-1962، مرجع سابق، ص14.
[2] مرجع نفسه، ص 17.
[3] مرجع نفسه.
[4] السعيد بوطاجين: اللعنة عليكم جميعا، مصدر السابق، ص 11.
[5] مصدر نفسه، ص 11.

الشهوات التي يصادفها في طريقه، لكن يشير إلى أن أمنا الطبيعة ستنتقم، فهو يقوم بإسقاط ما يفعله الحكام وأصحاب السلطة للفقراء و المثقفين المهمشين مثل ما تفعله الطبيعة عندما تغضب وتحدث كارثة يصعب التنبؤ بها وهنا تتجلى السخرية الإنتقادية فهو بذاته يتوجه ناقدا ومؤدبا، حيث ينتقد ويؤدب نفسه على ما فعل بأسلوب قصصي حيث يصور الجانب الحسي تصويرا قصصيا يجري مجرى تسلسل الأحداث والشخصيات، وبالإضافة إلى بروز الوظيفة النفسية في هذه القصة فنجد قول السعيد بوطاجين ساخرا من ذاته " ملأت بطني ببنزين نافل، تفقدت المحرك لا يزال ينبض في الجهة اليسرى مني، كان يجب أن يستقيل وينطفئ، لأني عاملته معاملة بوهمية... وشددت الرحال نحو المستقبل"[1]، وهو يطمح بخياله الواسع إلى السفر للمستقبل فهيأ نفسه ساخرا ومنتقدا، ويحاكي نفسه بأسلوب المحاكاة والتقليد، فهو يقلد آلة الزمن بما تحتويه من محرك وعناصر أخرى التي تعينه على المضي، ويسخر معاملته لنفسه معاملة الحيوانات، ليست معاملة صائبة لكونه مثقف.

وفي مقام آخر يقول ويسخر من نفسه:"كانت الخلائق تشير إلي بأصابع متعبة وتتغامز، ومنهم ما كان يلوح مودعا"[2]، وهو يسخر من نفسه ويستهزئ ويحاول إعطاءها قيمة تليق بمقامها، ويصف كيف كان الناس يسخرون منه ويحتقرونه بأسلوب الهمز واللمز حين يقومون بتلك الإشارات والإيماءات وكيف يحركون أيديهم ويتغامزون حيت يقول :"كان يلوح مودعا حضرتي يورى غاغرين يحلق في سماوات جديدة ممتطيا حذاءه خرج من الغيبوبة"[3]، فهنا يصور كيف يعامله الناس ويسخرون منه ويستهزؤون به ويلمزونه بلقب يورى غاغارين الذي يعد أول من صعد إلى الفضاء في قالب فكاهي وساخر وبهذا تتجسد السخرية الفكاهية التي ترمي إلى الإضحاك والتفكه والتسلية ثم يقول:" رغم أني كنت أسير بسرعة عجيبة....رحت أخطب: أيها الناس اسمعوا ولا تعوا ما

[1] السعيد بوطاجين، اللعنة عليكم جميعا، المصدر نفسه، ص 11.

[2] مصدر نفسه.

[3] مصدر نفسه.

جدوى ....في زمان بيت وأسير؟ إنها قطعة من اللاتعبير، ومادامت المأساة مراهقة واللفظة تحتمل الصدق والكذب،....تعالوا معي نبحث عن وسيلة للتخاطب والبكاء"[1].

من خلال هذه القطعة نلاحظ أن القاص يهزأ بنفسه ويعمد إلى السخرية من خلال إعادة دبلجة خطبة الحجاج بن يوسف، وذلك من أجل التفكه والتسلية ثم يعبر عن المأساة التي تسكن خاطره وأن كل ما يقال ليس صحيحا فليس كل كلمة صدق بالضرورة صحيحة بأسلوب أخاب يبعث بالسخرية من الواقع المعيش، ويبحث عن وسيلة للتخاطب مع الآخرين ويقصد الحكام وأصحاب السلطة وهو على حد قوله، قد جرب كل السبل ولم تنجح طريقته في التعامل معهم، يحتكم في ذلك إلى السخرية العقلية التي تحمل في ثناياها الانتقاد العاطفي فهو هنا يحاول أن ينبه أولئك الناس إلى عيوبهم وأنه قد تحاور معهم بمختلف اللغات والأساليب دون جدوى ويرمي من خلال هذه السخرية إلى الإصلاح والإرشاد والتهذيب بأسلوب المحاكاة، فهو يحاكي الحجاج بن يوسف في أقواله ويسخر من هؤلاء الناس في أفعالهم.

ثم يقول في موضع آخر " شعرت ببعض الأسى وأنا أبذر ما تبقى مني، يدا جليّا أنّي أبحث عن زمن حيّ يولد بمشقة وظمأ، ..... ومن بعيد بدا البحر شيخا أعزل يفتل لحيته البيضاء وكنت مثله....منذ نعومة يأسى، أوصاني بعدم إحصاء الأيام التي لا وجه لها،..... من ألمك من البشر الحقيقيين، تعلم الحكمة، فظاهر الشيء لا يوفي بالجوهر.... العين قاصرة على الإدراك يابني"[2]، فمن هذا نجد تنوع في الصور الساخرة حيث وظف القاص بمعنى تكلفة مالا طاقة له به، فبحث عن ذلك الشيء الذي ربما لم يمكن ولم يوجد وإن وجد بمشقة وتعب فيسخر من البحر من البحر ويعمد إلى تصويره في هيئة شيخ فيستهزئ به في قالب ضاحك وفكاهي ويطلق هذا التعبير على نفسه أيضا، إذ تتجلى سخرية القاص على نفسه وعلى واقعه الذي لم يتغير فيه شيء، ثم يسخر من طفولته التي لم يعشها بمعنى الكلمة وينعتها بطفولة اليأس أي أنه منذ أن كان صغيرا وهو يائس من الحياة من الناس، من

[1] السعيد بوطاجين، اللعنة عليكم جميعا، المصدر السابق، ص12.

[2] مصدر نفسه.

الواقع الذي فرض عليه أشياء كثيرة لم يكن يريدها فهي لم تنصفه في صغره وكبره ونجد ذلك في وصايا جده له كان لا بد لتلك الأيام البائسة وبني البشر الذي ظاهرهم مرآة وباطنهم وحوش، هناك الكثير يظهرون الحب والطيبة من أجل الوصول إلى المرامي التي يريدونها ثم يظهرون تلك المخالب الحادة التي كانت متخفية، ربما تكون ذات القاص لم تنعم بما تريديه في المقابل شعر أنه يبحث عن الأمل والثقة التي يضيعها مرة أخرى عندما يسرد ما وقع له بتصوير حسي قصصي يجري مجرى الأحداث الواقعية، ثم يقول " وإذا كنت أسأله عن مكان البشر الحقيقيين يظل منخرسا في مكانه مشيرا إلى جهات غامضة...هناك أرواح ترتجف كعصافير مبللة....أرواح جوالة تأكل هاربة...وينام بعين واحدة مجعدة....لن يراها إذا بقي قلبك أعمى"[1]، يسخر القاص من الحكام وأصحاب السلطة الذي يحسبهم ليسوا بشر حقيقيين في المقابل يبحث عن البشر الحقيقيين فيرى أنهم موجودون في المدن الفقيرة الحقيرة المليئة بالفقر والقهر والتسلط في السجن تحت التعذيب، لا يرى هذه الفئة من المستقيمين إلا أصحاب القلوب النظيفة العفيفة، وهنا تتجلى الوظيفة الاجتماعية للسخرية بما تحمله الحياة من سلبية وإيجابية بالنقد والتمحيص والغاية من ذلك الإصلاح والتهذيب.

إذ يحيل هذا النوع من السخرية إلى السخرية الانتقادية، حيث سخر الكاتب من الأوضاع المزرية التي آل إليها بني البشر في خضم الصراع القائم بين السلطة والمثقف المهمش والقوي والضعيف، الحاكم والمحكوم عليه، بالاعتماد على أسلوب التصوير النفسي، حيث يبرز شعور الراوي بالحزن والأسى والألم على هؤلاء البشر، فيصفهم بالعصافير، ويوحي بأنها تلك المخلوقات الضعيفة ويصفها تارة بالأرواح التي تريد أن تأخذ شيئا وتذهب التي لا تنعم بقسط من الراحة وتظل خائفة طوال الوقت من الظلم والتعذيب، هذه الفئة لا يراها إلا من كان قلبه رحيما وحساسا.

[1] السعيد بوطاجين، اللعنة عليكم جميعا، مصدر سابق، ص 12-13.

وفي موضع آخر يصف القاص نفسه ساخرا فيقول:" ها أنا ورقة ملعونة بترت من شجرة عافت الضوضاء، أستطيع الآن أن أبصر الآخرين متكئين على كراسي زاهية يطنطون على الماضي....كل المقاهي تبدوا موانئ سفن خرافية....طاولة المفاوضات الراقية: أيهما خلق الأول؟ الدجاجة أم البيضة؟"[1]، فيصف نفسه أنه مجرد ورقة سقطت من شجرة ملعونة في المقابل يسخر وينتقد هؤلاء أصحاب النفوس العابسة المريضة الذين يحبون المال حبا جما ويفعلون أي شيء من أجل المال والجاه، ويتساءلون عن سؤال لم يجدوا له دواء على مرّ الزمان أيهم أسبق الدجاجة أم البيضة وهذا إن دل على شيء يدل على التهاون والاستهتار الذي غطى النفس البشرية.

ثم ينقل القاص مرارة الواقع الأليم من تغييب شريحة كبيرة من المجتمع تقف بعيدة عن مركز السلطة فالمثقف يبقى مهمشا رغم امتلاكه سعة ثقافية واسعة إلا أنّه لم يلقى ذلك القدر من القيمة المرجوة فيقول" إن مهمتي الوحيدة هي السفر إلى المستقبل هربا من الوحشية، ورائحة المقابر، هناك سأستحم بقوس قزح"[2] فقد غير اتجاه رحلته من مثقف باحث عن العلم إلى رحالة نحو المستقبل هربا من البشر الجشعين الذين يتصفون بالوحشية، ورائحة المقابر التي تنبعث من جثة الفقراء المظلومين، فهو يسخر ويقول بأنه سيرحل بعيدا ويستحم بماء قوس قزح ليغتسل من تلك اللعنة التي تتبعه، فيصور هذا المشهد في قالب قصصي يجري مجرى القصص معتمدا في ذلك على السخرية العقلية فيخاطب هؤلاء العقول المتحجرة.

ومن المقطعين السابقين تتجلى الوظيفة النفسية في طابع فكاهي ضاحك، كما يقول أيضا:" عمّي يور إلى أين؟ ارجع يا عمي يوري، طفل مرشح للهباء يتساءل عن الغاية"[3]، حيث يحيل السعيد بوطاجين إلى سخرية الناس منه ويشير إلى أن حتى الأطفال الصغار يسخرون و يستهزؤون به لكن ثقتهم كبيرة به، وهنا يتجلى أسلوب السخرية في التنابز بالألقاب حين نعت الطفل الصغير القاص يوري غاغارين ذلك الأسطورة الروسية الذي كان

[1] السعيد بوطاجين، اللعنة عليكم جميعا، مصدر سابق، ص 13.
[2] مصدر نفسه، ص 13.
[3] مصدر نفسه، ص 13.

أول من صعد إلى الفضاء، فهو يسخر ويأمل في وجود غاية من سفره أيضا، وهنا تتجلى السخرية العقلية حيث يسخر الطفل من القاص فيقول السعيد بوطاجين:" وفي عينيه النديتين طفت رغبات بلا أفق، وودت لو أخبرته بأني فائض في الحاجة، وأني مدمن على الموسيقى والشعر والتسكع...، خشيت أن أدمي مسراته العفوية"[1]، فهنا يحاكي القاص هذا الطفل الصغير الذي سخر منه في بادئ الأمر لكن في الأخير أشعره أن يثق به فيرد عليه الراوي وهو يستهزئ من نفسه أنه ليس كما ظنه وأنه إنسان بلا هدف ولا غاية لكن لم يشأ أن يفسد تلك الثقة والأمل الذي وضعه فيه ذلك الصغير.

فيخاطب بوطاجين ذلك الطفل ويسخر من الزمن ومن نفسه فيقول:" يا طفلي العزيز لو كان الزمن دروبا والعمر لنا، سأنتعل غزالتين وأركض إلى الوراء حتى أصل إلى الطفولة أقبلها يحنون، كرهت اللعنة الملتصقة بي خطأ"[2]، ويقصد بهذا أنه لو يرجع الزمان إلى الوراء سيعود إلى طفولته، فهو يسخر من نفسه ويبعث عليها الأمل إذ يرى في الطفولة الجميلة ما لم يجده في شبابه رغم أنه يعي بأن كلامه مستحيل فلا يمكن الهروب من الواقع المعيش رغم مرارته، فيصف هذا الواقع وكأنه لعنة حلت عليه ولم تتركه حتى مماته وهنا تتجلى السخرية الانتقادية بأسلوب تصويري نفسي حيث يعبر عن الألم والحزن اللذان يتكبدا نفسه من الواقع.

ويكمل السعيد بوطاجين رحلته، فيصور نفسه وكأنه يحلق في السماء ويرى ما يجري في الأرض فيحاكي تارة نفسه وتارة الطفل الصغير الذي أراد أن يشاركه رحلته الخيالية الساخرة فيقول:" إنهم يفنون وفي أعناقهم وحلوقهم تشع الأجراس، ورغم ذلك الإعياء الذي يردعهم تراهم يمزحون بلا سبب ويرقصون في عتمة القرون"[3]، نلاحظ طغيان أسلوب المحاكاة على هذه المقطوعة حيث يصور القاص ويحاكي هؤلاء البشر في شكلهم ورقصهم وحتى في اعيائهم، فهو يسخر منهم وينتقدهم من أجل إصلاحهم، فيصفهم وكأنهم حيوانات بلا عقل ترقص ولا

[1] السعيد بوطاجين، اللعنة عليكم جميعا، مصدر سابق، ص 13.

[2] مصدر نفسه.

[3] مصدر نفسه، ص 14.

تعي ما يجري والزمن يمر، هنا تتجلى السخرية الانتقادية، حيث ينتقد القاص هذا المجتمع ويحيل إلى الوظيفة الاجتماعية للسخرية حين يتحدث القاص عن " السلبيات والايجابيات في هذا المجتمع من عيوب ونقائص ومحاسن"[1]، فيشير إلى هذا في موضع آخر حين يقول بوطاجين:" بين مسام الجند والفم تقوم تهرم ملايين الرغبات الطافحة بالصمت والتنهيدات توفي منارس النفوس يترقرق الليل، ليل ثقيل أخرس... بالفضيان...كم هو أحمق وجاف تماما"[2]، ويعني بهذا أن مطامع السلطات والحكام تسقط رغبات الفقراء والمظلومين، فتتجسد في شكل تنهيدات وأهات كليل أخرس، كالهدوء الذي يسبق العاصفة، حيث يعبر القاص بأسلوب تصوير قصصي يعبر عن الذل والتهميش الذي يعانيه الشعب من طرف الحكام.

ويسخر القاص من المسؤولين حيث يبرز في ذلك من طريقة حديثة مع الطفل قائلا:" لن تذهب معي حيث تتوغلى التحربة في المساء ، ويصطك شرابينك عند محاذاة الزمن البائس"[3] أي أن لن أشركك في هذه الرحلة البائسة عبر الزمن، فنلحظ أن القاص يسخر من هذا الزمن ويتقدم ويخاف في المقابل على الطفل الصغير، معتمدا في ذلك على السخرية الانتقادية في نقد هذا الزمن وتلك التجارب التي قادها وبائت بالفشل،مبرزا ذلك بأسلوب المحاكاة حين يسرد ما كان يدور بينه وبين ذلك الطفل، ثم يسخر ويتهكم من الواقع المرير من الأرض التي يشبهها وكأنها لعنة حلت عليها فيقول سعيد بوطاجين"لأن أرضنا لا تشبه أرض الآخرين، أرضنا جاثية تحت نظرات ميدوزا*"[4]، يسخر السعيد بوطاجين من واقعة حيث يرى أن الأرض التي يعيش فيها زائلة لا يشبه لا تشبه أرض الآخرين، وكأن لعنة حلت عليها، فنجد أن هناك لعنة استعارية حيث يقوم باستعارة الأسطورة اليونانية ميدوزا فسبق هذه اللعنة على المجتمع الجزائري في فترة ما.

[1] ينظر: ناصر بوحجام، السخرية في الأدب الجزائري الحديث ما بين 1925-1962، مرجع سابق، ص 14.

[2] سعيد بوطاجين، اللعنة عليكم جميعا، ص 14.

[3] مصدر نفسه.

* ميدوزا أومبدرسا: أسطورة يونانية، ربة الحكمة والثعابين، كانت تحول كل من ينظر إليه إلى حجر

[4] السعيد وطاجين، اللعنة عليكم جميعا، ص14.

وكأن ميدوزا ألقت بظلالها ونظراتها على هذا الشعب، فالقاص من جهة أخرى يحتقر هذه الأرض حيث يعتمد على أسلوب المحاكاة في رصف أفعال وأقوال ميدوزا إلهة الحكمة والثعابين و يصور رفع تلك الكلمات على مسامع الطفل الصغير، ثم ينصرف ليكمل رحلته قائلا:" سكت كلمات في أدنه وتركته لأكمل رحلتي الوعرة، دغدغني هذه الحياة النائية، ففرحت إذ سمعت حزني بكر يتجعد"[1]، فهو في هذه المقطوعة يجمع بين التصوير النفسي والتصوير القصصي في قالب ساخر ومتهكم، فتارة من نفسه وتارة أخرى منها ذلك الصغير معتمدا في ذلك على الوظيفة الاجتماعية للسخرية، فسرد ذلك الحوار المتناقض بين شخصيات القصة إذ نجد أن السخرية غالبة عن تعامل هذه الشخصيات مع بعضها البعض.

كما نجد أنّ الوظيفة الاجتماعية للسخرية تتجلى في أكثر من موضع في القصة على اختلاف أنواعها وأساليبها فنجدها في قول بوطاجين:" الذاكرة عندما تتفتح في ربوع فلك الرأس الفانط نستطيع استيعاب ما ورائيات البصر لتنفد إلى هيولي الجوهر، إلى ذلك الجزء الخابي وراء طبقات الظاهرة: التعرية، ها هم عراه كالموتى الجدد"[2].

حيث يسخر القاص من هؤلاء الحكام وهو يسمع لأنين ذاكرته، ويرى أن الباطن غير ذلك يوحي به الظاهر ثم يصفه بالعرات ويشبههم بالموتى، فيصور حالتهم ويستهزئ بهم، ويستهين في طابع تصوير قصصي تارة ويحاكيهم في أشكالهم تارة أخرى معتمدا في ذلك على السخرية العقلية والانتقادية، ثم يكمل مسيرته وهو يسخر منهم قائلا:" عبثا يحاولون إخفاء الباطن بجلود شفافة هرمة والسنة فضفاضة متدلية كالجوارب، وها هم ينصبون فخاخا لكل اللحظات العاقة ويحلبون اليابسة"[3].

[1] السعيد بوطاجين، اللعنة عليكم جميعا،ص 14.

[2] مصدر نفسه.

[3] مصدر نفسه.

يعني هذا أن هؤلاء أصحاب النفوذ يحاولون عنوة إخفاء الباطن حيث يحاكي القاص حالتهم بالهرم والعجز، ويصف ألسنتهم بالجوارب حين يعيدون ولايوفون بميثاق.معتمدا في ذلك على السخرية الانتقادية في ضحط منطق هؤلاء الحكام عن طريق أسلوب القاص الذي يحاكي به أفعال وأقوال هؤلاء البشر القاسيين.

وفي موضع آخر يتسائل فيه عن سبب اعوجاج دربه حين يقول:" سألت الدرب معوّج وطويل وعلى أن أسرع، أقطع حبل السرة....وزمني البائس كالذئب ....أغرس غشاوة تقتل في الحين إلى العودة لا بدّ أن تبرعم في الغربة"[1]، فهنا القاص ينقد نفسه نقدا الادعاء مفاده، أنه يجب العيش وفق هذه الوتيرة المحتمة عليه عيشها، ويعتمد في ذلك على السخرية الانتقادية في نقد هذا الزمن فهو يشبه الذئب، فينكر رغبة في العودة إلى الوراء إلى الزمن البائس المليئ بالجشع والطمع فأحب أن يعيش مع غربته ولا يرجع إلى الماضي في قالب قصصي يجري مجرى الأحداث وتسلسلها.

ثم يكمل ويمضى بفكرته فيقول بوطاجين :" أن أصبح الغربة ذاتها إنها حتى أقتنع بأني لست من درية هؤلاء العراة المتسترين"[2]، ويعني وهو يستهزئ من نفسه ويسقط صفة الغرة على نفسه، على أن يعيش مع هؤلاء الحكام، حيث يعتمد في ذلك على السخرية الإنتقادية حين ينتقدهم وينتقد واقعة المرير ويثبت ذلك في تعريضه لنفسه وسخريته من هؤلاء ويصفهم بالعراة المتخفين، وينعتهم بهذا اللقب، ومنها يتجسد أسلوب التنابز بالألقاب وذلك للرّد عليهم وعلى سلطتهم المستبدة.

ثم يمضي قدما في رحلته وهو يسرد ما تراه عيناه، فيلقي بناظريه إلى المدينة التي يعمها الصخب والضوضاء فيقول:" أدركتني أهازيج كثيرة .... بدت لي المدينة قفصا مذهبا يرشح بالأطلال وبيوت الشعر والصبايا محجبات حتى البنكرياس"[3]، حيث يسخر القاص من المدينة التي صادفها فيشبهها بالعصر العباسي مع الحفاظ على

[1] السعيد بوطاجين، اللعنة عليكم جميعا، ص 15.

[2] مصدر نفسه.

[3] مصدر نفسه.

البصمة الجاهلية وفي الأطلال والخيام التي يسقط عليها صفة بيوت الشعر، ثم يستحضر عضو من أعضاء الجسم في قالب ساخر فكاهي متهم تبرز في ذلك الوظيفة الاجتماعية للسخرية فهو يسخر من الواقع لكن مع نظرة ايجابية.

حيث يعتمد في ذلك على السخرية العقلية ذات طابع عضوي، فالقاص في هذه المقطوعة يسرد ما يراه بطريقة عفوية مطلقة، وبأسلوب المحاكاة فهو يحاكي ما يراه في المدينة وسقط عليه صفة من الصفات وذلك من أجل تقوية المعنى والمبنى.

وهو كذلك يصول ويجول في المدينة حيث يقول:"كنت قد شارفت ساحة أخرى بها تمثال هادئ تمل أغروقت عيناه بأنبياء مقهورين .... رد بإعياء ....أنا ذاهب يا جدى التمثال الأحدب من الوقوف والانتظار خارج عن التاريخ"[1]، نلاحظ من خلال هذه المقطوعة تلك النبرة الساخرة بين شخصيات القصة هي ربما نبرة توحي بالاكتفاء من هذا الواقع وما آل إليه وتتجسد في ذلك السخرية الانتقادية انتقاد القاص والرجل الأحدب للواقع المعيش بأسلوب تصوير قصصي في سرد أحداث الحوار الذي دار بين القاص والرجل في قالب ساخر الغرض منه محاولة الإصلاح والتهذيب والتقويم.

إن الحوار الذي يدور بين شخصيات القص، يوحي ظاهره بالسخرية لكن باطنه يحمل حكمة ومغزى، حيث يقول القاص" عندما أضفت: تأمل وجه البحر كيف غزته الطحالب وصار أعور إنهم يجدفون به نحو متاعهم"[2]، حيث يشير ويحيل بالكلام إلى البحر في قالب فكاهي لكن جوهر المقولة يوحي بأنه يتحدث عن الحكام، وكيف أن الأموال وأطماعهم غلبت على أنفسهم فصاروا عميان لا يبصرون الحق من الباطل، وينظرون للناس وفق مصلحتهم الشخصية، فيبرز القاص دور السخرية العقلية في الكشف عن خبايا المجتمع بأسلوب تصوير قصصي.

[1] السعيد بوطاجين، اللعنة عليكم جميعا، ص15.

[2] مصدر نفسه.

ثم يضيف بوطاجين وهو يحاول الكلام مع ذلك التمثال فيقول على لسانه:" هل سألتني عن أحلامي؟ أريد أن أشتري عصا، ثم أجمع كل أحلامي القديمة وأسوقها أمامي كخرافة هزيلة وعندما أصل إلى المحطة أعطيها جواز سفري لأحررها مني، لأن اللذين أمنوا وارتدوا عبسوا وتولوا"[1].

ويعني هذا أنه يريد أن يغير حياته إلى الأفضل فيحيل إليه أن لو اشترى العصا السحرية ستعينه في تحقيق أحلامه وطموحاته، ثم يكمل وهو يسرد الإيماءات التي يراها على وجه المارة فيقول القاص:" رحت أضحك بالعربية مرة وبالروسية مرة وبالسنكريتية."[2]، فهو يسخر من نفسه بلغات استعارية من مختلف لغات العالم فيقول:" لا بدّ أني مختل العقل منفصم الشخصية...علاقتي السيئة معي تجعلني أبصر بيقين مطلق درات العمر"[3].

فيصف القاص نفسه مريض ومجنون، فهو لا يريد أن يعيش في هذا العالم وفي المجتمع ويتجلى ذلك في اعتماده على السخرية العقلية في رصد السلبيات والايجابيات التي يصادفها في حياته معتمدا في ذلك على أسلوب المحاكاة في التعبير عن مكوناته من أفعال وأقوال من خلال هذه المقطوعة تتجلى الوظيفة النفسية للسخرية في وصف معالم الألم والأسى والحزن التي تتكبد روحه.

في هذا الصدد يقول السعيد بوطاجين:" الأمر الذي يقززني هو الكبر لأني أرسلت إلى الخطأ مع بعثه الخاسرين"[4]، وهنا يبين القاص استنفاره من الفئة التي توضع موضع إحباط طيلة الوقت، هنا يحاول بوطاجين بعث الأمل فى نفسه ونفسية المجتمع حيث يقول:" منعرجات ومنعرجات، ذهاب وإياب، وإنحدارات مدارات العطب ثم الطين... وعلي اختراق كل الأسوار، على العزيمة أن تلتحم...من الملح والجفاف والابتسامات الاحتياطية"[5].

[1] السعيد بوطاجين، اللعنة عليكم جميعا، ص 15.
[2] مصدر نفسه، ص 16.
[3] مصدر نفسه.
[4] مصدر نفسه.
[5] مصدر نفسه، ص 17.

فرغم الصعوبات التي يمر بها القاص إلا أنه لم يسلم ولو بصعوبة هنا تتجلى السخرية العملية في رصد السلبيات التي يواجهها من أجل الإصلاح والتنوير.

ثم يكمل مسيرته أو رحلة وهو في حالة متأزمة، وكأنه يريد أن يمضي قدما فقط في رحلته لا يريد اكتشاف أي شيء بل جل الحوادث التي حدثت معه كانت من وحي الخيال والصدقة ثم يحاول أن يعبر عن مدى كرهه للكذب والنفاق والخيانة فيقول:" ليست متحاملا على أحد أني أكرهك بالتساوي"[1]، وهنا يرمي القاص إلى التدليل والهوان على الآخرين وذلك من أجل إيقاض العقول وتنويرها فيقول في موضع آخر:" بقدر ما أعرف البشير يزداد حبي لكلبي"[2]، ويعني بهذا انه لا يثق في أحد بل يضع جل ثقته في كلبة لا غير لأن الكلب بطبيعة الحال يرمز للوفاء في المقابل لم يجد القاص هذا الوفاء في بني البشر، وهنا اعتمد القاص على السخرية الانتقادية في نقد الآخرين نقدًا لادعا من أجل اشعارهم بالخزي والعار بأسلوب تصوير نفسي في وصف المكنونات النفسية.

ثم تشارف رحلة بوطاجين على الانتهاء فيقول:" لأذهب إلى المطار إذن وأخذ أمة من الأشجار والعصافير.... لولا فقري للأسنان والأضراس من فرط ما قضمت فكي، لكنت لما اختلفت عن سلطان أو قديس صغير بلا معبد"[3]، فيحاول أن يأخذ معه تلك المعلومات الضعيفة التي تحسسه بأنه عونا لها وهي عونا له، ثم يغير حديثه بالسخرية من نفسه فيصف نفسه بالثرثار لم يختلف عن القديسين والسلاطين فتتجلى هنا الوظيفة النفسية في ذكر سلبيات وإيجابيات في وصف معا لم رحلته معتمدا على السخرية العقلية فهو يصف رحلته بكل عفوية بأسلوب المحاكاة في التعبير عن أقواله وأفعاله.

ثم يصف القاص لحظة وصوله إلى المطار فوصف كل ما أخذه معه من عصافير وأشجار أحاسيسه ومكبوتاته التائهة بين الغرابة والفرح بين الحزن والألم والأمل والثقة حيث يصف كل ما وجد في رحلته بالقبور، يريد

[1] السعيد بوطاجين، اللعنة عليكم جميعا، ص 17.

[2] مصدر نفسه.

[3] مصدر نفسه.

أن يزيح تلك اللعنة التي تطارده مدى حياته حيث يقول:" الساعة الثانية بعد الثانية معي كل الممتلكات التي جئت بها من قرية مسقط فمي"[1]، ويؤكد ذلك بقوله " المطار طائر أيضا، والتربة معه: باريس لندن، نيويورك، بودابست، امستردام، جنيف، ....وأنت أيها المسكين"[2].

ويعني بهذا تلك البلدان التي صادفها عن طريقه وهو يسخر من نفسه وينعتها بالمسكينة فيقول:" إلى المستقبل، رددت أنا والشجر والعصافير....في الجنوب الشرقي من الغد الأفضل"[3].

ويقصد أنه يريد أن يعرف ما يوجد في الغد ماذا يخفيه الغد له، فتبرز منا السخرية العقلية في سرد مجريات الأحداث بكل عفوية وتلقائية، معتمدا على أسلوب المحاكاة في التعبير عن نفسه أقواله وأفعاله، وهو يسخر من نفسه ومن الناس.

وأخيرا تنتهى رحلته البوطاجينية حيث يصف لنا كيف استقبله المسؤولون في المطار حيث يقول:" ثم جاؤوا يتهامزون ويتغامزون وربطونا إلى بعضنا وأرسلونا إلى مشفى المصابين بالشيزوفيرينيا*"[4]، حيث يصور طريقة تعالمهم معه بأسلوب الهمز واللمز، وكيف يسخروا منه ولم يقدروا مكانته باعتباره إنسان مثقف بل اعتبره مجنون مصاب بداء انفصام الشخصية فأرسلوه إلى مستشفى المجانين ثم يكمل حديثه:" على جباهنا نقشوا هذه الوصية، خطر إنهم بقايا الزمن الحي أطمعوهم أقراصا منومة ...يتأقلمون مع المواطنين العاديين"[5].

وهذا كله يثبت بجلاء سخرية واحتقار الحكام وأصحاب النفوذ والسلطة للفقراء والمثقفين والبؤساء ووصفهم لهم ببقايا الزمن أي أنهم ليسوا من الطبقة الحاكمة بل هم أناس عاديين.

[1] السعيد بوطاجين، اللعنة عليكم جميعا، ص 18.

[2] مصدر نفسه، ص 19.

[3] مصدر نفسه.

* مرض انفصام الشخصية.

[4] مرجع نفسه.

[5] مرجع نفسه.

ثم يقول القاص في خاتمة القصة:" بهذه الطريقة السهلة عرفت كيف يعود المارد إلى القمقم وكيف يلتحق يوري غاغارين بصف عباس بن فرناس، لكن غاضني أن أرى الشجر والعصافير معي"[1]، ويعني بهذا أن هذه الرحلة تصف المكانة التي يصنف بها هؤلاء الحكام الناس العاديين، أم مآلهم الموت والفناء كما حدث مع رائد الفضاء الروسي يوري غاغارين وعباس بن فرناس بن ورداس التاكرني في محاولته للطيران التي باءت بالفشل.

وهنا يبين كفاح المواطنين العاديين في سبيل العيش بسلام وأمان واحترام وتقدير اللتان يجب أن تتخذا في حقهم، معتمدا في ذلك على السخرية الانتقادية في ضحك منطق الخصم في قالب ساخر بأسلوب يحاكي فيه أقوالهم وأفعالهم.

أما بصمة القاص فتظل خالدة في جل قصصه فيختم القصة بقوله:" جمهورية السعيد بوطاجين حفظه الله، بتاريخ تثبت بدا أبي لهب"[2].

هنا نلحظ غلبة الوظيفة النفسية على هذه القصة إذ يعبر القاص عن المعاناة والمآسي والحزن والألم الذي يتعرض له كل يوم وفي كل مكان، وهنا تتجلى هذه الوظيفة من خلال محاولة القاص أن يبعث في نفسه ولو القليل من الثقة والأمل، عن طريق تعريض الخصم وانتقادمهم، فتارة ينقد المجتمع وتارة ينقد الخصم وطورا ينقد نفسه، بأسلوب المحاكاة والتصوير النفسي.

ومن خلال هذه القصة: فصل آخر من إنجيل متى" نجد أن السخرية لها هدف وغاية ترمي إليه وهي الإصلاح والتهذيب والتقويم والتنوير والإرشاد والتعبير نحو الأفضل.

[1] السعيد بوطاجين، اللعنة عليكم جميعا، ص 19.

[2] مصدر نفسه.

2/1 قصة من " فضائح عبد الجيب":

يتجلى من خلال عنوان القصة " من فضائح عبد الجيب" والتي يقصد بها الراوي تلك المكائد والكمائن التي يرصدها الشخصية "عبد الجيب" في حق الشعب، ربما تحيل هذه الشخصية إلى أحد الحكام الجائرين أكلي لحوم الفقراء بغير حق.

فمن خلال عتبة القصة نجد أن الراوي أو القاص يعتمد على مقاطع وأبيات شعرية باللغة العربية أو اللهجة العامية، حيث يتحسر بها على الزمن الذي أطاح به، فرغم ثقافته ومكانته المرموقة إلا أنه لم يلق ذلك الاحترام الواجب عليهم إعطائه إياها فالمثقف وعلاقته بالسلطة محفوفة بالمخاطر، وهو ينظم في علاقته توتر مزمن مع السلطة علاقة ضدية طرفها السلطة بما تقوم به من إجراءات قمعية وطرفها الثاني المثقف تهدف إلى إقصاء دوره بصورة مسرحية " فالمثقف فرد يتمتع بموهبة خاصة تمكنه من حمل رسالة ما أو تمثيل وجهة نظر ما أو موقف ما أو فلسفة والإفصاح عنها في المجتمع"[1]، في المقابل يجد أن الذي لم يدرس ولم يدخل المدرسة من الأساس يأخذ مكانة الحاكم والسلطان فتمثل" السلطة بنية المركز بينما يقع المجتمع بنفسه على هامشها"[2] حيث يقول القاص في هذا الصدد

" يا ذا الزمان يا الغدار

ياكاسرني من ذراعي

طيحت من كان سلطان

وركبت من كان راعي"[3].

[1] إدوارد سعيد: المثقف والسلطة، تر: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، ط 1، القاهرة، مصر، 2006، ص 43.

[2] مرجع نفسه، ص 44.

[3] السعيد بوطاجين، اللعنة عليكم جميعا، ص 21.

فعرب اليوم ينظرون إلى الإنسان من شكله ولون بشرته من الظاهر لا من الباطن فالظاهر لا يوحي بجوهر الأشياء إذ يقول بوطاجين:

شافوني أكحل مغلف يحبسوا ما في دخيرة

وأنا كالكتاب المؤلف فيه منافع كثيرة[1].

في المقطوعة الأولى نلحظ أن القاص يعاتب الزمان بما آل إليه حاله، يرى أنه لو كان الزمن منصف لنصفه في كونه مثقفا ومربيا للأجيال، حيث يسخر القاص من الزمن من نفسه ومن ذلك الذي أصبح يبين الفينة والأخرى حاكمًا معتمدا في ذلك على الوظيفة الفنية للسخرية إذ يرى أن هذه أحد السلبيات التي توجد في السخرية، وهي إعاقة الحكام ودوي النفوذ ودوي السلطة على تحطيم الغير والفقراء والمحرومين[2]، فيسعى القاص للترويح عن نفسه والتعبير عن الحزن والألم الذي يحس به باعثا في نفسه الأمل والثقة مبرزا ذلك، بالسخرية الانتقادية حيث ينقد القاص الزمن والحكام نقدا لادعا لا رحمة فيه ويستهجنه من أجل السخرية منه بأسلوب يحاكي حال ذلك الحاكم وكيف وصل إلى الحكم.

فقد كان في البادئ راعي ثم تحوّل إلى حاكم بفضل النفود والسلطة والتواطئ على القانون، والرشوة والفساد.

يستهل بوطاجين قصته بلعنة الحكام الدين ينعتهم بالشياطين، حيث يقول على لسان الراوي: في تلك الصبيحة كان متكئا على شجرة الدردار... مستعينا ببارئه من شر الشياطين الذين أتوا على البشر والشجر والحجر"[3]، حيث يسخر منهم ويشبههم بالوباء الذي ينزل على الأرض فيأكل الأخضر واليابس ثم يتساؤل بوطاجين تساؤل منهكم ساخر عما إذا كان الشياطين يفعلون ذلك ليلا فيجيب الجد:" الشياطين هم نحن هم

[1] السعيد بوطاجين، اللعنة عليكم جميعا، ص 21.

[2] ينظر: محمد ناصر بوحجام، السخرية في الأدب الجزائري الحديث 1925 إلى 1962، مرجع سابق، ص17.

[3] السعيد بوطاجين، اللعنة عليكم جميعا، ص 23.

نحن"[1] وفي هذه المقطوعة يسخر ويبين القاص حسرة جده وسخريته من نفسه مبرزا ذلك بالوظيفة النفسية للسخرية في وصف السلبيات التي يزخر بها المجتمع معتمدا في ذلك على السخرية العقلية التي تحمل في طياتها الهجاء البرئ فعند هجائهم يضحكون وينتقدون لكنهم لا يحقدون"[2]، فالجد يسخر من هؤلاء الحكام، ضاحكا لأنه يعود على سياستهم الإغرائية في الاستحواذ على السلطة.

فيسأل الراوي نفسه "كيف أسأل عمري الصغير الحافي؟ عمر البؤس العظيم"[3]، ويعني هذا أنه رغم عمره الصغير، إلا أنه رأى من الحياة ما يبعث على نفسه الحزن والألم من البشاعة التي يعيشها، فقد تجرع الألم والمأساة منذ نعومة ظاهره.

حيث اتخذ بوطاجين من اللغة الاستعارية وسيلة تساهم في تركيز نسبة الانفعال والتوتر لدى القارئ وهي تعابير تمس أحد المخلوقات وبالتحديد أحد الحيوانات " الحمار"، إذ نلحظ حضورا مميزا لهذا الحيوان في أعمال بوطاجين ونبرة واثقة وساخرة في الآن ذاته.

فيرفع الحمار إلى مستوى الجمال والصدق والأدب فيقول الراوي: كان جدي يقول لي، " إذا نهق الحمار فقد رأى منكرا وظللت أردد دخيلتي: صدق الحمار ولو كذب"[4]، إنها درجة شديدة من القوة تلك التي يصل إليها مؤشر السخرية والتهكم واحتقار الخصم، إنها مدعاة للتعجب والإعجاب إذ يصف القاص عبقرية ونهيق الحمار وغناءه الجميل والموزون، وتكمن عبقريته في أنه يميز أولئك المسؤولين الذين لا يهتمون بالجوهر بل يلاحقون المظاهر الهامشية كتفقدهم للانجازات الوهمية، فيأخذ الحمار في النهيق نهيقا وهميا فنيًا وفي هذه الوظيفة الاجتماعية للسخرية ذات البعد الواقعي، فكل ما يصمت عليه البشر من إساءة، يغني عليه الحمار عسى أن

[1] السعيد بوطاجين، اللعنة عليكم جميعا، ص 23.

[2] ينظر: شمسي واقف، الأدب الساخر أنواعه وتطوراته على مدى العصور الماضية، مرجع سابق، ص 106.

[3] السعيد بوطاجين، اللعنة عليكم جميعا، ص 23.

[4] مصدر نفسه.

يتفطن البشر فيقول القاص" ومع الوقت أحببت النهيق ورحت أقلد معزوفة هذا الحيوان الأنيق لكن لم أفلح"[1]، حيث يعبر القاص ويسخر من الواقع الذي يمثله البشر الجاثمون في غياهيب الصمت والكتمان فلا يستطيعون مجاراة الحمار في فضحه أفعال المسؤولين.

وفي موضع آخر يتحدث ساخرا ضاحكا مع جدته سائلا إياها " ما به ذلك الشيخ ساكت لا يرد التحية ....الأبيض محمدك هل نزل عليه الوحي"[2].

فنلاحظ من خلال هذه المقطوعة أن شخصيات القصة تتغير بتغير المواقف حيث يستعير القاص ما يحده ملائما على حد قول الجاحظ لكل مقام مقال، فمقام القصة هو الذي يجعل القاص يقوم بتغييرات طفيفة على شخصياتها في قالب ساخر متهكم وفكاهي مضحك وتارة يستعير من القرآن الكريم شاهدًا ليعزز فكرته.

حيث يسخر القاص من نفسه قائلا: "حتى حذاء خالي الذي ورثته بمشقة دبل كالبلد...كان شقة كافية لإيواء عشرات الأقدام"[3]، فالقاص يسخر من الوضع الذي آل إليه بلده فيشبه بالحذاء الأخرق البالي الذي أفسدته السنون، وفي المقابل يبعث الأمل والثقة في نفسه متهمكا بقوله أنه يصلح لإيواء عشرات الأقدام وهنا تتجلى روح القاص الصافية الباحثة عن الحب والأمل والحنان.

ويحدثنا الراوي عن جده وعن السيئين والكذابين الذين لا ينقطعون عن الكلام بعد موتهم حيث شبه أفواههم بأعشاش اللقالق إذ يقول:" تظل أفواههم مفتوحة كأعشاش اللقالق"[4]، حيث يسخر بوطاجين من بعض الشخصيات في شكلها وحجمها حيث تبرز السخرية بالمحاكاة فيسخر القاص من المسخور منه في ذلك من الصفات الخُلقية والخَلقية ويحاكي أفعال وأقوال هؤلاء السيئين.

[1] السعيد بوطاجين، اللعنة عليكم جميعا، ص 23.
[2] مصدر نفسه، 24.
[3] مصدر نفسه.
[4] مصدر نفسه.

ويشير القاص في مقطع آخر عن حالة المثقف من المجتمع العربي قائلا:" غباء يشبه مشية المهاتما غاندي يوم كان يجوب الشوارع عاريًا إلا من إيمانه الذي أطعم ملايين الأرواح المحرومة مثلي ومثل أهلي والناس القادمين من فجر النسيان أولئك الذين لهم وجوه مترية ومرحة"[1].

كما يسخر القاص من السلطة المتعفنة بأن قتل المثقفين هو قتل لأفكاره بالدرجة الأولى وتأثيره على الآخر بالدرجة الثانية، حيث يعبر عن رغبته في التواصل مع الآخر ويتجلى هذا في الوظيفة الاجتماعية فهو يعبر عن واقعه يطمح إلى إعادة بناء الحياة مع الحرس على المثل العليا.

ويشير القاص إلى أن جده كان يتكلم عن ديدان الخبيث بين الفنية والأخرى ويلمح بقوله:" سكت برهة ثم راح يقص أمورًا غريبة عن ديدان الخبيث، والخبيث في قاموس القرية معناه العميل: الخائن الدين والبلدة"[2]، حيث ملأ الحزن والألم والأسى روح الجد وهو يعبر عما آل إليه بسبب ديدان الخبث كان يتعذب كالعبيد القدامى ويحدّر حفيده وهو يتحسر " هذه النعمة ستصبح خرابا سيفعلها ديدان الخبث" كما يؤكد ذلك في موضع أخر كان " ديدان الخبيث وعائلته يحضرون للعرس، عرسهم ... رحل العراة وجاء إخوتنا لم يأت الحق معهم ...لقد وصل أحفاد ابليس"[3].

ويتهكم من شخصية ديدان الخبيث وهي شخصية نحبت وقتلت فكانت عملية متواطئة مع الغزاة تتلقى دعمها من فوق هو " ديدان الخبيث" إذ يقول القاص " ها قد أصبحت مهما نسيت خصالك الحميدة"[4]، هنا لا يقصد القاص بالخصال الحميدة بل الصفات الدميمة والسيئة، مبرزا ذلك بالتصوير النفسي الذي يبين ظاهر الكلام مدح للرجل الذي أصبح حاكما مهما، لكن باطنه يوحي بتلك الصفات القبيحة التي يتصف بها.

[1] السعيد بوطاجين، اللعنة عليكم جميعا، ص 24.
[2] مصدر نفسه، ص 29.
[3] مصدر نفسه، ص 30.
[4] مصدر نفسه، ص 31.

ويقول سائلا الجد:" ذهب العزاة وجاء الغزاة"[1]، كما يؤكد هذا في قول القاص:" هل تظن أن ديدان الخبيث تسمع كلامي الخونة لا يخجلون من باع وطنه للأعداء كيف يستحي من فقر البشر !"[2]، حيث يسخر الجد من هؤلاء الخونة النشالين، الذين باعوا وطنهم وأرضهم وعرضهم من أجل المال، ونسيوا أن الناس يعانون الأمرين من فقر وجوع فيصفهم بعديمي الدين والنخوة والأخلاق والأصل.

ويدافع الجد عن قريته الصغيرة البائسة وهو يقول على لسان الروائي:" الناس الحقيقيون يموتون واقفين ولا يخشون أحدًا إذ خفت أنا وخفت أنت من يرفع راية الحق؟"[3].

ويعني بهذا أنه يجب أن نفتخر لأن البلاد ما زال فيها أناس يحملونها في محتها في أعبائها محمل الجد، ويقفون وقفة رجل واحد من أجل الوطن.

ويقول بوطاجين:" لن يصيبنا إلا ما كتبه الله لنا"[4]، مقولة قالها الجد بحزن و أسف على بلدته ومشقة عمر طويل عاشوا حمقى كما أمرهم ديدان الخبيث.

وفي مدينة الهذيان والطمي والمواقف الهشة تتناسل الأطرحة ويتوج السفلة ملوكا وصهوة التمرحل يقطعون نبع الثقة حيث يقول سعيد بوطاجين:" شاهد عيان على الزمن الأثم، زمانهم، سأكتب ذلك التفاؤل"[5]، ثم يؤكد على قوله وذلك الفوق عليه اللعنة، أيها الفوق الكريه أني أعيقك، اللعنة عليكم جميعا"[6]، هنا تتجلى الوظيفة الاجتماعية للسخرية في التغني بالسلبيات والإيجابيات التي يتكبدها المجتمع في سبيل العيش بكرامة باحترام، معتمدا على السخرية الانتقادية في نقد منطق الخصم وانتقاده نقدا لادعا بأسلوب يحاكي طريقة ديدان الخبيث الدين ينكرون أصلهم و أهلهم وأحبتهم.

[1] السعيد بوطاجين، اللعنة عليكم جميعا، ص 30.
[2] مصدر نفسه، ص 32.
[3] مصدر نفسه، ص 33.
[4] مصدر نفسه، ص 34.
[5] مصدر نفسه، ص 35.
[6] مصدر نفسه.

أما القاص فقد ختم قصته كالعادة بالأمل والتفاؤل وبالتمسك بأصله وقريته الصغيرة وبلده قائلا: " تاكسنة التي في القلب والذاكرة يوم سنوات الدم والسرقة"[1]، ويقصد بها سنوات الفقر والخيانة "في ساعة تعبت جدا من الساعات" حيث يسخر بوطاجين ويحتقر ويستهزئ بالمسؤولين الذين يهتمون بمصالحهم على حساب الشعب.

3/1 قصة " حدّ الحدّ":

في قصة حدّ الحدّ يستهل القاص عتبة قصته بالحسرة والعتاب الأهل و الوطن والسكن والزمن بكلمات يملأها الحزن والألم والمعاناة حيث يقول المتنبي على لسان الراوي:"

" بما التعلل لا أهل ولا وطن

ولا نديم ولا كأس ولا سكن

أريد من زمني ذا أن يبلغني

ما ليس يبلغه من نفسه الزمن

لا تلق دهرك إلا غير مكترث

ما دام يصحب فيه روحك البدن

فما يديم سرور ما سررت به

ولا يرد عليك الفائت الحزن[2].

حيث يرصفها الشاعر المتنبي في شكل أبيات شعرية، ويستدل بها القاص ليعبر بها على مأساة وطنه وشعبه.

فيعرض في هذه القصة بشكل جلي أعمال السياسيين و المسؤلين الدنيئة التي استغلوا بها الناس ويسلبون أموالهم وثرواتهم كالدبابة في جسم الحيوانات إذ يقول القاص:" قيل إن بعضهم يفرغ الخزينة في جيبه

[1] السعيد بوطاجين، اللعنة عليكم جميعا،ص 36.

[2] مصدر نفسه، ص 37.

ويظن أنه يزكي على نفسه"[1]، حيث يسخر القاص منهم ويحتقرهم وأعمالهم السيئة في حق الشعب ثم يبرز بطل القصة وأحد شخصياتها التي كانت من جبروت السلطة " عبد الله" هو ذلك المثقف الذي يمتلك رؤية مشرقة عن الحياة والوجود يبعث على نفسه الأمل والثقة يصطدم بالقوة المهيمنة التي سلبته أحلامه وأماله حيث يقول على لسان الراوي:" لم يصدق محمد عبد الله ما حدث له في ذلك المساء الذي سقط من قرن غدا عين المعجزات، كان الملك أميّا، وذريته أمية والحاشية غاية في الغباء غير أن محمد لم يتصور أبدا ما وقع محتمل الوقوع"[2]، فالقاص يسخر من شخصية محمد عبد الله الذي كان يعيش أحلام اليقضة وفجأة اصطدم بالواقع الأليم الذي تحكمه قوة الفساد والاستبداد حيث يقول القاص:" لقد شحدته التجربة وكفى: العبقري عبقري والأبله أبله"[3]، حيث يسخر القاص محمد بن عبد الله ومن أحلامه فيسقط عليه مقولة الطيور على أشكالها تقع فيرد عليها محمد عبد الله:" لماذا نحن مبتدلون؟ لماذا العالم كله يضع النقاط على الحروف إلا نحن؟"[4]، حيث يتحسر ويتساءل ويطلب الجواب في الآن نفسه لماذا الظلم لماذا الاحتقار والمهانة أين مكانة المثقف وهو يتحدث مع نفسه في السجن والسجن في هذه القصة يعني الانتقال من عالم الحرية إلى عالم التقيد بالأفكار والجسد من الفضاء المفتوح إلى الفضاء المغلق كهذا يحضر السجن في اللعنة عليكم جميعا فيقول السجان على لسان الراوي" هات الصحنّ، فاجاءه السّجان ، اليوم لوبياء، أيّها الشاعر المسجون عندي"[5]، يرد عليه محمد عبد الله:"كلانا مسجون واللوبياء أفضل من التعذيب بالكهرباء"[6]، حيث يثبت محمد عبد الله أنه رغم المصاعب والظلم والمعاناة سيمضي قدما في الدفاع عن نفسه ووطنه وصراعه مع السلطة في قالب ساخر متهكم وهو يرد على السجان.

[1] السعيد بوطاجين، اللعنة عليكم جميعا، ص 39.
[2] مصدر نفسه، ص 39.
[3] مصدر نفسه.
[4] مصدر نفسه.
[5] مصدر نفسه، ص 40.
[6] مصدر نفسه.

في موضع آخر ينعت محمد عبد الله ذلك السجن كالمنفى ساخرا من وضعه الذي انقلب من مثقف إلى منفق مهمش في السجن أو المنفى المجازي حيث يقول:" هذا طينك يا لله إموت به العمر/ ويشتعل الكبريت جنونا/ هذا طينتك قد كثرت فيه البصمات/ وأفسق فيه الوعي سنينا/ هذا طينك .... تتقادفه الطرقات بليل المنفى والأمطار دلتني الأشعار عليك.../ فكيف أدّل عليك بجمرة أشعاري/ جعلتني الدمعات كمنديل العرس طريًا"[1]، حيث يتحسر محمد عبد الله على نفسه ويصفها بالمثقف المنفى قصرا في وطنه، إذ يجد صعوبة في التأقلم والإحساس بالألفة مع المحيط حيث يسخر من هؤلاء المتسلطين الذين قاموا بسجنه بتهمه مثقف أراد الدفاع على حقوقه، والسياسة عند بوطاجين هي شيطان ملعون ومطرود من رحمة الله فنجده يقول:" السياسة هي شيطان بربطة عنق وقصر عظيم"[2]، حيث يسخر القاص ويحتقر هؤلاء السياسيين فيصفهم بالشياطين في هيأة إنسان ومنه تتجلى الوظيفة النفسية للسخرية فالمعاناة التي يمر بها الشعب تجعل القاص يضعها موضع إضحاك تفكه من أجل الترويح على النفس وترتيبها.

معتمدا في ذلك أسلوب المحاكاة فهو يحاكي أفعال وأقوال وحتى سياسة هؤلاء الأنذال ديدان الخبيث.

وفي موضع آخر يسخر القاص من الخبثين باللهجة الجزائرية في قوله:" الوزراء الذين لا يعرفون كوعهم من بوعهم"[3]، حيث يتهكم القاص من الحكام ويصفهم بعديمي الجدوى وأنهم وصلوا إلى السلطة بفعل فاعل لا عن طريقة تعبهم وشقائهم، حيث يفتخر القاص من موضع آخر عن القصة فيقول" الطيبون هم سرّ لاستمرار الكون، الطيبون نور الدنيا"[4]، حيث يفخر القاص بوجود أناس طيبين أصليين لا تغريهم السلطة والحكم فيصفهم بأنهم نور الدنيا ومجدها ويؤكد ذلك في قوله أيضا:" أيّها الناس...أيها الشعب الطيب لولا.....أيها الشعب

[1] السعيد بوطاجين، اللعنة عليكم جميعا، ص 40.
[2] مصدر نفسه، ص41.
[3] مصدر نفسه.
[4] مصدر نفسه، ص 44.

الملائكي لولا.....ياإخوتي العظماء لولا..... الملك أمامكم"[1]، حيث يسخر من الحكام ويعتز بشعبه المقدام معتمدا في ذلك على الوظيفة الاجتماعية للسخرية وذلك في وصف معالم هذا الشعب الطيب العظيم مؤكدا ذلك في قوله" بل هناك من قال إن القصر شيد مصانع خفية لصناعة المجرمين وتصديرهم عند الحاجة"[2] حيث يسخر منهم القاص ويعتبرهم مجرد سلعة يأخذ وترجع وقت الحاجة إليها.

ثم يكمل قصته وهو يفضح ويفصح على سياسة الحكومة المضطهدة للشعب حيث يقول :" خد المفاتيح وصل معي ندمًا على الوطن يجيء من المنفى"[3]، حيث يعرض القاص بهؤلاء السياسيين الذين كانوا وراء تخريب البلاد والعباد.

وتدمير الوطن حيث يقول :« إلى الجحيم ذهبكم وملوككم وشتلتكم وصباحاتكم وتحياتكم ووعودكم المسببة للقرف وصلواتكم الفاخرة وانتم وعبقريتك المفلسة ولا أدري إن كان علي أن أضيف شيئا آخر».

حيث يعتمد القاص على السخرية الانتقادية في نقد الحكام نقدا لادعا ومخزيا من سياستهم المتعبة في حق الشعب في قالب ساخر تصويري قصصي يجري مجرى تسلسل الأحداث وتتابعها.

وفي خاتمة القصة يعلن القاص على مدى حبه واحترامه وتقديره لوطنه وهو يتحسر على ما آل إليه من خراب ودمار، ثم يختم قصته بقولة:"كتبت هذه القصة على بركة الله في مملكة عبد الجيب بتاريخ قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق"[4]، حيث نلحظ لعنة القاص غير المصرح بها إلى هؤلاء السياسيين المنافقين المتعسفين وأن غباء الملك في قرية بني عريان يتجاوز حدّ والحدّ أي نسبة الذكاء المفروضة.

[1] سعيد بوطاجين، اللعنة عليكم جميعا،ص 44.
[2] مصدر نفسه.
[3] مصدر نفسه، ص 51.
[4] مصدر نفسه، ص51.

4/1 قصة 37 فبراير:

في قصة "37 فبراير" يسلط الضوء على تعفن وتردي الوضع والإحساس المرير بلا جدوى الحياة، ومنه التصدع الذي أصاب المجتمع في العمق مما جعل الشرخ يكبر كل يوم والموت ينقض من كل صوب والمثقف مستهدف يقف حائرا بين المطرقة والسندان فلا هو قادر على إبداء رأي يسهم في حل الأزمة، لأن صوته وفكره ملعون، ولا هو مستعد للعيش في ظل هيمنة السلطة التي لا تهتم بالشعب.

ومن هذا ارتأنيا في عتبة القصة يقول القاص على لسان " الشيخ عبد الرحمن المجدوب" " تخلطت ولا باتت تصفي، ولعب خزها فوق ماها، رياس على غير مرتبة هما سباب خلاها"[1].

ويتجلى كل ذلك في تواني النظام السلطوي في خدمة إبن آدم الذي أراد أن يصحح ميلاده وإبن آدم ما هو إلا جزء من كل " الشعب"، حيث يقول عنه:" وهكذا عاش ابن آدم في غابة مع الشجر دون أن يعرف لون الكهرباء، لكن الناس أحبوه لعفويته، عفوية الإنسان الذي انقرض بفعل الهرولة وراء الراتب والرتب"[2] حيث يصور لنا الكاتب بصورة ساخرة مشكلة تواني الإدارة الجزائرية وتخادلها على خدمة الشعب، مثلما هو الحال عند " ابن آدم" حيث ينقل هذه القضية بقالب هزلي تنم عن سداجة مسؤول إداري إذ يقول له:"كيف ولدت يوم 37 فبراير، هبلت؟ مستحيل؟[3] حيث سخروا ويستهزئ به قائلا أيضا:" لعلك ولدت يوم 77 فبراير؟ أنت لماذا تريد أن تحذف يومين؟ الناس يصعدون وأنت تنزل، الزيادة أفضل من النقصان يا رجل"[4] حيث يستهزئ المسؤول الإداري من ابن آدم ويحتقره لأنه ينحدر من مملكة الله غالب.

[1] السعيد بوطاجين، اللعنة عليكم جميعا، ص 36.
[2] مصدر نفسه، ص 56.
[3] مصدر نفسه، ص 55.
[4] مصدر نفسه، 57.

تلك المملكة التي:« التي يعتقد أنها أردأ ما خلق منذ العمر والنواة الأولى»[1]، فيصف هذه المملكة بالسوداوية والهوان والتدليل والاحتقار، حيث يبين القاص سخرية " الباشا قاعد" " والباشا واقف" من ابن آدم وطرده من الإدارة، حيث وظف القاص كلمات باللهجة الجزائرية في قوله: أمش من قدامي دوار بني زبل الذي اشتهر بالنفاق المغشوش"[2]، حيث بين بوطاجين استهزاء السلطة من الشعب والسخرية منهم واحتقارهم فنلاحظ من خلال هذه المقاطع حضور اللهجة الجزائرية التي تعبر على الثقافة الجزائرية حيث كانت هذه الثقافة مشبعة بالثقافة الإسلامية والتراث الشعبي مبينا بذلك الهوية العربية الجزائرية، وما لا يحتمل النقاش أن الثقافة الجزائرية مليئة بالصور الساخرة فمعظم الجزائريين نجد لغتهم ساخرة عفوية من الظاهر، لكن في الباطن لا حقد فيها ولا هم يحزنون، ومن هنا تتجلى الوظيفة الاجتماعية للسخرية حيث يتعرض المجتمع الجزائري في فترة ما إلى التعليل والهوان وإلى الاحتقار من طرف السلطة.

بالإضافة إلى شخصيات هذه القصة توحي بأنها شخصيات خيالية في الوقت ذاته هي شخصيات ساخرة هزلية اعتمدها القاص للسخرية من المسؤولين والحكام، ومن ذلك نعته لبعض الشخصيات " الباشا واقف، الباشا قاعد، الباشا هراوة، الباشا قانون" ساخرا متهكما معتمدا على أسلوب التنابز بالألقاب للنيل منهم فأعطى لكل شخص لقب يليق به وبعلمه في الإدارة.

تتجلى السخرية في الوضع الذي يحكم فيه من هو أقل منه حيث يتجسد في الشخصية " المعلم" الذي لم يكن كرها لمملكة الله غالب التي يحكمها هؤلاء الحكام المسؤولين لأنّها مملكة أقامت مجدها على محاربة الدين والعقل، فالمعلم يعاني من وضع متعفن من التهميش وضع لا يقدر فيه العلم والتعليم، ويحكمه من هو أقل منه حيث يقول القاص على لسان الراوي:"كان المعلم يسارر نفسه عابثا بما يرى ويسمع: ألاف الإداريين والوزراء

[1] السعيد بوطاجين، اللعنة عليكم جميعا، ص 55.

[2] مصدر السابق، ص60.

لكتابة فقرة من الأخطاء"[1]، حيث أبدى المعلم سخريته من كل شيء من الواقع من اللامعقول الذي يعيشون فيه، من هؤلاء الذين « قتلوا عائلة "ابن آدم" ورموها في مقبرة منسية» حيث يفكر المعلم في هذا العالم القاسي والمرير، وفي هؤلاء الخبيثين حيث يسخرون ويحتقرون " ابن آدم" وميلاده الذي سجل في 37 فبراير فاستنجد المعلم بجابر بن حيان التوحيدي الذي كان فقيها من البلاغة العربية، يقول على لسان الراوي:« لو عاش ما تأقلم مع هؤلاء البشر عديمي الجدوى»[2]، ويعني هذا سخريته من هؤلاء الذين يحسبون أنفسهم يحسنون صنعا وهو لا يعرفون ما يفعلون عبثا.

وفي هذه الأثناء يستخرج الباشا قاعد الدفاتير المكدسة وأخذ يسترسل في كتبه " ابن آدم"، وهو يسخر منه بقوله «أن " ابن آدم" يريد تصفح أوراقه قبل الانتخابات»[3].

في موضع آخر يفسر المعلم سلوك " ابن آدم" العفوي ولا إرادي ساخرا في ذلك من الباشا قاعد ويهينه بعبارات أن "ابن أدم" يحب السلالات القدرة والحيوانات السفهاء والحمى والقمل واليهود والحلوف وذلك من أجل التعريض بهذا المسؤول والإطاحة به.

رد الباش قاعد بإعياء أن لا يمكن الإنقاص من تاريخ ميلاده معتمدا في ذلك على مقولتهم الشهيرة"الله غالب".

فكر المعلم مليا وبين له أنه يجب أن يوضح تلك الأوراق التي طلبها المسؤول للانتخاب وعند توقيعها ثم حذف يومين من ميلاد ابن أدم، حيث يلحظ بجلاء تدني وتقهقر السلطة وغبائها حيث يقول القاص:« حيث ظل المعلم يتأمل هذه الكائنات العجيبة محاولا عبثا أن يصنفها في فصيلة الحيوانات»[4]حيث يسلط المعلم جل غضبه على هذه السلطة التي أمسكت الشعب من اليد التي تؤلمها عبثا، من أجل قتلها بالموت البطئ حيث يظل

[1] السعيد بوطاجين، اللعنة عليكم جميعا، ص 57.
[2] مصدر نفسه.
[3] مصدر نفسه، ص 61.
[4] مصدر نفسه، ص 62.

المعلم يسرد ما كانت عليه هذه الأرض وما آلت إليه بحزن وأسى وألم في المقابل يصفهم "بذرية العار"[1] ويصفها بدائرة الفساد والمفسدين.

ثم يسرد القاص بفنية القصة مفادها أنه سيتم تغير ميلاد إبن أدم على حد قول الباش قانون: « في إطار التحضير للانتخابات القائمة يرجى منكم الاتصال بمصالحنا في أقرب وقت لتصحيح تاريخ ميلادهم»[2] إمضاء الباش حكومة.

حيث يبين هؤلاء الحكام والمسؤولين للعالم أن الدنيا مصالح لك مصلحة عندي يجب أن تدفع ثمنها فالفقير والبائس مثل الشهيد وهؤلاء ديدان الخبيث يطمعون في جلد الطبقة العادية.

من هنا تتجلى الوظيفة الاجتماعية في هذه القصة حيث رصد لنا القاص المعاناة التي يمّر بها المجتمع ويركز دائما على هذه الفئة الفقيرة في المجتمع تلك الفئة التي تعاني الظلم والقصر عسى أن ينهض بها، معتمدا في ذلك على أسلوب التصوير القصصي الذي يجري مجرى تسلسل الأحداث وما آل إليه وضع " ابن أدم" من أجل تصحيح أوراق الثبوتية في مملكة " الله غالب" التي تعتمد على شعار البقاء للأقوى والمصالح، بأسلوب المحاكاة حيث كان القاص يحاكي كل فئة على حدة " إبن أدم" " والمعلم" والخبيثين المتسلطين في أفعالهم وأقوالهم.

ويختم القاص سعيد بوطاجين قصته بالحسرة والألم والسخرية والتهكم قائلا " الكرة الأرضية التي ليست لنا، بتاريخ 36 مارس 125457الخ[3]، حي يبدي حزنه وأسفه على عدم إنتمائنا إلى وطننا تحت شعار ألام الاغتراب في الوطن.

[1] السعيد بوطاجين، اللعنة عليكم جميعا،ص 62.

[2] مصدر نفسه.

[3] مصدر نفسه ، ص 64.

5/1 علامة تعجب خالدة:

في هذه القصة تطرق السعيد بوطاجين إلى السخرية كباقي القصص الأخرى، ويحاول معالجة بعض الأوضاع المزرية التي كانت تسود في المجتمع من خلال أسلوبه الساخر والذي وجد فيه الطريقة المثلى للتعبير عن ما كان يحدث في واقعه، « فالسخرية أسلوب نقدي هازئ هادف في التعبير عن أفعال معينة كعدم الرضا بتناقضات الحياة وتصرفات الناس وكشف الحسرة والمرارة بطريقة غير مباشرة»[1]، فقد استهل قصته هاته " علامة تعجب خالدة" بقوله:« الوباء الوحيد الذي يستطيع القضاء على الإنسان هو الإنسان»، فهو هنا يشير إلى أن الإنسان الضعيف لا يستطيع الوقوف أمام أخيه القوي، كما أنه شرع في سرد أحداث القصة بحوار بين الضابط والجندي حيث يقول: «عمرك؟ سأله الضابط».

ثلاثون جريمة وثلاثة غربان وأيام قليلة لا معنى لها، ردّ عليه[2]، فالقاص يعبر عن تدمره ممّا يعيشه الإنسان في المجتمع بأسلوب ساخر وذلك في قوله: ثلاثون جريمة....أيام قليلة لا معنى لها وهنا تتجلى الوظيفة النفسية للسخرية.

ثم ينتقل الكاتب إلى السخرية من الواقع المرير الذي يعانيه الشعب إبان السيطرة التي يفرضها أصحاب السلطة فيقول:« على الجميع فرفضت لعنة ملونة، وتأكد كل جندي بأنه لا بد معاقب باقتلاع الحشيش....، أو بالوقوف ساعة تحت أشعة شمس رمضانية ملتهبة ..... والاختناق وقلة النوم»[3]، فهو يصور لنا نفسية هذا الجندي المسكين المقهور دون سبب تصويرا حسيا قصصيا حيث أنه يعاقب معاقبة شنيعة كتنقية الحشيش والجلوس تحت أشعة الشمس رغم شعوره بالجوع وعدم القدرة على النوم، وهنا تتجلى الوظيفة الاجتماعية

[1] محمد ناصر بوحجام، السخرية في الأدب الجزائري الحديث 1925-1962، ص 32.

[2] السعيد بوطاجين، اللعنة عليكم جميعا، ص67.

[3] مصدر نفسه.

للسخرية فالقاص يصور ما يحصل في مجتمعه بأسلوب ساخر من خلال وصفه لما يحدث لأفراد هذا المجتمع من تعذيب واحتقار ومعاناة.

وفي موضع آخر يصف المدينة بقوله:« لا شيء يميد في مملكة حرارة هذا الصيف القائظ الثقيل، كل الفئران والطيور قصدت البحر لتستريح، ما عدا النخلة الوحيدة التي انتصبت في طرف ساحة الثكنة....، في الأطراف الأخرى امتدت كثبان الرمّل لصحراء لا متناهية، فحيثما وجهت بصرك أفزعك ذلك اللون البرتقالي الذي يشبه بساطا قاحلا....»[1].

فالكاتب يقصد من وراء هذا الوصف أنه رغم الظروف المناخية السائدة في فصل الصيف إلا أن أولئك الجنود المساكين لا أحد يهتم بهم، ويحس بهم، ويتبع ذلك بقوله:« في تلك الآونة أيقن أن وقفته المنضبطة ستتحول بعض لحظات إلى محاكمة»[2]، ويقصد "بوقفته المنضبطة ذلك الجندي البائس فهو يرى أن الجو حار لا أحد يستطيع السير تحت هذه الحرارة حتى الحيوانات لجأت إلى مكان يريحها بعيدا عن الشمس عدا هؤلاء الجنود الذين وجب عليهم تحمل هذه الحرارة إثر عملهم ولا يشتكونها وإن حدث وتفوه أحد بكلمة يجد نفسه أمام المحاكمة للعقاب، فالقاص هنا صوّر هذه الأحداث تصويرا قصصيا، وبهذا تكمن الوظيفة الاجتماعية للسخرية بالتعبير عن المعاناة الشاقة لأفراد المجتمع.

كما نجد في قوله على لسان الضابط: من هم الأعداء؟ فلفظة الأعداء هنا يقصد بها أولئك الحكام الجور الذين يستولون على كل شيء ولا يهتمون بالآخرين، فقط يحبون السيطرة وتهميش بعض الأشخاص الذين يقفون في طريقهم، وقد تجلت هنا السخرية استهزائية بأسلوب همز ولمز وبذلك ينعت هؤلاء الظالمين بالأعداء.

تناول السعيد بوطاجين قضايا مجتمعه وعالجها بقالب مرح مضحك من جهة وساخرا متهكما من جهة أخرى، حيث نجده في جانب آخر يتحدث عن الظروف التي يعاني منها المثقف والمبدع تحت لواء السلطة فجسد

[1] السعيد بوطاجين، اللعنة عليكم جميعا، ص 67.

[2] مصدر نفسه.

هذا التهميش الذي يعاني منه المثقفون في تركيزه على بعض الشخصيات التي تعاني الظلم والقهر والنفي فنجده يقولفي حديثه عن "فرانز كافكا" « ومن فم فرانز كافكا الحزين الساخر انحدرت كلمات وديعة.....أحس قلبه يتجعد، ودونما سبب راح يفكر في الحياة الهاربة من التلال، وكان يعاني غما طفا على وجهه الغامر الذي حرثه الكتمان.

- الأعداء يا حضرة هم بشر، عندي صديق اسمه الأعداء.
- هل صحيح أنه كاتب؟ قال متهمكا.
- حدث ذلك فيما مضى قبل أن يصبح المال والقوة ميثاقا ودستورا»[1].

فمن خلال هذا الحوار بين الضابط و"فرانز كافكا" نلاحظ أن السعيد بوطاجين لجأ إلى هذه الشخصية ليعبر عن سخطه وسخريته من الحكام الذين يعزلون المبدعون والمثقفون، ويخضعونهم إلى أنظمة قمعية تحارب ثقافتهم ووعيهم أو يصبح المثقف خادما للسلطة وما دون ذلك فهو مستحيل فيقول فرانز كافكا الأعداء يا حضرة هم بشر عندي صديق اسمه الأعداء " فربما يقصد هنا بصديقه هو أبوه لأنه متسلطا مما انعكس على جل كتاباته المحملة بالصراعات النفسية والكوابيس، وبهذا حاكا القاص الكاتب "فرانز كافكا" في معاناته والتي تجسدت في بعض روايته والتعبير عن عزلة الإنسان وتهميشه وتحجيمه في ق 20 بأسلوب قصصي تصويري يرمي إلى السخرية الاجتماعية.

ووصف القاص ما يواجهه الشعب في قوله:« جاء رهط من رجال مسلحين، حتى أحمص الأظافر.....دخلوا دار الحضانة، ثمانين طفلا أعدموا بعدما كمموا أفواههم ثم بتروا رؤوسهم الجميلة وعلقوهما على الأوتاد عرضة للحشرات»[2] حيث أن الكاتب عبر عن الآلام والتعذيب الذي يتعرض له أفراد المجتمع إثر الحروب التي تدور بين

[1] السعيد بوطاجين، اللعنة عليكم جميعا، ص 69.
[2] مصدر نفسه، ص 69.

الحكام والملوك، فقد تجلت هنا السخرية النفسية حيث كان يسخر من هؤلاء المتسلطين الذين لا يهتمون بما يجري داخل المجتمع إثر أعمالهم البشعة.

وصوّر السعيد بوطاجين قساوة الضابط المترتبة عن جور الحكام في قالب متهكم وساخر فيقول « صياحه المتذمر الذي يحدث وقعا شبيها بحوافر الخيول»[1] ويقول ساخرا من الواقع والظروف المعيشة « في هذا الزمان العصيب زمن الأنصاب والميسر والأفئدة المطحلبة يصبح الموت من أقدس المقدسات»[2]، حيث يسرد القاص ظروف تغير الزمن والنتائج المترتبة عن ذلك وهنا تتجلى الوظيفة النفسية للسخرية فنجد الكاتب يعبر عن هذه الظروف وهو في ألم وحسرة.

ويقول أيضا:" انبعثوا يا معذبي الكون واتركوا المقابر للموتى. لن تتنفس الخليقة...يا مسقط الرأس والدم والضغينة، كان لزاما عليّ إخفاء هذا الوجه إلى زمان آخر، وحتى لا يوبخني الآتي ...جئتك مغطى بالروح طالبا منك الرحيل»[3] حيث يعبر القاص عن الأعمال والعقوبات التي يمارسونها هؤلاء الأعداء على الشعب وأنه لن تكون حياة هنيئة إلا إذا رفعوا ظلمهم، فهو ينكر انتماءه إليه هذه البلدة المليئة بالقهر ولا يحتمل ما يراه من خنق وتضيق.

من خلال هذا المقطع الآتي نلمح أسلوب ساخر بادر من القاص حيث يقول:« الأعداء هم أبناء الكلبة الذين يتموا الوطن يختطفون الأراضي ....ويدلون الشعب ويستعبدونه يفت لون الملائكة أو يرسلونهم إلى المنافي فيموتون هناك....»[4]، حيث يسخر الكاتب من هؤلاء الظالمين ونعتهم بالأعداء أبناء الكلبة قاصدا من كلامه الساخر هذا الحط من قيمتهم والاستهزاء بهم بأسلوب غير مباشر لما يفعلونه من أعمال بشعة إزاء الشعب حيث سيطروا على معظم الأراضي ملكا لهم وجعلوا كل إنسان عبدا لهم ومن يخالف هذه الأوامر ينفى خارج وطنه

[1] السعيد بوطاجين، اللعنة عليكم جميعا،ص 69.
[2] مصدر نفسه.
[3] مصدر نفسه، ص 70.
[4] مصدر نفسه.

ويحرم منه، فالقاص تذمر من أفعالهم هاته وراح يسخر منهم ويخرج ما بداخله وهنا تتجلى الوظيفة النفسية والاجتماعية للسخرية.

ويتبع حديثه بقول آخر:« هبت ريح ساخنة ....ظلوا ثابتين كالتماثيل وكأنهم يمشون خلف جنازاتهم المسكينة، إماءة واحدة، إشارة خاطئة من الضابط ويتناثرون على الأسرة ينامون .... علهم يتخلصون من بدلاتهم العسكرية...غير أنه لم يفعل»[1].

حيث يبين لنا مدى صمود هؤلاء الجنود أمام الضابط (السلطة) الذي لم يحن عليهم رغم الظروف المناخية القاسية إلا أنه لم يكترث وغلطة واحدة منهم تكلفهم لعقوبة والدخول إلى السجن، فالقاص عبر عن هذه المعاناة ساخرا من الظلم الحاصل وسعي بهذا الترويح عن نفسه الضائقة.

وتحدث السعيد بوطاجين عن السيطرة المفروضة على هؤلاء الجنود وهو ساخرا من الضابط الذي يظن نفسه القائد الأعلى الذي يأمر كما يريد والكل تحت أمره فيقول " إذ كلما أنهي فكرة بشق النفس، راح يتهادى هازئا بالجميع، ظانا أنه محور الكون وواحد من الذين صنعتهم الأقدار خصيصا لرد الغازات الأرضسماوية و .....وتنحنح قائلا: من له سؤال عنهم؟"[2]، فقد استعمل أسلوب ساخرا مستهزئا لأجل ذلك الضابط.

يقول السعيد بوطاجين أيضا على لسان فرانزكافكا « أنا يا حضرة ...الدين يأكلون اللحم دائما، ويأخذون أراضي الفقراء دائما، ويعبرون القارات العشر دائما، ودائما في صف القضايا الرابحة الخونة المردة القتلة...كيف نسميهم؟ هل هم خلفاء؟»[3] فالقاص من يسخر من أصحاب السلطة والجاه الذين يسؤلون على كل شيء بنفوذهم فيسأل هل هم خلفاء؟ بمعنى من يكونون حتى يحتلون هذه المكانة فالكل سواسية، حيث عبّر الكاتب

[1] السعيد بوطاجين، اللعنة عليكم جميعا، ص 70.
[2] مصدر سابق، ص 70-71.
[3] مصدر نفسه، ص 71.

عن ردة فعله بكل استهزاء وتهكم وصوّر ذلك تصوير قصصيا موظف السخرية العقلية حيث يرمي إلى تنبيههم من غفلتهم والخطأ الذي هم فيه.

كما أن ردّة فعل الضابط يقوله:" حي العلم وانطبح" تدل على جوره وسيطرته.

وفي موضع آخر نجده يقول:« لكنك لن تستطيع إدخال كلمة واحدة في مخي يا حضرة الضابط إني أشم فيك رائحة الموت، سأظل أزحف على الركبتين كليلا غير مرتبك حتى أصل إليهم، الأعداء إنهم في شفتيك.....الابتسامة، الخداع، الكنيسة... الثكنة الجريمة»[1].

فمن خلال هذه القطعة نلمس أن القاص قد وظف السخرية العقلية حيث من خلال الكلام الذي قاله الجندي فرانز كافكا للضابط على الوقوف أمام هؤلاء الأعداء وعدم الخضوع لهم، فالموت يمس الجميع ولا يحق لهم فرضه على البؤساء فقط، وبهذا فالأسلوب الساخر يرمي إلى إيقاظ الناس من غفلتهم ويعيدهم إنسانيتهم وكرامتهم ويعطي لهم الحق في تنفس الحرية، دون التعرض للتهديد والتنكيد كما أن سخرية القاص تدل على تنبيه الظالمين والمجرمين بطريقة غير مباشرة.

كما أشار السعيد بوطاجين أيضا إلى الظروف الصعبة التي يعيشونها الناس في ظل جور الحكم أو خلال هذه الفترة فيقول:« إنهم موزعون في البيوت المعاقة عاطفيا، حيث الجدب وعكازات الفكر ....الشجرة كيف تكير صامتة فخورة بعرقها، إلاّ الإنسان أصبح يولد منهكا حذرا يذهب إلى الصلاة منهكا حذرا...قف يمينا در....وقف يسارا دار إلاّ الدوران دوري يا رحي والعنفوان أطحتي وكل مواسم البذار"[2].

ويتبع قوله ب:« فوانيس الليالي المطرة اختفى استعقبونك بالعصى والقوانين...واعلموا أن شكسبير أكد قبل أو بعد موته بقليل أن الشمس قد تغطى بالغربال والحق تبتلعه نظرة...وقد يلد البصل عجلا لا زورديا أو بنيا»[3].

[1] السعيد بوطاجين، اللعنة عليكم جميعا، 71.

[2] مصدر نفسه، ص 71-72.

[3] مصدر نفسه، ص 72.

فمن خلال القطعتين يصف القاص معاناة الشعب المظلوم حيث أصبح مهددا بالمخاطر منذ الولادة ومطارد ومعرض للعقوبة إن أراد الإنزياح عن المألوف، فحديثه عن مقولة شكسبير تدل على أن مهما كان الحق للمظلوم أي الناس فلن يراها من عند الظالم ولن يكون هناك عدل فالحق إلى جانب الظالم مهما كان وقد عبّر عن هذا الكاتب بأسلوب ساخر متهكم هزلي من خلال تصويره الاستعاري في قوله قد يلد البصل عجلا لا زورديا أو بنيا.

ويشير في موضع آخر « إلى الأمام إلى الوراء، شرقا، شمالا، وجنوبا، .... هذا الإسطبل البشري الشبيه بقصعة ملأى بالدمامل يظل قابعا تحت آنية الآخر الفعل في إجازة سرمدية والغراب يقهقه فوق الرابية ....كم يبدو هؤلاء البشر مزخرفين بثياب التقدم» [1].

فالقاص هنا ربما يسخر من القساوة التي يتعامل بها الناس وفي نفس الوقت يتذمر من السكوت أمام هؤلاء الأعواء والاستسلام لهم والرضوخ إلى أفعالهم الجائرة بأسلوب انتقادي حيث ينتقد الشعب وهو يخضع لهذه السيطرة بقوله يظل قابعا تحت آنية الآخر.

كما تطرق القاص إلى التهميش الذي يعيشه المثقف والمعلم وذلك بذكر شخصية عبد الوالو في قوله:« أما النخلة الوحيدة فقد كتمت عدة أسرار وما نطقت لقال عبد الوالو أنها لم تتكلم لأن النخل لا يتكلم إلا بالتمر، والله ورسوله أعلم» [2]، حيث أنه يسخر من الواقع الذي يعيشه المثقف منفي في وطنه لا يستطيع التعبير والإيداع خارج إطار السلطة.

ونجد القاص من خلال قصته يسخر من الضابط من خلال حديثه فرانز كافكا يقول:« في حمأة الدوار وحالة الفزع كان يشم رائحة كلام الضابط في البشرة البنية المتكسلة والشوارب الانكشارية العريضة والأسنان المذهبة اللامعة التي تشبه لآليء في ليل داجن قمئ مرصع بميداليات من مربي الدود» [3]، حيث صوّر الكاتب هذه

[1] السعيد بوطاجين، اللعنة عليكم جميعا، ص 72.
[2] مصدر نفسه ، ص 72.
[3] مصدر نفسه، ص 75.

السخرية تصوير كاريكاتوريا من خلال المبالغة في وضع الضابط على هيئة مضحكة وذلك بتضخيم وصف ملامحه مثل الشوارب الإنكشارية العريضة والأسنان المذهبة اللامعة فقد كان تصويرا هزليا مضحكا وساخرا.

كما سخر القاص أيضا من الحالات التي يرى الناس عليها حيث أنهم لم يعودوا ويهتمون بما هو خادم للبلاد ولا يفكرون بالنهوض بها بل أصبحوا تحت سيطرة السلطان وزوجته والاستسلام لهما فيقول على لسان فرانز كافكا: « في ليلة فائتة يا حضرة رأيت الشوارع مقلوبة رأسا على عقب ...قيل لي أن زوجة السلطان خارجة إلى المدينة لتتنزه قليلا، وكان الشعب على الأرصفة يهلل ويكبر منتظرا تلويحة صغيرة من يدها»[1]، أي أن الكاتب يبين هيمنة الحكام والملوك على الطبقة العادية واحتكارهم لها.

6/1 ظل الروح:

نلمس من خلال هذه القصة أيضا للقاص سعيد بوطاجين فن السخرية الذي يمس جل أحداث القصة، وما نلاحظه قبل بداية قصته هاته أنه استهلها بعتبة فيقول في سورة الأحزاب الآية 2 «إنّا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقنا منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا»، فمن خلال هذه الآية الكريمة نجد أن الله سبحانه وتعالى شرع أحكام وقوانين تسمح للإنسان العيش في نظام متوازي لا يميز بين الناس يملؤه الأمان، لكن الإنسان طغت عليه نار الفتن فكان ظلوما جهولا مقصرا في دينه وصلته بالله عز وجل.

تناول السعيد بوطاجين في متن القصة معظم الانتهاكات والظلمات التي مست الإنسان الضعيف خاصة والناس عامة من خلال الواقع المرير المعيش مستعملا في ذلك أسلوب السخرية في قالب هزلي يتهكم فيه تارة من الشعب المظلوم الجاهل الذي يرضى بالاستسلام وتارة أخرى يتذمر من الظواهر السلبية السائدة في المجتمع ومن الذين كانوا السبب في ذلك، ففي البداية نجده يقول: «جاءتني التحيات من كل صوب قدمت التهليلات ... وفي

[1] السعيد بوطاجين، اللعنة عليكم جميعا، ص76.

القلب همّ وغم .... بي شوق إليهم وإليهن بعد رحلة في أصقاع الوحشة ... كان عليّ أن أقبل الحصى والتربة وشجرنا ... كان عليّ أن أزغرد حزنا وطربا، أخيرا عدت إليّ والحرب الأهلية مشتعلة، عاد الشقي إلى تربته»[1] ففي هذه القطعة يصف القاص شوقه الكبير لبلاده حيث كان بعيدا عنها منفيا تسيطر عليه آلام الغربة والحنين إلى بلاده وعائلته وتربة وطنه، فعند عودته كان فرحا وفي نفس الوقت حزينا، فالحرب والفتن داخل مجتمعه لا تزال شاعلة وقد صوّر هذه الأحداث تصويرا قصصيا ساخرا من الوضع الذي يعيشه.

وأتبع ذلك بوصف الأماكن التي كان يجلس فيها والمألوفة لديه مثل شجرة الدردار والضفادع وشجرة الكرز فيقول: «قالت لي الوعول طال غيابك، عرفت الحجارة ... سلاما شجرة الدردار التي سقيت بدفيء وحناني، كيف حالك أيتها الضفادع التي موسقت لي كثيرا أيام المسغبة ... هل أزعجك طوافي في المدن الملعونة؟ مدن العار والرذيلة ... والوسخ والديانة»[2].

كما أنه في نفس الوقت يلعن في المدينة التي ليست بلاده والتي نفي إليها فينعتها بالعار والقراصنة وهو يسخر منها ومن سكانها بأسلوب تهكم وتذمر.

ثم يشرع في الحديث عن الحوار الذي دار بينه وبين شجرة الكرز بقوله:

أهلا كثيرا قالت شجرة الكرز، تلك المخلوقة الهادئة التي أرسلها الرب الطيب إلي ذات ربيع لتؤانسني في متاريس العدم، ... وقالت شجرة الكرز: لقد فعلت شيئا إذا»[3].

فمن خلال هذا الحوار نلاحظ أن القاص يريد أن يوضح أنه مثله مثل جميع المخلوقات الحية وهي هبة من الله تعالى، وهنا تتجلى السخرية العقلية.

[1] السعيد بوطاجين، اللعنة عليكم جميعا، مصدر سابق، ص 79.

[2] مصدر نفسه، ص 79.

[3] مصدر نفسه.

وفي موضع آخر يخاطبها فيقول: «احكي لي. اسردي، قصي علي أسرار الأحبة الذين بترت رؤوسهم هنا وهناك اليوم وغدا. من ذبح مسعود الرايس؟ من قتل السور والآيات، ... من رحّل أبي من دار نسجها بمشقة ... قولي للروح أي شيء يجللها بالصبر؟»[1] فهو يتذمر ويتألم من الحالة التي وجد عليها أهله وأحبته عند العودة ويضخم الأمر خاصة عند سؤاله عن موت مسعود بن الرايس المعروف بدينه وطيبته وحكمته فيقول من قتل السور والآيات فقد صوّر هذا المشهد تصويرا قصصيا يحمل آلاما نفسية ومعاناة وتحسر.

كما نجد القاص يذكر الاضطهاد والقهر من طرف العدو دون سبب حيث يقول: «كانوا يريدون تشريحي أو دفني حيّا ... هم كلّهم، دون استثناء .... كنت أشم طعم الغدر يحبوا إلي من كل حدب ومن كل حرب، كنت متهما بحب الخير»[2]، فالكاتب هنا يسخر من هؤلاء الأعداء الخونة الذين يمارسون كل أنواع الخداع والظلم والقهر دون سبب فهو عوقب بدون أن يفعل أي جريمة كما يذكر فيستهزئ بهم ويقول كنت متهما بحب الخير فهو يتهكم بأسلوب غير مباشر وبهذا تتجلى السخرية العقلية والنفسية وذلك بمحاولة توعيتهم وذكر عيوبهم الغير صائبة.

ويتبع ذلك بقوله: «رحلت أمي وفي صدرها كآبة العبيد، قالت لي يومها كيف يحدث هذا يا سعيد، ...لم أجب، كنا راحلين إلى آخرتهم، لم أقل لها هي مصالح القذرين يا أمي»[3]، فالقاص من خلال هذه القطعة الذي يجيب فيها عن استفهامات أمه يلمح إلى أن سبب هذه الحرب والفتن بين الناس داخل المجتمع هو تضارب المصالح والصراع حول السلطة، فقام بالتعبير عنها بأسلوب غير مباشر متذمرا من هؤلاء الذين طغت عليهم المنفعة وحب الذات وساخرا منهم حتى يرجعوا إلى عقولهم وإصلاح أنفسهم والنظر إلى ما قد ترتب إزاء هذه الأحداث.

[1] السعيد بوطاجين، اللعنة عليكم جميعا، ص 79- 80.
[2] مصدر نفسه، ص 80.
[3] مصدر نفسه.

كما صور معاناة وهول الحرب في أسلوب ساخر حيث قال: «كانت قامة أمي غير كافية لاحتواء حجم الصدمة فسقطت كهرم صغير هادئ. سقط الهرم سقط. لقد سقط»[1].

فمن خلال هذه القطعة نجد أنه قام بتصوير الصدمة تصوير كاريكاتوري حيث وضع صورة أمه في صورة هزلية عندما قال " سقط الهرم سقط " وهنا تتجلى السخرية.

ثم تطرق إلى أمر آخر وهو التهميش والظلم الذي يعيشه الكتاب والمبدعون في هذه الفترة فيقول: هل رأيتم أبناء الكلاب؟ قال الملثمون.

لم أتبين رقم شتلتهم. أية بذور فاسدة هذه! ...

نظرت من حولي فلم أجد سوى كلب واحد اسمه سعيد، كلب هزيل أعياه الترحال، كلب لا قيمة له إطلاقا ... أنا مجرد كاتب مجهري، لا شأن لي ... لا حزب لي، لكني عدو الجميع»[2].

فالكاتب هنا يسخر من الواقع المرير الذي يعانيه كونه مبدع ومثقف وكاتب حيث أنه لا يحظى بالمكانة المناسبة نتيجة السياسة المطبقة من طرف السلطة فهو مطارد غير حر. وهنا تتجلى السخرية الاجتماعية، فهو يعاني من واقع يسوده الاضطراب وقلة الأمن.

كما يقول في هذا السياق: « ارتعدت أمي. سيكتشفونك. قال. ارتعدت أمي. وكان علينا أن نهرب من الضيعة ... الجماعة خططت لمحوكم الليلة»[3] أي أن الأمن غير موجود فلو يمسك يعاقب.

يقول أيضا:

هل هذا اسمك الحقيقي؟ سألني أحد الملثمين

نعم أنا محمد منذ أكثر من ثلاثين سنة.

[1] السعيد بوطاجين، اللعنة عليكم جميعا، ص 80.

[2] مصدر نفسه، ص 81-82.

[3] مصدر نفسه.

ولماذا محمد؟

تشبه السيد سعيد

من هذا سعيد الذي رحمه الله؟[1]

فمن خلال هذا المشهد نجد أن القاص صوّر الحياة الصعبة والعصيبة التي كان يعيشها الشعب إبّان هذه الفتن داخل المجتمع في تلك الفترة حيث يغيب الأمن والأمان والحياة البسيطة الرغيدة دون خوف وهلع وكان هذا التصوير قصصي حسّي.

كما راح القاص يروي ما حدث له عندما تعرض للاغتيال من طرف هؤلاء الأعداء في هذه الفترة حيث يقول: «وضع فوهة المسدس فيما يشبه رأسي آمرا إياي بالنزول فورا. قلت في سري ما أروع الموت وقال الشاعر الذي بداخلي:

«أحن إلى خبز أمّي

وقهوة أمّي

ولمسة أمّي

وتكبر فيّ الطفولة[2]

حيث أنه ضمن شعر "محمود درويش" الشاعر الفلسطيني الذي يكتب عن قضية وطنه المحتل من طرف إسرائيل وما يعانونه من قهر ونفي، والذي يرمي من خلاله أنه لن يرضخ لهؤلاء المتمرّدين وأنه فخور بوطنه وكل ما يربطه به منذ الطفولة وسيموت فداء له.

ثم يصف في سياق آخر الأيام المريرة التي واجه فيها صعوبات كثيرة حيث يقول: «هل لك سلاح؟ سألني نعم: أجبت بملل. سلاحي صدقي وصفائي.

[1] السعيد بوطاجين، اللعنة عليكم جميعا،ص 82.

[2] مصدر نفسه، ص 83.

ماذا تفعل في الحياة؟ هل أنت شرطي أم إرهابي أم طاغوت؟ هل تتعامل مع الحكومة؟»[1]

حيث أنه يذكر ما يمّر به الإنسان في فترة التسعينات من التفتيش الذي تقوم به الحكومة فالكاتب وظف هنا السخرية النفسية التي عبّر بها عن الآلام والجروح التي كان يعاني منها.

وفي موضع آخر نجده يقول: أنا مريض وحزين ... أنا حيوان مجنون ... ناولته شهادة طبية مزورة ووصفة مزورة بإتقان كاد أن يطلق النار لولا بركات السماء ودعاء أمي التي لم أقل لها أفّ وما نهرتها ... لا فرق بين العاقل والمجنون في وطن فقد العقل»[2].

حيث أن القاص يوظف السخرية العقلية بأسلوب متهكم فهو يسخر منهم على فساد دينهم وعدم الالتزام بما جاء به الدين من حفاظ على حقوق الآخرين وعدم المساس بأمنهم، كما أنه من يذكر أن من إيمانه القوي وصلته بالله لم يستطع الملثم أن يقتله وذلك عندما قال لولا بركات السماء ودعاء أمي، فهو يدعوهم إلى الانتباه من خلال توعيتهم وتذكيرهم بما جاء به الشرع.

كما يصف القاص الحصار الذي يعانيه حيث يقول: «يا شجرة الكرز، بالكاد عشت ولم أعش كان الموت عالقا بي، يمشي معي ومعي يتغذى، كم مرة التقيت به خافض الجناحين. صديقي الموت غذا أنيسا ملحميا وكفى»[3] فمن خلال هذا القول نجد أنه عاش حياة محاصرة غير آمنة لدرجة أنه ذكر أن الموت يمشي معه ويتغذى معه فهو يلاحقه في أي مكان، فهو يتذمر ويسخر في نفس الوقت وهنا تتجلى الوظيفة النفسية للسخرية.

لكن سرعان ما نلمس الكاتب يخفف عن نفسه ويتجلى في قوله: «لا تحزني يا أمي لست أحسن من الآخرين، لست نبيا ولست ضوءا أو عسلا ... كيف يعصي الله في دنياه وأين أصنف ما أراه، في أي خانة متوحشة أقدف هؤلاء لأتبرأ أمنهم جميعا. في أي قمامة وفي أية دورة مياه أضع حاضرنا»[4] حيث أنه في البداية

[1] سعيد بوطاجين، اللعنة عليكم جميعا،ص 83.
[2] مصدر نفسه، ص 84.
[3] مصدر نفسه.
[4] مصدر نفسه، ص 85.

يصبر نفسه بقوله لا تحزني يا أمي لست أحسن من الآخرين، ولكن بعدها يعاتب هؤلاء المتمرّدين على خلق الله وعصيان أوامره فيحاول أن يجرّد نفسه من سلالتهم بقوله أقدف هؤلاء " لأتبرأ منهم جميعا " فهو يسخر منهم ومن حالهم التي أصبحت لا تقدر بثمن وبهذا يحاول أن ينبههم على أفعالهم ويرشدهم إلى الطريق الصائب في الدنيا والآخرة وهذا ما يحيل إلى السخرية العقلية.

كما نجده يقول: «قبل يوم وجدت خلائق معلقة في مدخل القرية. أجساد كثيرة وعيون جاحظة رأيت آدانا مبعثرة تحت الجسر، آذان من؟ ... تلك الصورة! يا لحدة الصورة المحفورة في العين، أية ذاكرة قادرة على محو منظر مماثل، وهل حان دوري؟»[1].

فمن خلال ذلك نجد أنه قد صوّر ما آل إليه مجتمعه إبّان هذه الحرب الأهلية من تعذيب وتشريح وموت بشع حيث يقول خلائق معلقة، عيون جاحظة، آدانا مبعثرة تحت الجسر، وقد صوّرها تصويرا قصصيا حسّيا بأسلوب متذمر ومتهكم وهذا ما يحيل إلى السخرية الاجتماعية، فالقاص يسرد العذاب والقهر الذي حصل لأفراد مجتمعه وهو في حالة يرثى لها حتى أنه لشدة تأثره أصبح يفكر ويقول أية ذاكرة قادرة على محو منظر مماثل، فقد كان منظرا تقشعر له الأبدان.

ويقول أيضا: «ماذا حدث، لماذا يتقاتل هؤلاء؟ ... استيقظ الرصاص ابتدأت لغة الحمقى لغة المرضى ... لغة الشر الخالد، في كل الجهات دويّ، دويّ المصالح والطمع. دويّ البطن يا أمي»[2] فالقاص هنا يسخر من أولئك الذين سيطر عليهم المال والسلطة حيث يقول دوي المصالح والطمع دويّ البطن يا أمي، أي أنهم لا يفكرون إلّا في أنفسهم وما هو سائر في مصلحتهم حتى ولو كانت على حساب الضعيف المسكين البائس الفقير الذي لا ذنب له، فراح يسخر منهم بأسلوب غير مباشر متجليا في السخرية الاستعارية ملمحا إلى أفعالهم الغير صائبة.

[1] السعيد بوطاجين، اللعنة عليكم جميعا، ص 85.

[2] مصدر نفسه، ص86.

كما نجد في قول آخر: «سمعت خوفها عليّ، على الكاتب الملعون الذي اهترأ ظله، اهترأ ظل الروح أيضا، ذلك الكاتب الذي أحبط بالصد أو شر ما خلق، ذلك الكائن البسيط الذي كان ينوي قضاء ما بقي من موته في كوخ صغير محاط بأزهار الوحدة»[1] فالكاتب يسخر من واقعه الذي يعيشه كونه كاتبا ومبدعا فهو يعاني من التهميش وعدم الاهتمام به، فمكانته ليست موجودة داخل المجتمع ولا يستطيع القدرة على التعبير فهو يفتقر إلى الحرية وقد وصل إلى الاستسلام والتعب بقوله "كاتب أحيط بالصدأ أو شر ما خلق "، وهو من خلال سخريته هذه يسعى إلى تنبيه المبدعين إلى ما يحصل وعليهم الصمود ولا يتركون إبداعهم يذهب سدى ويجب النهوض بالمستوى الثقافي من خدمة الوطن.

ويتبع قوله بحديثه عن ذكريات مع نفسه يسعى من خلالها إلى الترويج عن نفسه فيقول: «كم يحلو لي اللعب بالجمل والأخيلة والعلامات، يا للصديقات الوفيات الرائعات الثيبات الصابرات اللائي رافقنني في وحشتي، أنا مدين لكن ببعض عمري، كيف أنسى مصدر غبطتي»[2].

فالقاص يحاول نسيان ما يدور بداخله من عذاب وآلام وذلك بالتخفيف عن نفسه يقف على أحداث مضت في حياته لكنها جميلة ومحفورة في الذاكرة. ويقول أيضا: «كنت أنظر إلى الملثم وإلى الوالدة. صورتان متناقضتان لآدم، ثم لماذا يقتلني؟ هل أسأت إليه أو سرقته أو قتلته»[3].

فالقاص هنا يسخر من الملثم الذي يجهل نسله ودينه فقوله صورتان متناقضتان لآدم ربما يذكره بأن الله خلق الجميع في تساو ولا فرق بينهم، وربّما يدل على أن وحشية الملثم الذي ليس في قلبه رحمة.

[1] السعيد بوطاجين، اللعنة عليكم جميعا، ص 87-88.

[2] مصدر نفسه، ص89.

[3] مصدر نفسه.

7/1 قصة وللضفادع حكمة:

نلمح من خلال عنوان هذه القصة أن الكاتب جعل له صدى داخل متن الحكاية، كما أنه قبل بدء المتن، وظف قول لـ بابلو نيرودا حيث يقول:

إذا أردتم فلا تصدقوا شيئا مما قلته.

رغبت فقط أن أعلمكم بعض الأمور

فقط.

لأني أستاذ الحياة

وتلميذ كسول في الموت

وإن كان ما قلته لا ينفعكم؛

فأنا لم أقل شيئا، وإنما كل شيئ[1].

من خلال هذا نلاحظ أن القاص يريد إيصال فكرة للمجتمع أن الحقيقة تبقى حقيقة والإنسان رغم امتلاكه عقله الذي يميز به إلا أنه يغفل جوانب كثيرة في الحياة ولا يعرف كيف يستغل عقله في الطريق الصحيح.

بدأ السعيد بوطاجين قصته بنقيق الضفادع حيث يقول: «قررر... قررر... قررر حفل إفريقي ينير ليل قريتنا الوديعة، صمت رائع تجلله أصوات غريبة ثم الصبا والجدة الممتعة التي ولدت مع الناي وآي الكرز والريحان»[2] من خلال هذه القطعة نجد أن القاص يصف قريته وهي مليئة بصوت الضفادع وبالخصوص في الليل حيث السكون والهدوء فيقول " صوت رائع تجلله أصوات غريبة... والجدة الممتعة " وقد صور الكاتب هذه المواصفات في صورة جميلة يصف هذه الطبيعة مستعملا ذلك أسلوب تصوير قصصي.

[1] السعيد بوطاجين، اللعنة عليكم جميعا، ص 99.

[2] مصدر نفسه، ص 101.

كما يقول: «أبناء سليمان البوهالي يقرأون»[1] حيث أنه وظف شخصية سليمان عليه السلام في القصة وجعل من هؤلاء المخلوقات (الضفادع) أبناء له، ويقصد بذلك أن سليمان عليه السلام كان يكلم الحيوانات كلها وهي ساجدة له وتلك معجزة من عند الله، وهنا في هذه القصة يبدو أن القاص متشبع بالثقافة الدينية فقوله الضفادع يقرأون أي يسبحون لله تعالى مثل سيدنا سليمان عليه السلام.

وفي موضع آخر نجده يقول:«يحكى يا ولدي أن سليمان البوهالي كان عالما، واحدا من أولياء الله الصالحين ... المسكين لا أحد يذكره، مرّ كغيمة الصيف، ما كان حيا، وما كان ميتا، بين بين، إيه يا ويحك يا لغافل، كل واحد معه قبره»[2] حيث أن القاص يستحضر التراث الثقافي الشعبي في القصة وذلك بالحديث عن الخرافة الشعبية المجسدة في شخصية " سليمان البوهالي" ذلك الولي الصالح الذي وظف في القصة كأب للضفادع وهي شخصية تتعلق بالمخيال الشعبي، ثم يقوم القاص بتذكر أعمال هذا الولي الصالح فيقول على لسان الجدة المسكين، مرّ كغيمة الصيف، كل واحد معه قبره " فهو كان رجل حق أعماله صالحة ولكن يتأسف لأن الشعب لا يهتم بهذا التراث الشعبي الجميل فقد تجلى هذا في صورة قصصية بأسلوب متذمر وساخر في نفس الوقت غرضه التحسر.

ويقول أيضا: «وتنهدت. من عادتها بتر الحكاية لتجعل من الحبة حبات ، لفّ وتمتمات فجملة فصمت. تموجات توحي بتجربة حرثت صدرها التراثي، وطاقة من الصبر تعيق في عالمها النائي»[3] فالكاتب من خلال حكي الجدة فهو يصور ما آل إليه الشعب بخصوص تراثه الثقافي الشعبي حيث أصبح منسي بعيدا لا أحد يذكره أو يحييه ثم يقول تجربة حرثت صدرها التراثي " فجعل هذا التراث في صورة أرض " وهو جزء مهم في حياة الإنسان لكنها حرثت وتشتت هذا التراث، فهو يتذمر ويتهكم من حال المجتمع بأسلوب ساخر موظفا بذلك السخرية الاجتماعية والنفسية.

[1] السعيد بوطاجين، اللعنة عليكم جميعا،ص 99.

[2] مصدر نفسه، ص 102.

[3] مصدر نفسه.

وصف السعيد بوطاجين أيضا كيف أن الشعب لا يهتم بهذا التراث فيقول: «أبناء سليمان البوهالي يقرأون. ماذا يقرأون؟ أوركسترا خرافية وجوقة تعيد لازمة واحدة بنفس الإيقاع، تدريبات مملة شبيهة بعمر من التبن، ثم غموض يتربص ليالي القرية الساكنة،...، صمت كائن منسي منذ القدم وحكاية عجوز تؤانس الوقت بانتظار الغد ولا شيء»[1] حيث أنه يصف نقيق الضفادع بموسيقى وجوقة تشبه الأوركسترا وهي عبارة عن جوق سنفوني يضم مجموعة من عازفي الأدوات الموسيقية في المسارح الأوروبية وخصوصا الإغريقية ويكون عددها كبير يقارب في الغالب مائة عازف فقد حاكى القاص هذه الأوركسترا بصوت الضفادع (النقيق) الذي تقوم به في هذا السكون الليلي، فصورّها بأسلوب محاكاة حيث جعل الضفادع في هيئة العازفين موظفا بهذا السخرية النفسية فهو يتهكم من هؤلاء الشعب الذي لا يشعر بهذه الشعائر التي تقوم بها الضفادع ويجعلها شبيهة بصوت ممل، ويقول أيضا: « في الضيعة الصغيرة حفرت بئر عميقة آهلة بالأرواح، ... فجاء أبناء هذا السليمان البوهالي الذين لا ينامون ولا يعرفون الأخلاق أبدا، يظلون أمام كراسيهم يقرأون أوراقا غامضة، كأنهم في امتحان شاق مع المغضوب عليهم وقد ضلوا الصراط المستقيم»[2] حيث أن الكاتب يعبّر عن تلك الحكمة التي يمتلكونها هؤلاء الضفادع لكن الإنسان يجهلها فهو يسخر من هؤلاء الشعب الذي هو في غفلة رغم امتلاكهم العقل الذي فضله به الله تعالى على سائر المخلوقات لكن هذه الأخيرة (الضفادع) تسامت بغريزتها على الإنسان بعقله وأصبحت أحكم منه.

ثم يتبع قوله ب: «الضفادع يا ولدي، يرتلون ما خلفه أبوهم، الكنز الذي أهمله الناس وراحوا يجرون وراء المال ناسين الله والصواب»[3] فالقاص يرى في هذه المخلوقات أنها ساجدة وتسبح لله تعالى أحسن من الإنسان الذي يمتلك العقل ليميز به بين الحق والباطل والخير والشر وكذلك لغته مفهومة يسير وفق ما شرع الله له، يعبده على وجه كامل في حين الضفادع لا تملك عقل لكنها كانت أحسن منه تعبر عن سجودها بنقيقها الغير مفهوم،

[1] السعيد بوطاجين، اللعنة عليكم جميعا، ص 102.

[2] مصدر نفسه.

[3] مصدر نفسه، ص 102-103.

أما الإنسان فلم يكن يفعل سوى الجري وراء ملذات الدنيا من مال وأكل وسيطرة ناسيا ربّه الذي خلقه ووهب له كل شيء لكنه لم يحسن الاستغلال، والكاتب يسخر من هذا القوم الذي لا يملك حكمة يسعى فقط وراء الدنيا ويجهل الآخرة التي هي مصيره ومآله وقد استعمل أسلوب متهكم وانتقادي تتجلى في ذلك السخرية العقلية التي يسعى بها إلى التنبيه والنصح والإرشاد.

كما أن السعيد بوطاجين أراد أن يزرع في قلب الأمة الإحساس بما يجرى داخل المجتمع ومحاولة إيجاد الحل من خلال الوقوف أمام السلطة والمطالبة بالحق الضائع فيقول: «مرة خرج من الكهف وراح يردّد: يا ناس يا وجوه الطاعون والذل، تصنعون السل وتشتكون، وتقتلون أنبياءكم وتحزنون، ألا تستحون، على الرماد أقدامكم، وأنتم المرضى في أرواحكم، في عقولكم اليابسة كالحجر، ظلم يخلفه ظلم، افطنوا، فتشوا تاريخكم، تقتلني رائحتكم»[1] فمن خلال هذا القول نلاحظ أن القاص ساخط على هذا الأمة الخاضعة والمستسلمة لما يجرى داخل المجتمع من ظلم واحتقار الذي يسبب غياب الأمان وانتشار الفقر فهو يدعو أن يتفطنوا إلى هذا الواقع المرير ويحاولون إيجاد طريقة للخروج من هذا المأزق ولا يبقون نائمين مستسلمين بل يجب البحث عن حقهم، وقد عبر الكاتب عن هذا بأسلوب متهكم ساخر يستدعي السخرية العقلية التي هدفها التنبيه والإرشاد.

8/1 حكاية ذئب كان سويا:

لقد كان السعيد بوطاجين من خلال قصصه السابقة في هذه المجموعة القصصية يعالج قضايا اجتماعية وسياسية وثقافية في المجتمع، وكذلك هذه القصة التي ختم بها المجموعة التي تطرق فيها إلى بعض السلوكات التي سادت المجتمع في فترة من الزمن، وهي بعنوان " حكاية ذئب كان سويا "، وقد استهلها بعتبة يقول فيها:

قالت دبابة للذي أساء إليها

لماذا تشتمني يا فتى؟

[1] السعيد بوطاجين، اللعنة عليكم جميعا، ص 104.

قال لها: لأنك قذرة.

من أين عرفت هذا؟ سألته

تحطين على المزابل. أجابها

ردت وهي تقهقه منتشية: إنها من

فضلكم أنتم. إنها وجهكم الآخر يا فتى.[1]

فمن خلال هذا الكلام الذي بدأ به القصة نستنتج مغزى وهو أن مختلف الجرائم التي تحدث في المجتمع سببها السلطة والمسؤولين، فالدبابة مخلوق ضعيف وقد جسد الإنسان البسيط في هيئتها حيث أن ما آل إليه ناتج عن ما خلفه جور وقهر هؤلاء الحكام.

وعند الخوض في متن القصة نجده يسخر كعادته ويتهكم قاصدا من وراء هذا أهدافا وغايات.

يقول: «صباح الخير أعبد الله، ماذا اصطدت اليوم؟ غزالا؟ لا اليوم اصطدت زريعتك المرة. أجاب شابا فاهما»[2] فهو من خلال هذا الحوار يشير إلى وجود بشر أو أناس في المجتمع محيطين به لكنهم لا يطاقون من جرّاء أفعالهم السيئة فراح يتذمر منهم ويعبّر عن كرهه ومله منهم بنعتهم " الزريعة المرة " أي نسب لا يصلح للمعاشرة ولا يأتي منه إلّا الشر.

ثم ذهب القاص إلى وصف المعاناة التي وصل إليها الشعب في هذه الفترة فيقول: «أحب عبد الله، مخلفات الحرب هذا من لا يحترمه! هذا هو رأس المحنة في البداية اختفى أخوه ولا أحد يعرف كيف ذلك ولماذا، وبعد أسبوع وجد أباه مذبوحا. أمه ماتت من فرط القنوط، ورأس أبيه وجد معلقا على حبل غسيل»[3].

[1] السعيد بوطاجين، اللعنة عليكم جميعا،مصدر سابق ص 111.

[2] مصدر نفسه، ص 113.

[3] مصدر نفسه.

حيث أن القاص صوّر الظلم الذي يتعرض إليه أفراد المجتمع من غير سبب أو اقتراف ذنب فقد صوّر هذه المعاناة والصدمة بأسلوب سردي قصصي حسي وهنا تتجلى السخرية الاجتماعية. ويقول أيضا:

«أما حمار البلدة الذي لا تخفاه خافية فقد نكس أذنيه ولم يقل شيئا، أعلنها حدادا أبديا إلى أن توفي بسكتة قلبية لما استيقظت الحرب من جديد معلنة العصيان العام... الحق والباطل والشر والخير ... وأي نبات من فصيلة القلقسيات»[1].

من خلال هذه القطعة نلاحظ أن القاص يسخر من ذلك الشعب الجاهل الذي يرضى الظلم والسكوت عليه والاستسلام للظالم حيث يقول: " نكس أذنيه ولم يقل شيئا " فهو قبل الخضوع وعدم محاولة النهوض والبحث عن الحرية والقضاء على العبودية فالكاتب ينبهم إلى الاستيقاظ والفطنة بأسلوب غير مباشر يحيل على السخرية العقلية.

وفي موضع آخر نجد يقول في نقاش بين عبد الله والشيخ:

السلام عليك يا ابني. خيرا. قال له الحكيم. احك لي.

كما ترى يا جدي. هذا حبل، وهذا ذئب، وهذا أنا عبد الله بن أيوب رحمة الله عليه وعلينا جميعا[2].

فالكاتب جعل من الذئب صورة لأولئك المسيطرين، أصحاب السلطة فكانت صورة هزلية مضحكة وساخرة.

ثم يكمل حديثه فيقول: «يا سيدي وحبيبي ومعلمي: أين هذه الدابة، أنا أجر إبليس من رقبته، تأمله جيدّا علك تعرفه، سأريه من أكون، سأعلمه آداب الأكل، هذا المخلوق يا سيدي مبذر، والمبذرون إخوان الشياطين»[3]

[1] السعيد بوطاجين، اللعنة عليكم جميعا، مصدر سابق، ص 113-114.

[2] مصدر نفسه.

[3] مصدر نفسه.

فالقاص يصور لنا المكر والخداع الذي يقوم به بعض الأشخاص فنعته بالذئب ثم بعد ذلك " إبليس" حيث يؤكد أن هذه الأفعال لا يقوم بها إلا الشيطان الذي خرج عن طاعة الله تعالى فوضعه في صورة " شيطان " يزرع الفتن ويظلم ولا يعرف الرحمة فقد سخر الكاتب منه بأسلوب غير مباشر متضمنا السخرية العقلية حيث أنه أراد أن ينبهه إلى جرائمه الشيطانية ويهديه إلى الصراط المستقيم وذلك في قوله " سأعلمه آداب الأكل " فالغرض منه هو معاتبته وبعث فيه السلوك الحسن الذي يخلو من الجرائم. ويقول أيضا على لسان الشيخ « اتق مولاك يا رجل، من أين عرفت أن للشيطان ذيلا. وهل الشيطان يعوي؟ لعلك متعب أو مريض، لعلك غاضب، لعلك بحاجة إلى المال»[1] فالقاص من خلال هذا القول يحاول أن يبين أن الإنسان مهما فعل من أفعال سيئة فعند معاقبته لا بد بالنظر جيدا في القضية ولا نحكم مباشرة فربّما قد يكون مظلوما فنجده يقول لعلك متعب أو مريض، غاضب.

ونجده يقول: «لا هذا ولا ذاك، أجابه بهدوء، من يأكل تسعة وعشرين خروفا لا يكون سوى مسؤول كبير أو شيطان رجيم، لقد التهم مستقبلي، لم يكفني ما في حتى يزيدني همّا على هـمّ، هذا واحد منهم هم بدأوها وأوصوه بإتمام الباقي»[2] حيث أن عبد الله يخبر الشيخ بالدليل الذي يثبت الجريمة ويثبت هويته الحقيقة وقد صوّر القاص هذا في تصوير قصصي بأسلوب هازئ فعندما قال تسعة وعشرون خروفا فهو يقصد الناس الأبرياء فنعتهم بالخرفان الذين لا يسعون إلى شيء إلا العيش وهو ذئب يفترس هؤلاء الخرفان البسطاء، كما أن هذا الذئب لو لم يكن مسؤول كبير أي من أصحاب السلطة الذين طغت عليهم السيطرة والذين بقوتهم يأكلون الضعفاء من اجل مصالحهم، كما يقول أيضا " التهم مستقبل " أي طارده وحاصره ولم يترك له الحرية فهو مثقف لكنه مهمش يعاني من اضطهاد السلطة التي قضت على مستقبله، ولم تكتفي بهذا القدر كما يقول فقد زادته هما على هـمّ عندما اغتيل أبوه وأفراد عائلته دون سبب مقنع غير جور هؤلاء المسؤولين وسعيهم وراء المطامع.

[1] السعيد بوطاجين، اللعنة عليكم جميعا، ص 115.

[2] مصدر نفسه.

وفي موضع آخر يقول: «لم يُبصر الناس الملتفين حولهما، رأى صورة الأب، رأى ذكريات الأخ الذي اختفى فجأة، رأى جثة أمه مدرجة بالفقر، رأى الكوخ والنسيان والغموض والدم والبكاء والموكب الجنائزي والوقت العليل، خناجر في كل مكان، كدب هنا وهناك،... اجتماعات كثيرة وفقر كثير»[1] حيث أن عبد الله في هذه اللحظة والتي أمسك بها المجرم وراح يعاقبه لم يكترث لما حوله من الناس أو ما يقولونه له بل أخذ يتذكر صورة واحدة في رأسه وهي الجرائم التي كانت تحدث من قتل وتعذيب وظلم، فتفكر أبوه الذي مات دون سبب وأخوه الذي اختطف فجأة لا أحد يعلم مكانه، وأمه التي تعاني من عدة مشاكل مثل الفقر وما إلى ذلك، كما أنه ينتظر الجنود المنتشلة في كل مكان فنعتها بالخناجر، أيضا النفاق والكذب على الشعب كل هذه الجرائم لم يستطع نسيانها فصور القاص هذه النفسية المتعبة لـ عبد الله تصوير قصصيا حسيا بأسلوب انتقادي في نفس الوقت لهؤلاء المسؤولين.

ونجد القاص أيضا مصورا الحالة النفسية الكئيبة للشعب من خلال الشخصية " عبد الله " حيث يقول على لسانه: «جئت أستشيرك، هل يجوز أن أشويه حيّا، أم أمزقه قطعة فقطعة حتى تخرج روحه فأشربها»[2] حيث أن عبد الله متذمر منه جدا لكثرة أفعاله الشريرة والحقيرة فأخذ يفكر في عقوبة تشفي غليله، فنجد الكاتب صوّر هذه النفسية الممزقة الحزينة بأسلوب متهكم موظفا السخرية الاجتماعية والنفسية حيث أنه يعبر عن معاناة شعبه من هذا الظلم وفي نفس الوقت يصف الحالة النفسية التي وصل إليها أفراد هذا المجتمع.

ويقول أيضا: «كل شيء له قيمة... لا يحق لأحد إهانة أحد، أحبوا بعضكم وإياكم والفتنة، الصلح خير والعفو عند المقدرة، العفو طريق إلى الحكمة ومن ملك الحكمة عرف قدره، العنف دين الجاهل ولغته»[3] حيث أنه لا يمكن انتهاك حقوق الآخرين والإساءة إليهم بل يجب القضاء على كل شر وفتنة تنتشر بين الناس وتجنب كل

[1] السعيد بوطاجين، اللعنة عليكم جميعا، ص 116.

[2] مصدر نفسه.

[3] مصدر نفسه.

أشكال العنف والظلم ومواجهته بالتسامح والصلح وبهذا يبلغ الإنسان درجة الحكمة، وقد استعمل القاص هذا الأسلوب بغرض الإصلاح والإرشاد مضمنا في ذلك السخرية العقلية من خلال التنبيه والوعظ، كما أنه من خلال هذه السخرية أراد أن يبين ويرسخ ويذكر في نفس الوقت بتعاليم الدين الإسلامي العادل داخل المجتمع، فيتبع قوله بالآتي: «إذا صفعنا أحد أعدنا له مئة صفعة وأزيد... لولا الإمام لقضي عليه، قال لهم اتقوا ربكم الذي خلقكم ولا تكونوا مجرمين»[1] وبهذا فهو يشير إلى أن الناس كلهم إخوة عند الله والله يحب المصلحين المتحابين والمتسامحين فربما يكون البعض مظلوم وعليه يجب التحلي بالرحمة والشفقة وأخذ الأمر بعين الاعتبار دون التصنع بالجريمة التي تؤدي إلى غضب الله ومن ثم سوء الخاتمة، ومن خلال هاتين القطعتين نجد أن القاص متشبع بالثقافة الإسلامية ومتمسك بها.

ويقول أيضا: «الذئب؟ حيوان مثلنا أحيانا وأحسن منا أحيانا لنا لغته وله لغتنا، له دينه ولا دين لنا، فسدنا جملة وتفصيلا، تقول الكتب إن الحيوان إذا شبع لا يؤدي أحد، أمّا نحن فلا نشبع إلا بتراب القبر، فقدنا القناعة، فقدنا الخجل، فقدنا كرامتنا ومرتبتنا الإنسانية»[2] حيث نجد القاص صوّر هذا الإنسان والمنحدر من أصحاب السلطة في هيئة حيوان لكنه سرعان ما ينتقد نفسه فهو يرى أن الحيوان أحسن من هذا الإنسان في بعض الأحيان صحيح ليس له عقل ولكنه بريء لا يظلم خاصة إذا شبع الأكل فهمّه الوحيد هو الطعام مثل الإنسان لكنه يختلف عنه حيث أنه إذا شبع لا يؤدي ولا يطمع في شيء آخر بينما الإنسان غير قنوع بما يمتلك ويسعى إلى الأفق ولو على حساب الآخرين، كما يقول " لا نشبع إلا بتراب القبر، فقدنا القناعة " ومن ثم ذهب الحياء والكرامة والاحترام فيما بينهم وغابت الروح الإنسانية.

ونجده يقول أيضا: «من ضحك يلحق» قال له أنت خربتها، تشبههم لا حياء ولا قناعة لو اكتفيت بواحد أو اثنين لكان الأمر معقولا، ما رأيك؟ كبرت كرشك مثلهم... ها هو الخروف أمامك، وهذا أنا، كلني

[1] السعيد بوطاجين، اللعنة عليكم جميعا، مصدر سابق، ص 116.

[2] مصدر نفسه، ص 116-117.

واسترح، اشف غليلك أيها المبذر، مازال غير همك»[1] حيث نجده يسخر من أصحاب السلطة أولئك المسؤولين الخونة الطماعين فيقول لهم لا حياء، لا قناعة، كبرت كرشك ثم يستهزئ به ويجعله في صورة حيوان فيأمره بأكل خروف ويقوم بإحضاره له، والغرض من ذلك التذمر والتهكم من تلك الأفعال الشرسة.

ويذهب القاص إلى التذكير بالأخلاق التي يجب أن يتحلى بها الإنسان المؤمن الذي يخاف الله عز وجل فيقول: «أنت أكبر من أن تعذب مخلوقا، كائنا مثلك خلق ليعيش ويحلم، هم يفكرون مثلنا، وأحسن قليلا، لهم لغة، علامات، أحزان لعلهم أرقى»[2] فالكاتب يشير من خلال هذه القطعة إلى أن الإنسان لا يجب أن يكون قاسيا لدرجة تخرج من رحمة الله، فمهما أخطأ العبد فهو كائن خلقه الله وغير معصوم عن الخطأ وهو قادر على التوبة.

كما نجد في قوله أيضا إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وغرست الحكمة، وقعدت الأعضاء عن العبادة فهو يلمح إلى أن هؤلاء الطماعين السلطويين يبحثون على ما يملأ بطونهم والعيش الرغيد غير مبالين لما يقوله الدين الإسلامي، وقد سخر القاص منهم بأسلوب ضاحك استهزائي.

المبحث الثاني: تجليات التربية واللعنة عليكم جميعا

تجليات التربية في «فصل آخر من انجيل متى»

تتجلى التربية بصورة مضمرة في قصة فصل آخر من أنجيل متى[3] فبداية من العنوان نجد أنه يحيل في مضمونه إلى الدعوة إلى تربية الأجيال باعتبار انجيل متى هو الكتاب المقدس للمسيح فيه ثم تدوين عاداتهم وواجباتهم وحقوقهم وتقاليدهم وعقائدهم وأسلوب تربيتهم.

[1] السعيد بوطاجين، اللعنة عليكم جميعا،مصدر سابق، ص 119.
[2] مصدر نفسه، ص 120.
[3] مصدر نفسه، ص 9.

حيث يهدف العنوان إلى الوظيفة الاجتماعية للتربية المتمثلة في «نقل التراث من جيل إلى جيل وتطهيره وتبسيطه بما يتلائم مع أحوال المجتمع»[1] مفادها أن التربية بالقصة بمثابة علاج يقدمه الطبيب، والعنوان يحيل إلى المضمون من الداخل الذي تكتنفه قيمة جمالية واجتماعية التي تتجلى فيها «القابلية للتفاعل الاجتماعي الإيجابي وطغيان النزعة الاجتماعية»[2]. فالقاص يهدف من وصف نفسه والطبيعة والمدينة فاستحوذ على كل ما هو موجود في الحياة ومنه استخلص عنوان القصة فصل آخر من انجيل متى وهنا تتجلى القيمة الأخلاقية باعتبار الإنجيل بالنسبة للمسيحيين أحد الكتب السماوية الذي يدعو إلى التحلي بمكارم الأخلاق والصفات الحميدة والفضائل.

وفي عتبة القصة نجد أن القاص يدعو إلى المساواة والإحسان إلى بعضهم البعض باعتبارهم إخوة في الدم والأرض والعرف، فيقول بوطاجين: «بارك الله ساعة لقائنا بكم ... نسألكم أن تحسنوا لقائنا، قد أتينا إلى هنا بعظام الأجداد»[3] حيث يبرز القاص مباركته للقائهم مع بعضهم البعض، وهنا تتجلى القيمة الجمالية للتربية ذات النزعة الاجتماعية حيث يدعو القاص إلى الحوار مع الآخر وتقبله الغير واعتماد أسلوب الأخذ والعطاء لنقاش هادف تربوي.

ثم يتطرق السعيد بوطاجين إلى متن القصة ويسرد تسلسل أحداثها في قالب تربوي فيقول: «فقد توقفت لأشكر ذلك الثناء ثم رحت أخطب: أيها الناس اسمعوا ولا تعوا»[4] ويعني هذا أن القاص يتقدم بالشكر والعرفان لإخوته في قالب خطابي يدعو فيه إلى التمسك بجوهر الأشياء ليس بالظاهر، والتفطن على التخلي بالمكارم والفضائل. معتمدا في ذلك على وسيلة التخاطب وعدم الكذب وتتجلى في هذه المقطوعة القيمة العلمية للتربية «التي تهدف إلى تحقيق نمو الفرد وإعداده للحياة بنجاح»[5] حيث يدور مضمون هذه التعليمة حول البحث في

[1] ينظر: صلاح الدين شروخ، علم الاجتماع التربوي، مرجع سابق، ص 20.
[2] ينظر: عبد القادر لوريسي، علوم التربية، مرجع سابق، ص 98.
[3] السعيد بوطاجين، اللعنة عليكم جميعا، مصدر سابق، ص 9.
[4] مصدر نفسه، ص 11.
[5] عبد القادر لوريسي، من علوم التربية، مرجع سابق، ص 98.

الماهية والتمسك «بجوهر الأشياء»[1] العادات والتقاليد والمعتقدات والأخلاق والقيم بالإضافة إلى تمظهر القيمة الدينية إذ تحث حطة الحجاج بن يوسف إلى التحلي بالحوارية والنقاش والتربية في طرح الأفكار بأسلوب تربوي هادف إلى الإصلاح والتسوية سواء فاللغة أو التغيير أو احترام المعتقدات.

يبحث القاص عن ثنايا القصة عن مواطن الحلم والإحسان بين بني النشر حيث يقول بوطاجين: «شعرت ببعض الأسى وأنا أبدل ما تبقى مني بدا جليا أني أبحث عن أرض حني يولد بمشقة وضمأ، على الوفاء والدم والعرق يقوم ولا يسيل جفنتيه كشيمة مدلولة»[2]. فيتجلى ذلك الصدق والأمل والثقة والوفاء والتربية معتمدا على القيمة العلمية في رصف معالم تمسكه بفكرته ؟أنه يوجد زمن صادق مبينا ذلك بتمسكه بعرضه وأصله ووجوده.

ثم يقول في موضع آخر «تلك الوصايا التي خلفها لي جدي منذ نعومة يأسى أوصاني بعدم إحصاء الأيام التي لا وجه لها»[3] هنا يعني القاص بهذا أن الجد رباه وعلمه وكلفه بمهمة في الحياة هي الإتصاف بالصفات الحميدة والعدل، وإعطاء لكل ذي حق حقه ويتجلى في هذه المقطوعة الوظيفة الفردية فالجد ربى حفيدة تربية حسنة وعلمية ولقنه كيف يعيش وأوصاه بالحكمة، والحذر من غدر الزمن من الحكام وأصحاب السلطة.

كما وصاه أن يكون نظره ثاقب بالإضافة إلى قيمة أخرى يبرز بجلاء ألا وهي القيمة الأخلاقية إن أخلاق الإنسان هي المعيار الذي يقاس به وأن الظاهر لا يوحي عما يوجد في الجوهر.

كما يشير القاص إلى للتربية دور كبير في رقي المجتمعات وازدهارها، وسبب في رجاحة العقل والأخلاق فيقول في هذا الصدد «بقدر ما أعرف البشر يزداد حبي لكلبي»[4].

يحيل القاص إلى أن بني البشر لا تتوفر فيهم ذرة تربية في لحظة قد ينسون فيها كل ما جبلوا عليه من مكارم الأخلاق والصفات الحسنة والحميدة، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها، فبوطاجين يجد تلك الصفات من الكلب

[1] عبد القادر لوريسي، من علوم التربية، مرجع سابق، ص 98.
[2] السعيد بوطاجين، اللعنة عليكم جميعا، مصدر سابق، ص 12.
[3] مصدر نفسه.
[4] مصدر نفسه، ص 17.

ولا يجدها في إخوته البشر من بني جلدته فقد تصح مقولة ما يوجد في النهر لا يوجد في البحر والعكس غير صحيح وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على صدق مشاعر والصفات الحميدة التي يتصف بها الراوي ويريدها أن تكون في البشر جميعا.

ومنه تتجلى القيمة الأخلاقية للتربية وهي التخلي بالوفاء والإخلاص في التعامل مع الآخر وعدم خدلانه.

وهو يسرد ملامح رحلته الطويلة مرورا بتلك القبور التي تحمل في جعبتها شهداء أبرار يقول القاص: «وداعا سادتي القبور»[1] من هنا يقدم القاص فائق الاحترام والتقدير من أجل العيش بكرامة، من أجل التحلي بالأسوة الحسنة والفضيلة.

وتتجلى الوظيفة الفردية هنا حيث يتمتع القاص بحس تربوي فيه طرح الأفكار مما يجعله يجذب القارئ إلى احترامه وتقديره وهو يقرأ له والاقتداد به.

حيث تتجلى القيمة الأخلاقية والدينية التي غلبت على القصة فيقول في خاتمة القصة محتكما إلى القيمتين «جمهورية السعيد بوطاجين حفظه الله بتاريخ ثبت يد أبي لهب وتب»[2] فالراوي يقتبس من القرآن الكريم كلمات وآيات تعينه من رصف معالم التربية بجل وظائفها من أجل إيصال الرسالة إلى القارئ مفادها أن التربية هي التحلي بمكارم الأخلاق والتمسك بجوهر الأشياء والمساواة والعدل والصدق سلاح في يد الإنسان، إذ أحسن استعمالها فقد نجح في الدنيا والآخرة وإذ لم يحسن خسر دينه ودنياه.

تجليات التربية قصة عن فضائح عبد الجيب

يتجلى ملامح التربية في قصة من فضائح عبد الجيب بصورة مضمرة فنلحظ أن القاص لم يسهب في سرد معالم التربية بشكل جلي وإنما نجده بين الأسطر فمنذ بداية القصة يلمح القاص إلى تمسكه بجده واقتدائه به حيث يقول: « تلك الصبيحة كان متكئا على شجرة الدردار... هو الذي غرسها ورعها بالمن والبركة مستعيدا لبارئه»

[1] السعيد بوطاجين، اللعنة عليكم جميعا، مصدر سابق، ص 18.

[2] مصدر نفسه، ص 19.

حيث يرى أنه رغم المعاناة والألم والحزن الذي يمر به الجد إلا أنه لم ينسى الاعتناء بمن حوله وكذلك جدته التي قامت بتربيته أحسن تربية حين يقول القاص « هي التي أنشأتني من ألفي إلى يائي إلى مرضي»[1] حيث ربته الجدة تربية حسنة يشهد في لها كل مكان وزمان ففي المقطوعة الأولى والثانية تتجلى القيمة الأخلاقية إذ عمد كل من الجد والجدة على تربية سعيد بوطاجين تربية حسنة.

ثم نرى في موضع آخر أن الجد يعلم الحفيد مكارم الأخلاق والصفات الحميدة والحلم والتسامح والإحسان فيقول له: أنا أقدم اعتذارا رسميا وأقول لك، صباح الخير أيها الأستاذ الخليل»[2]حيث يرفع الجد من شان حفيده ويطلب منه السماح ليس لأنه أخطأ معه بل يريد أن يعلمه التربية على أصول ومكارم الأخلاق والغاية من ذلك انه إذا أخطا مع أحد فيجب أن يطلب المغفرة منه والسماح.

في مقام آخر تبارك الجدة حفيدها حيث يقول: « مبارك أنت الأطفال هم حقيقة والباقي هرج»[3]

حيث تتجلى معالم التربية في هذه المقاطع للتربية بالوظيفة الفردية حيث يحاول كل من الجد والجدة تربية الحفيدة تربية تليق به على الطاعة والصدق والحلم والإحسان ومنه تتجلى القيمة الأخلاقية للتربية في تعليم حفيدهم الصفات الحميدة والأخلاق الفاضلة.

كما علمه التفاؤل بالكلمة حيث يقول: « الكلية حيث تعلمت التفاؤل بالجملة وبلا سبب هناك اعلم الآخر مبادئ القنوط لإدراك الحقيقة»[4] حيث يرى ان التفاؤل هو خير سلاح وأنه يجب أن يعلمه الآخرين من أجل الوصول إلى الحقيقة.

ويعلم الجد الحفيد ما يجب أن يكون عليه يعطيه مثال بفضائل النحل وطريقة تربيتها فيقول: النحلة: النحلة شاعرة أيضا، النحلة تكسب العسل بالرحيق دون صخب»[5]

حيث يريد الجد أن يعلم ويربي حفيده على أن يكون مثل النحلة ويتصف بالصفات الحسنة فقط.

[1] السعيد بوطاجين، اللعنة عليكم جميعا، مصدر سابق، ص 24.
[2] مصدر نفسه، ص 25.
[3] مصدر نفسه.
[4] مصدر نفسه، ص28.
[5] مصدر نفسه.

وفي موضع آخر تتجلى صفة القناعة والصبر حيث يقول على لسان الروائي: بأصابعي كنت أرسم على التراب أمورا لا معنى لها فيما راح الجد يقص علي بألم وصدر ضيق جرحا مسبحا و مستعيدا بخالقه من القوانين المصنوعة»[1] ويؤكد ذلك في قوله: « قلت لهم لماذا تسيئون بهذه التربية التي ربيتها»[2] وهو يحيل إلى الأرض التي تربو فيها وتنعموا بخيراتها ثم يريدون أن يعمروا فيها الفساد، وهو يقول:« تلك القناعة الغريبة هي التي حولت بؤسهم إلى فرح محفوف بأسرار لاتعد»[3]حيث يريد القاص أن يعلم القارئ أن القناعة كنز لا يفنى فإذا كان الإنسان مقتنع بما أعطاه الله له فهي قمة التربية والأخلاق وإذا لم يقتنع سيأكل كل الحرمات من أجل إرضاء نفسه وكسب المال.

حيث أن التربية جزء لا يتجزأ من الواجبات التي تقوم بها الآباء اتجاه أبنائهم فهي عماد كل شيء والتربية يجب أن تكون في الفرد قبل التعليم وتتجلى تربية الجد لحفيده تربية حسنة وكانت له خير قدوة وأسوة حسنة «فالجليس الصالح خير من الجليس السوء»[4] فالجد كان للقاص خير جليس فقد كان بالنسبة له مربي وما معلم ومستشار بالإضافة إلى دعمه له في قول كلمة الحق وعدم السكوت عنها حيث يقول القاص: « الناس الحقيقيون يموتون واقفين ولا يخشون أحدا، إذا خفت أنا وخفت أنت فمن يرفع راية الحق»[5] فالجد يدعو حفيده إلى التمسك بكلمة الحق وعدم التواني عنها، بالإضافة إلى التمسك بحضارته وعرضه وبلاده وأصالته بالأحرى بالهوية الوطنية والدفاع عنها بالنفس والنفيس وتتجلى في هذه المقطوعة الوظيفة الاجتماعية للتربية التي تدعوا إلى « تكوين جماعة يستطيعون فهم نظام الحكم ولهم دراية بسير هذا النظام على أكمل بوجه من أجل استقامة الحياة القومية الوطنية»[6] وهنا فالجد يعلم القاص أو حفيده على القوة والشجاعة و التربية وعدم الخوف لأنه مؤمن بالقضاء والقدر ومقتنع بأنه « لا يصيبنا إلا ما كتب الله لنا»[7] فالإنسان يحتاج إلى القوة والإيمان للمضي في تحقيق تحقيق أمانيه وأمل شعبه ووطنه.

[1] السعيد بوطاجين، اللعنة عليكم جميعا، مصدر سابق، ص 30.
[2] مصدر نفسه، ص 31.
[3] مصدر نفسه، ص 32.
[4] حديث شريف للرسول (ص).
[5] السعيد بوطاجين، اللعنة عليكم جميعا، ص 33.
[6] ينظر: سعيد إسماعيل علي، أصول التربية العامة، مصدر سابق، ص 31.
[7] السعيد بوطاجين، اللعنة عليكم جميعا، ص 34.

وفي خاتمة القصة نجد القاص يعتز بوطنه وبلديته حيث يقول: تاكسانة التي في القلب والذاكرة»[1] حيث تتجلى في هذين المقطوعتين القيمة الدنية والسياسية فهذه الأخيرة تتمثل في الدعوة إلى التمسك بالنظام والعدالة ويتجلى ذلك جليا في دفاع القاص عن بلدته وتمسكه بها، أما القيمة الدينية فهي تمسك الجد وإيمانه بالقضاء إذ يتصف بالقداسة لتحقيق أعلى مراتب الكمال.

قصة حدّ الحدّ:

نجد قصة حدّ الحدّ والتي يعني بها القاص وضع الحدّ لطغيان الملك أو وصوله مرتبة الجهل حدها المرتفع، بالمقابل يمثل محمد عبد الله ذلك المثقف المهمش الذي يريد أن ينير درب قريته لكن الأهالي يخافون السلطة والملك.

حيث استهل القاص قصته بالحديث عن محمد عبد الله باعتباره عضو صالح في المجتمع يريد أن يهذب هؤلاء الخبيثين والفقراء أيضا لما ينفعهم وما يضرهم حيث يقول القاص: « إن محمد عبد الله لم يتصور أن ما وقع محتمل الوقوع، هو يدرك أن للغباء حدود ومسألة الحدّ قرأها في كتب الفلسفة..... بلدة بني عريان لا يعرفون الفرق بين حرف الألف والبطاطس»[2] ومعنى هذا أولئك الناس لا تربطهم صلة لا بالعلم ولا بالتربية إلا من رحم ربك ويؤكد ذلك قائلا: « السياسة ملجأ اللصوص والكذابين والمحتالين لا فرق بيننا وبين أن تأكل لحم أخيك حيا»[3] حيث يتهمهم بالجور والكذب والنفاق وهنا تتجلى القيمة السياسية للتربية حيث يريد محمد عبد الله أن يسود العدل والعدالة والأمن إعطاء لكل ذي حق حقه واحترام الحقوق والواجبات فنعطي مثال «شجرة الكرز التي يعدها قمة في الصبر والحكمة كانت تعلم الجد كيف يصل إلى المكارم والكمال في المقابل يصف تلك الخطب غير علمية حيث يقول: «بإمكاننا أن نقترب من هذه الخطب من هنا إلى الآخرة ...الخطب سراويل، الخطب أغطية، الخطب الدعوية»[4]

[1] السعيد بوطاجين، اللعنة عليكم جميعا ، مصدر سابق، ص 35.
[2] مصدر نفسه ص 39.
[3] مصدر نفسه، ص41.
[4] مصدر نفسه، ص 42.

حيث يبرر أن خطبهم لا تجدي نفعا وإنها أقوال بلا أفعال لا يمكن التنبؤ بعواقبها وهنا تتجلى القيمة الأخلاقية للتربية فالقاص يريد أن يعلمهم مكارم الأخلاق والقصد ليست الخطب والقرارات والمؤتمرات ويرمي من خلال هذه القيمة إلى تهذيبهم وإعانتهم على فهم الطريق الصحيح.

يري القاص «أن الشعب كنز، الذكاء، العمل، العدل، المحبة الخالصة، الحنان طبيب الأطباء ومعلمهم»[1]

حيث يريد من خلال هذه المقطوعة تقصي مواطن التربية في الشعب إذ يعتبر كنز فهو لا يعرف ما تخبئه له السلطة من مكر ومكائد، فهو هنا يرصد مجموعة من القيم تعتبر كنوزا لا يجدها إلا عند هؤلاء الفقراء الطيبين منها القيمة الأخلاقية الدينية والاجتماعية فمنهم تتجلي التربية الحقة والأخلاق الفاضلة هذا هو الكنز الذي أوصاه به الشاعر.

في الأخير يشبه القاص نفسه بألماهتما غاندي الذي يمثل الحكمة والتواضع وهنا تتجلى قيمة أخلاقية وهي التربية على التواضع يقال من تواضع لله رفعه والحكمة في عدم التحيز لأي طرف وأن يكون له دراية بمكنونات الخصم واتخاذ القرارات التي تكون في صالح العامة وليس الخاصة.

ويختم قصته بذكر تاريخ كتابته القصة على بركة الله في مملكة عبد الجيب بتاريخ قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق»[2].

قصة 37 فبراير:

تعج قصة 37 فبراير بقيم تربوية كثيرة ذات النزعة التربوية فنجد أن شخصية ابن آدم التي تتصف بالصفات الحسنة والأخلاق ورغم الأذى الذي لحقته به المملكة الله غالب إلا أنه لم يحمل في قلبه ضغينة أو أدى اتجاههم فهو يعفو ويسامح ويتصف بالطبية والحلم والإحسان.

كان قدوته معلمه وشيخ الجامع الذي يعطيه دروسا وعبر للمضي في هذه الحياة التي لم تنصفه في أصغر الأشياء ألا وهو يوم ميلاده الذي وُسم بـ 37 فبراير الخارق للمألوف، فعند ذهاب ابن آدم إلى أحد المسؤولين الإداريين أبدى غضبه عليه وعامله معاملة بوهمية لكن ابن آدم رد عليه بأدب وأخلاق قائلا: « الله أعلم، كل

[1] السعيد بوطاجين، اللعنة عليكم جميعا ، مصدر سابق، ص 44.

[2] مصدر نفسه، ص 51.

واحد ومكتوبه، واحد ولد في الشتاء وواحد في الربيع، القضاء والقدر، قال لنا شيخ الجامع، أنا لم افعل شيئا»[1] حيث نلاحظ تلك العفوية والتلقائية في الرد فتتجلى في هذه المقطوعة القيمة الأخلاقية حي يتصف ابن آدم بأعلى درجات النضج الخلقي ومكارم الأخلاق.

يرى الغربيون في هذا الصدد أن العرب عاجزون عن إصلاح أنفسهم بأنفسهم، فالعالم مجرد صفحة بيضاء يمكن أن يخط فيها الغربيون ما يشاءون، لأن التعليم متخلف وعاجز وذلك يرجع إلى أن الثقافة العربية تخفي في أعماقها منازع العنف والعدوان بل الإرهاب[2]، وهذا فإن كل من السلطات والحكام وأصحاب النقود يطبقون سياسة القصر والتسلط وقمع المواطن من أجل مصلحتهم الخاصة فالباش قاعد والباش واقف يمثلون السلطة ويعاملون ابن آدم بازدراء وعدم تربية وبلا أخلاق. وفي مقام آخر يسرد المعلم حياة ابن آدم في مقتل والدته من طرف السلطات إذ انه أصبح شابا يافعا رباه المعلم على الأخلاق الفاضلة حيث يقول القاص: «هكذا عاش ابن آدم في غابة مع الشجر دون أن يعرف لون الكهرباء لكن الناس أحبوه لعفويته»[3] حيث يعبر عن حزنه وأسفه اتجاه هذا الشاب الذي ولد غريبا وعاش غريبا في بلده،في المقابل يصف السلطات بالجور والخونة والخبيثين والطاعون والبربر.

ثم يقول القاص في موضع آخر « كان المعلم يحدثه عن رائحة التراب الخالدة»[4] حيث يبرز من خلال هذه المقطوعة تعلق المعلم وابن آدم بوطنهم وهذا إن دل على شيء إنما يدل على التمسك بالهوية الوطنية الدين الأرض والعرض.

ويبين لنا من تصرفات ابن آدم اتجاه المعلم أنه يكن له الاحترام والتقدير فيقول له « يبدو أني أتعبتك، لا يا بني تعبك راحة كما يقال عندنا، عطر العمر وما هيته، لو كان الناس مثلك لحملتهم إلى الحج على ظهري دون تردد»[5]

[1] السعيد بوطاجين، اللعنة عليكم جميعا ، مصدر سابق، ص 55.

[2] ينظر: عبد الله عبد الدايم ومصطفى محسن وآخرون، التربية والتنوير في تنمية المجتمع العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، لبنان، 2005، ص 17.

[3] السعيد بوطاجين : اللعنة عليكم جمعيا، مصدر سابق، ص 56.

[4] مصدر نفسه، ص 62.

[5] مصدر نفسه، ص 63.

حيث يبرز بجلاء الوظيفة الفردية للتربية فالجد يرمي إلى تنمية قدرات ابن آدم وإعداده للحياة بما حملت من حلوها ومرّها.

وأخيرا يختم القاص هذه القصة ببعض النصائح التي قدمها المعلم لابن آدم بالتمسك بأرضه وعرضه ودينه فيقول له: « إن الجلوس مع قطعة أرض أفضل من الجلوس مع ألف ملك»[1] ويعني هذا الجلوس مع تلك التي تقدم المساعدة للمحتاج والفقير أفضل من الذين يتبعون مصالحهم من أجل المال.

ازدواجية السخرية والتربية في اللعنة عليكم جميعا:

تدرس ازدواجية السخرية والتربية في المجموعة القصصية "اللعنة عليكم جميعا للسعيد بوطاجين تلك الجدلية القائمة بين النزعة الساخرة التي تعد طريقة فنية أدبية ذكية لبقة في الإبانة عن أراء ومواقف ذات رؤية خاصة تعتمد على وظيفتين الاجتماعية والنفسية وتنقسم إلى ثلاثة أنواع منها: السخرية العقلية والانتقادية والفكاهية يختلف أسلوبها من مقطوعة إلى أخرى كأسلوب المحاكاة والتصوير الكاركاتوري والتصوير القصصي والتصوير النفسي والتنابز بالألقاب والهمز واللمز ويتجلى ذلك في المجموعة بشكل جلي حيث يعالج القاص أغراض بعيدة تتصل بالمجتمع وما فيه من مفاسد وشخصيات بارزة أو طبقات منحرفة أو هيئات مسيطرة، وبالتالي هي مرآة تعكس الواقع بصورة ساخرة معبرة وهادفة، حيث يقول: « وإذا كنت أسأله عن مكان البشر الحقيقين يظل منغرسا في مكانه مشيرا إلى جهات غامضة في سراديب المدن المظلمة، هناك أرواح ترتجف كعصافير مبللة»[2] ويؤكد ذلك في موضع آخر حيث يقول: « من ألمك ومن البشر الحقيقيين تعلم الحكمة»[3] إذ يعالج السخرية في اللعنة عليكم جميعا أحوال البشر وكيفية تعاملهم مع بعضهم البعض وهيمنة القوى السلطوية على الضعفاء.

أما النزعة التربوية فهي التي تهدف إلى نمو الفرد وتحقيق أعلى درجات النضج العقلي تعتمد على وظيفتين اثنين الفردية والاجتماعية تتمظهر فيها عدة قيم دينية وأخلاقية وجمالية وعلمية وبدنية حيث تتجلى الصور التربوية في اللعنة عليكم جميعا بصورة مضمرة ومشفرة تحيل إلى العديد من هذه القيم حيث يقول القاص: «الناس الحقيقيون يموتون واقفين ولا يخشون أحدا، إذ خفت أنا وخفت أنت قمن يرفع راية الحق»[4]

[1] السعيد بوطاجين، اللعنة عليكم جميعا، ص 12.

[2] مصدر نفسه.

[3] مصدر نفسه.

[4] مصدر نفسه، ص33.

ويؤكد ذلك في دعوته إلى التمسك بمكارم الأخلاق وكلمة الحق والصدق والحلم والمساواة والإحسان في قوله: «أن الشعب كنز، الذكاء، العمل، العدل، المحبة الخالصة والحنان طبيب الأطباء والمعلمين»[1] ومعنى هذا أن التربية هي التي تحدد مكانة الفرد في المجتمع إذ يجب على الفرد أن يتصف بالصفات الحميدة التي تجعله إنسان مهما والغاية من التربية هي الإصلاح والتهذيب ونشر معالم الهوية الوطنية، الدين، العرض.

[1] السعيد بوطاجين، اللعنة عليكم جميعا ، ص 44.

خاتمة

في آخر هذه الدراسة يمكن استخلاص جملة من النتائج التي توصلنا إليها في النقاط التالية:

- إن مصطلح السخرية مصطلح واسع الدلالة: يصعب تحديد تعريف دقيق له، وذلك لتداخلها مع مصطلحات أخرى تتعلق بها: كالفكاهة والتهكم والهجاء.

- لعبت السخرية دورا كبيرا في معالجة مختلف قضايا المجتمع سواء كانت سياسية، اجتماعية، اقتصادية بأسلوب غير مباشر.

- كان السعيد بوطاجين في أغلب أعماله القصصية ميالا إلى أسلوب السخرية لما لها فاعلية كبيرة في التعبير عن ما يريد أن يفصح عنه.

- ركز الكاتب في مجموعته القصصية على مجموعة من الشخصيات كانت تعاني الظلم والقهر والتهميش حيث جعل من هؤلاء المثقفين والمبدعين ومن الظروف المزرية التي يعيشونها قصة أساسية محورية أراد معالجتها حتى ينهض بالمستوى الثقافي في عامة والأدب خاصة.

- عمد السعيد بوطاجين إلى السخرية من كبار المسؤولين والحط والتقليل من شأنهم حتى يغير الواقع المرير المعاش ورفض كل جوانب الذل والاستسلام والخضوع والتهميش، والنهوض بالشعب ورفض سياسة القهر والفقر.

- تناول القاص جل قضايا المجتمع بقالب مرح ومضحك وساخر في الآن نفسه جاعلا منه في ذلك هدفا تربويا.

- كان بوطاجين قاصا أدبه ساخر يدافع به عن القيم الإنسانية حتى المشاعر الإنسانية منذ الخوف والفراغات والآلام مشيرا إلى مواضع الظلم حافزا على الفهم، خاصة في تلك الفترة فترة التسعينات.

- أن للتربية وظيفتين: الفردية وتهدف إلى تحقيق نمو الفرد وتعده للحياة، أما الاجتماعية فترتبط بثقافة المجتمع عاداته وتقاليده.

- إن هذه الوظائف تسعى إلى تحقيق النمو والازدهار وارتفاع المستوى الحضاري.

- إن القيم التربوية جزء لا يتجزأ من حياة الفرد يحتكم إليها من أجل الإصلاح والتغيير نحو الأفضل

وفي الأخير نرجو أن نكون قد أفدناكم ولو بالقدر القليل من العلم والمعرفة بهذه الدراسة وتركنا المجال مفتوحا للخوض في دراسات أخرى لهذه المجموعة القصصية.

قائمة المصادر

والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن الإمام نافع.

أولا: المصادر:

1. سعيد بوطاجين، اللعنة عليكم جميعا، منشورات الاختلاف، ط1، 22 نهج الإخوة مسلم، الجزائر، 2001م.

ثانيا: المراجع:

الكتب العربية والمترجمة:

2. أبي عثمان عمر بن بحر الجاحظ، البخلاء، شرحه، أحمد العوامدي، علي الجاسم، مطبعة دار الكتب المصرية، ج2، القاعرة، مصر، 1939.
3. أحمد الفنيش، أصول التربية، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط3، بنغازي، ليبيا، 2004م.
4. أحمد المهدي عبد الحليم، أشتات المجتمعات في التربية والتنمية، دار الفكر العربي، ط1، القاهرة، مصر، 2003م.
5. أحمد دوغان، في الأدب الجزائري الحديث، اتحاد الكتاب العرب للنشر والتوزيع، ط 1، دمشق، سوريا، 1996.
6. أحمد طالب، الالتزام في القصة القصيرة الجزائرية المعاصرة، دور الغرب للصناعة والنشر، وهران، الجزائر، 2007.
7. إيهاب كمال، سقراط أكثر الرجال حكمة في العالم القديم، الحرية للنشر والتوزيع، د ط، د ت.
8. حامد عبده الهوال، السخرية في أدب المازني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط مصر، 1982.
9. رابح العوبي، فن السخرية في أدب الجاحظ من خلال كتاب " التربيع والتدوير" والبخلاء والحيوان، ديوان المطبوعات الجامعية، ط 1، بن عكنون، الجزائر، 1989.

10. رحاب عكاوي، أشعب الطامع أخباره ونوادره، دار الآفاق الجديدة، ط 2، بيروت، لبنان، 2000.

11. سراج الدين محمد، الفكاهة في الشعر العربي النوادر والطرائف، دار الراتب الجامعية، د ط، بيروت، لبنان، د ت.

12. سعيد اسماعيل علي، أصول التربية العامة، دار الميسرة للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن، 2007م.

13. السيد عبد الحليم محمد حسين، السخرية في أدب الجاحظ، دار الجماهيرية للنشر والتوزيع، ط1، طرابلس، 1968.

14. شايف عكاشة، مدخل إلى عالم القصة القصيرة الجزائرية، قراءة مفتاحية منهج تطبيق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

15. شبيل بدران وأحمد فاروق محفوظ، أسس التربية، دار المعرفة الجامعية، ط1، الاسكندرية، مصر، 2005م.

16. صلاح الدين شروخ، علم الإجتماع التربوي، دار العلوم للنشر والتوزيع، د.ط، عنابة، الجزائر، 2004م.

17. عايدة أديب بامية، تطور الأدب القصصي الجزائري (1925-1967)، تر: محمد صقر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائرية.

18. عباس محمود العقاد، ساعات الكتب، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، د ط، مصر، 2012.

19. عبد الرحمن البرقوق، شرح ديوان حسان ثابت الأنصاري، دار النشر المكتبة التجارية الكبرى، د ط، مصر، 1929.

20. عبد الرحمن النحلاوي، التربية بالقصة، دار الفكر، ط2، دمشق، سوريا، 2005م.

21. عبد القادر دوريسي، في علوم التربية، جسور للطباعة والنشر، ط1، الجزائر، 2013م.

22. عبد الله الركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث، دار الكتاب العربي،ط1، الجزائر، 1981م.

23. عبد الله عبد الدايم ومصطفى محسن وآخرون، التربية والتنوير في تنمية المجتمع العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، لبنان، 2005م.

24. عبد المالك فخور، القصة ودلالاتها في رسالة الغفران وحي بن يقظان، مكتبة الشركة الجزائرية بوداود، ط 1، الجزائر، 2009.

25. عبد المجيد عبد التواب شيحة، تطور الفكر التربوي في العصور القديمة والوسطى، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن، 2006م.

26. فاعور علي، شرح ديوان أبي نواس، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، ط 2، بيروت، لبنان، 1994.

27. فوزية الحاج علي البدوي، التربية بين الأصالة والمعاصرة مفاهيمها وأهدافها وفلسفاتها، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأدردن، 2009م.

28. كحوال محفوظ لاتا، أروع قصائد أحمد مطر، مكتبة نوميديا للطباعة والنشر والتوزيع، د ط، الجزائر، د ت.

29. محمد العمري، البلاغة الجديدة عن التخيل والتداول، إفريقيا الشرق، ط 2، الدار البيضاء، المغرب، 2012.

30. محمد مقداد والحسن بوعبد الله وآخرون، قراءات في الأهداف التربوية، جمعية الإصلاح الإجتماعي والتربوي، ط1، باتنة، الجزائر، 1994م.

31. محمد ناصر بوحجام، السخرية في الأدب الجزائري الحديث من 1925-1962، بحث مقدم لنيل شهادة دكتوراه في أدب العربي، د ط، الجزائر، 1993، 1994.

32. مخلوف عامر، مظاهر التجديد في القصة القصيرة في الجزائر، دراسة منشورات اتحاد كتاب العرب، د ط، دمشق، سوريا، 1998.

33. مراد مجيد، شرح ديوان الأخطل، دار الجيل للنشر والتوزيع، ط 1، بيروت، لبنان، 1990.

34. نبيل حداد ومحمود راسية، تداخل الأنواع الأدبية، عالم الكتب الحديث، المجلد 2، أربد، الأردن، 2009.

35. نبيل راغب، الأدب الساخر، هيئة الكتاب مهرجان القراءة للجميع، الطفل، الشباب، للأسرة، د ط، مصر 2000.

الكتب الغربية والمترجمة:

36. ادوارد سعيد، المثقف والسلطة، تر: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، مصر، 2006م.

37. اندريه مارتينيه، مبادئ ألسنية عامة، تر: ريمون رزق الله، دار الحداثة، بيروت، لبنان، دط، 1990م.

38. هانس روبرت ياوس، جماليات التلقي، تر: رشيد بن حدو، بالتعاون مع مجموعة من دور النشر العربية ومنشورات الإختلاف الجزائرية، ط1، الجزائر، 2016م.

39. هنري برغسون، الضحك، تر: علي مقلد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط 23،د ت.

ثالثا: المعاجم:

40. جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري الإفريقي المصري، لسان العرب، تحقيق عامر أحمد حيدر، مراجعة عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، المج 3، ط 1، بيروت، لبنان، 2005.

41. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تقديم أبو الوفاء نصر الهويني، دار الكتب العلمية، ط 3، لبنان، 2009.

المجلات والدوريات:

42. شمسي واقف، الأدب الساخر أنواعه وتطوره على مدى العصور الماضية، العدد 12، د ط، د ت، فصيلة دراسات الأدب المعاصر، السنة الثالثة 1390هـ .

43. نداء أبو أحمد، أفات اللسان والسخرية، الاستهزاء والمزاح المحترم، شبكة الألوان، د ط، د ت.

44. التعلاوي محمد، في قصص القرآن عن حوليات الجامعة التونسية، عدد 241، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، 1985.

المذكرات:

45. إيمان بطشي النزعة الساخرة في قصص السعيد بوطاجين، ماجستير، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2010، 2011.

46. بوزياني نور الهدى، قطومة حمافو، الأسلوب الساخر في النثر الجزائري الحديث أحمد رضا حوحو أنموذجا، ماجستير قسم اللغة العربية وأدابها، مغنية، الجزائر، 2015، 2016.

المواقع الإلكترونية والمقالات:

47. رياض نعسان أغا، فن السخرية في أدب حبيب كياني، مجلة ؟؟؟، الإثنين 11 يونيو 2007.

48. www.dr.read.net

49. نوارة لحرش، هل تراجع الأدب الساخر؟، مقال في جريدة النصر، الإثنين 16 فبراير 2015.

فهرس المحتويات

المحتوى الصفحة

شكر وتقدير

مقدمة.....أ-ج

مدخل: الكتابة القصصية الجزائرية المعاصرة.....1-7

الفصل الأول: السخرية ماهيتها ووظائفها

تمهيد.....**8**

1- مفهوم السخرية.....9

أ-لغة.....9

ب-اصطلاحا.....10

2-نشأة السخرية.....12.

2-1 في الآداب الأوروبية.....13

2-2 في الأدب العربي..... 15

2-3 في الأدب الجزائري.....25

3- وظائف السخرية.....30

3-1 الوظيفة الإجتماعية.....30

2-3 الوظيفة النفسية.....32

4- أساليب السخرية وأنواعها.....33

4-1 السخرية الإنتقادية.....33

4-2 السخرية العقلية.....34

4-3 السخرية الفكاهية.....34

أ- أسلوب المحاكاة.....35

ب- التصوير الكاريكاتوري.....35

ج- التنابز بالألقاب.....35

د- الهمز واللمز.....36

هـ- التصوير النفسي.....36

و- التصوير القصصي.....37

5- تجليات السخرية في الأدب الجزائري.....38

أ- عند بومنجل عبد المالك.....39

ب- عند سعيد بوطاجين.....40

الفصل الثاني:التربية ماهيتها ووظائفها

تمهيد.....41

1- مفهوم التربية.....42

أ- لغة.....42

ب-اصطلاحا.....43

2-نشأة التربية.....47

أ- عند الغرب.....48

ب- عند العرب.....55

3- وظائف التربية وقيمها.....60

3-1 الوظيفة الفردية.....60

3-2 الوظيفة الإجتماعية.....61

أ- القيمة الدينية.....63

ب- القيمة العلمية.....63

ج- القيمة الأخلاقية.....63

د- القيمة الإجتماعية.....63

هـ- القيمة الجمالية.....64

و- القيمة السياسية.....64

ز- القيمة الإقتصادية.....64

ح- القيمة البدنية.....64

4- تجليات التربية في الأدب الجزائري.....64

الفصل الثالث: إزدواجية السخرية والتربية في اللعنة عليكم جميعا "للسعيد بوطاجين"

تمهيد.....67

قراءة في الغلاف.....70

1- تجليات السخرية في اللعنة عليكم جميعا.....74

2- **تجليات التربية في اللعنة عليكم جميعا**.....127

3- **إزدواجية السخرية التربية في اللعنة عليكم جميعا**.....136

خاتمة.....**138**

قائمة المصادر والمراجع.....**140**

فهرس المحتويات.....**146**